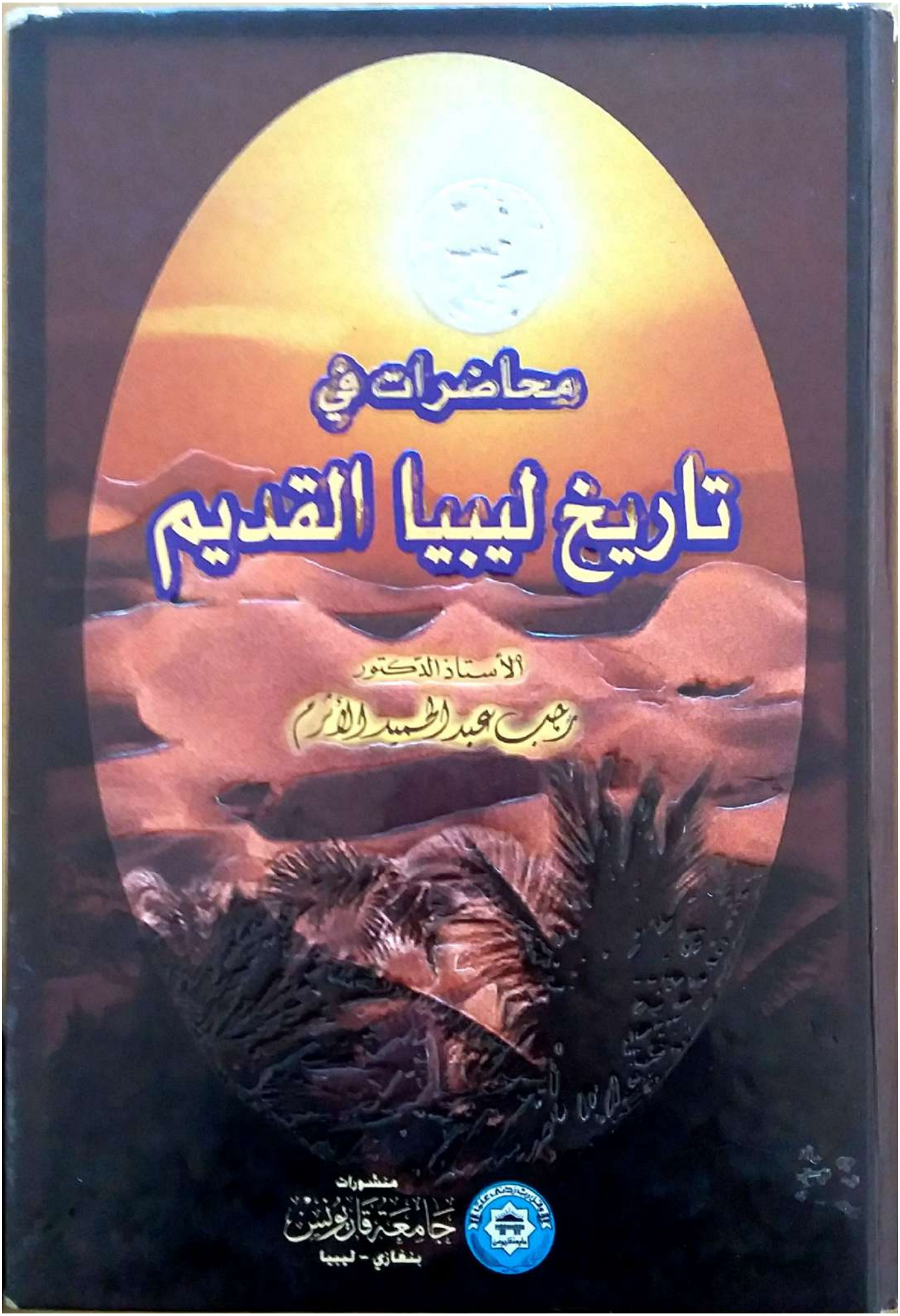
محاضرات في
تاريخ ليبيا القديم
الأستاذ الدكتور
رجب عبد الحميد الأثرم
منشورات
جامعة قاريونس
بنغازي - ليبيا

محاضرات في
تاريخ ليبيا القديم

الأستاذ الدكتور
رجب عبد الحميد الأثرم
كلية الآداب والتربية - جامعة قاريونس

منشورات
جامعة قاريونس
بنغازي

رقم الإيداع : 5162 / 2002 ف
ردمك 4 – 061 – 24 – 9959 ISBN

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب
دار الكتب الوطنية / بنغازي – ليبيا
هاتف : 9090509– 9096379 – 9097074
بريد مصور : 9097073
البريد الإلكتروني : nat-lib-libya@ hotmail.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الرابعة 2003

لا يجوز طبع أو استنساخ أو تصوير أو تسجيل أي جزء
من هذا الكتاب بأية وسيلة كانت إلا بعد الحصول على
الموافقة الخطية من الناشر

منشورات
جامعة قاريونس
بنغازي

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى سَيْخ الشُّهداء عُمَر المختار
وإلى جَميع الشُّهداء الأحرَار
دِفاعاً عَن حُرّية الوَطَن

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات 7

الإهـداء 5

تقديم 9

المقدمة 11

الفصل الأول: ليبيا في عصور ما قبل التاريخ «العصور الحجرية» 15

الفصل الثاني: الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ليبيا في الفترة المقابلة للعصر الفرعوني 27

أولاً ـ الحياة السياسية 27

ثانياً ـ الحياة الاقتصادية 57

ثالثاً ـ الحياة الاجتماعية 75

الفصل الثالث: ليبيا في العصر الفينيقي 99

أولاً ـ الفينيقيون في الجزء الغربي من ليبيا 101

ثانياً ـ المدن الليبية تحت حكم قرطاجة 107

ثالثاً ـ المدن الثلاث ومملكة نوميديا 110

الفصل الرابع: العلاقات الليبية اليونانية قبل تأسيس مدينة قوريني سنة 631ق.م 113

الفصل الخامس: ليبيا في العصر اليوناني 133

أولاً ـ دوافع الإستعمار اليوناني 135

ثانياً ـ ليبيا في عهد أسرة باتوس 147

ثالثاً ـ ليبيا في العصر الجمهوري 159
رابعاً ـ العلاقة بين الليبيين والإغريق 164
خامساً ـ النشاط الاقتصادي في العصر اليوناني 173
سادساً ـ الاحتكار الملكي لنبات السلفيوم 190
الفصل السادس: ليبيا في عصر البطالمة 199
أولاً ـ الحياة السياسية 201
ثانياً ـ الحياة الاقتصادية 211
الفصل السابع: ليبيا في العصر الروماني 231
أولاً ـ قورينائية في العصر الروماني 233
ثانياً ـ المدن الثلاث في العصر الروماني 236
الفصل الثامن: الجرمنت في فزّان 247
أولاً ـ الحياة السياسية (أصل الجرمنت) 249
ثانياً ـ العمارة 251
ثالثاً ـ الحياة الاجتماعية والحضارية 253
رابعاً ـ الحياة الاقتصادية 256
خامساً ـ الحياة الفكرية 257
سادساً ـ نهاية الجرمنت 258
قائمة المصادر والمراجع 259

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

كنت ألقيت بين عامي 1981 و 2000 سلسلة من المحاضرات في موضوع تاريخ ليبيا القديم على طلاب قسم الدراسات التاريخية والأثرية في كلية الآداب والتربية بجامعة قاريونس في مدينة بنغازي.

ونظراً للحاجة الملحة لمثل نصوص هذه المحاضرات لدارس التاريخ القديم والآثار والمثقفين من أبناء الوطن العربي، رأيت ضرورة نشرها في مجلد واحد علّه يسد نقصاً في مكتبتنا العربية، ويكون دافعاً إلى مزيد من الدراسات في تاريخ منطقتنا العربية القديم. ولذلك فقد طوّرت نصوص هذه المحاضرات مضموناً وشكلاً، كي تكوّن هذا المجلد في تاريخ ليبيا القديم، الذي هو جزء من تاريخ وطننا العربي الكبير، تاريخ وطننا العربي، الذي يحتاج إلى جهود مضنية وصادقة تظهر حقيقته كما هي بعيدة عن الخيال والعاطفة.

وطبيعي أن يستفيد الكاتب من أساتذته، ولذلك فقد استفدت في هذا المجلد من آراء أساتذتي الأجلاء ومن بينهم الأستاذ الدكتور إبراهيم نصحي، والأستاذ الدكتور مصطفى عبد العليم، فللجميع مني كل احترام وتقدير.

وأتقدم بالشكر والعرفان للأستاذ الدكتور توفيق سليمان، صاحب دار

أماني للطباعة والنشر في القطر السوري، لتفضله مشكوراً بطباعة هذا الكتاب أول طبعة، وإلى جامعة قاريونس التي أخذت على عاتقها طباعة الكتاب في طبعات متتالية ليسهل أمر تداول نصوصه المتكاملة بين الطلاب في الجامعات خاصة وبين طلاب العلم والثقافة في وطننا العربي الكبير عامة، فله مني كل تقدير وثناء.

أ. د. رجب عبد الحميد الأثرم

2001

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

كان لموقع ليبيا الجغرافي الممتاز أبلغ الأثر في تاريخها؛ فهي تتوسط شمال قارة أفريقيا وتمتد من شواطىء البحر المتوسط حتى مسافة بعيدة في الداخل مما جعلها على اتصال مع جناحي هذه القارة وأواسطها، لذلك فهي على اتصال وثيق مع أعظم الحضارات القديمة وأعرقها، فالمخلفات الأثرية سواء من عصور ما قبل التاريخ أم من العصور التاريخية تدل على أن ليبيا القديمة لم تكن منعزلة عن البيئات المحيطة بها بل متصلة بهذه البيئات سياسياً واقتصادياً وحضارياً، ولم تكن هذه الصلات بطبيعة الحال على وتيرة واحدة في كل عصر أو مع كل بيئة.

ولعل أقدم هذه الصلات وأوثقها ما كان قائماً منها مع المصريين منذ بداية التاريخ المصري القديم إن لم يكن منذ عصور ما قبل التاريخ وخاصة في عصر البرونز، وما لبثت أن قامت علاقات مع الفينيقيين والإغريق والرومان وطبيعي أن تكسب هذه الصلات بين ليبيا وبين أعرق مراكز الحضارة تاريخ ليبيا أهمية كبيرة.

وعلى الرغم من أن اسم ليبيا يعتبر من الأسماء الجغرافية التي استخدمت منذ أقدم العصور التاريخية، إلاّ أنه لم يأخذ معناه المحدد الذي يعرف به في

المجال الدولي المعاصر إلاّ مع بداية الاستعمار الإيطالي لهذا البلد عام 1911م. فقد ورد في النصوص المصرية القديمة أن المصريين كانوا يعرفون في من عرفوا من عناصر عنصر اسمه الليبو، ويبدو أنه يتوفر لدى هذا العنصر من الصفات مما أضفى اسمه أمداً طويلاً على كل من كان يسكن غرب مصر حيث انتشر وعم وأصبح في الغالب مصدر اسم ليبيا بأسره.

ويحدثنا هيرودوتس في كتابه الثاني أن الإغريق قسموا العالم إلى ثلاث قارات، هي أوروبا وآسيا وليبيا، وأنهم اعتبروا أن مصر هي الدلتا وأن نهر النيل هو الحد الفاصل بين آسيا وليبيا، وأن الساحل الشمالي لقارة ليبيا يبدأ من حيث تنتهي مصر حتى رأس سبارتل على المحيط الأطلسي جنوب غرب مدينة طنجة في المغرب ومعنى ذلك أن إسم ليبيا كان يعني لدى الإغريق كل ما هو معروف من قارة أفريقيا آنذاك حيث إن اسم أفريقيا لم يكن قد عرف بعد.

وقد ظل إسم ليبيا أمداً طويلاً على نحو ما عرفه الإغريق، ولكن منذ القرن الثاني ق.م بدأ اسم أفريقيا في الظهور حيث أطلقه الرمان على المناطق التي خضعت لسلطانهم في هذه القارة، فعندما قضى الرومان على السيادة الفينيقية في قرطاجة سنة 146ق.م سموا ما استولوا عليه ولاية أفريقيا وقد اشتق هذا الإسم من إسم إحدى القبائل المحلية التي تدعى قبيلة أفري في تونس. وبذلك اقتصر إسم ليبيا على المنطقة الواقعة إلى الشرق من أفريقيا الرومانية وهو ما ينطبق على حدود ليبيا الحالية موضوع هذا الكتاب الذي يدرس عدة عصور وهي عصور ما قبل التاريخ والفترة المقابلة للعصر الفرعوني في مصر القديمة والعصر الفينيقي والعصر الإغريقي والعصر البطلمي والعصر الروماني. وبالرغم من اتساع موضوع هذا الكتاب فإن قلة المراجع تشكل عقبة في سبيل استيفاء بحثه بحثاً مستفيضاً؛ فالمؤلفات القديمة التي تم الاعتماد عليها لم تشر إلى ليبيا إشارات كافية كان القصد منها دراسة تاريخ هذه الشعوب وليس دراسة تاريخ الشعب الليبي، الأمر الذي جعلنا نتعامل معها بعين الحذر ونأخذ منها ما يخدم تاريخ هذا البلد الذي أتشرف بالانتماء إليه.

ويسرني في نهاية هذه المقدمة أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى الأخ مصطفى الفلاح مدير إدارة المطبوعات والنشر بجامعة قاريونس الذي شجعني على إعادة طباعة هذا الكتاب وبذل جهداً يشكر عليه فلولاه لما رأى هذا الكتاب النور في هذا الوقت القصير.

أ. د. رجب عبد الحميد الأثرم
أستاذ التاريخ القديم بجامعة قاريونس

الفصل الأول

ليبيا في عصور ما قبل التاريخ

العصور الحجرية

«العصور الحجرية في ليبيا»

1 ـ العصر الحجري القديم

2 ـ العصر الحجري الوسيط

3 ـ العصر الحجري الحديث

تبدأ هذه الفترة من ظهور أول نشاط إنساني إلى الوجود وتنتهي عند ظهور الكتابة والتدوين. ونظراً لأن معظم الصناعات البشرية في هذه الفترة كانت من الحجارة، فقد عرفت فترة ما قبل التاريخ بالعصور الحجرية أيضاً.

الفصل الأول

العصور الحجرية

تتطرق هذه الدراسة إلى الإنسان القديم وإنجازاته الحضارية والبيئة التي كان يعيش فيها في عصور ما قبل التاريخ. تلك الفترة الموغلة في القدم والتي تبدأ من ظهور أول نشاط إنساني إلى الوجود وتنتهي عند ظهور الكتابة والتدوين لأول مرة في حوالي عام 4000ق.م. ونظراً لأن معظم الصناعات البشرية في هذه الفترة كانت من الحجارة فقد عرفت فترة ما قبل التاريخ بالعصور الحجرية أيضاً.

وتعتبر دراسة هذه الفترة من الدراسات الهامة جداً في مجال الآثار لأنها تتعلق بأصول الحضارة الإنسانية وتوضح كيف تطورت الحضارة الإنسانية عبر القرون حتى وصلت إلى ما هي عليه من مدنية اليوم. ولهذه الفترة أهمية خاصة في الجماهيرية لأنها قطر يتمتع بموقع جغرافي فريد يكاد يتوسط دول العالم القديم. فهو يصل الصحراء الكبرى وما وراءها بجنوب غرب أوروبا ويصل مشرق العالم العربي بمغربه. ولذلك فإنه يعد نقطة التقاء حضاري بين الأمم القديمة منذ عصور ما قبل التاريخ. وقد حظيت الجماهيرية بدراسات هامة في هذا المجال قام بها نفر من علماء الآثار البارزين: منهم الدكتور تشارلس ماكبرني الذي أجرى عدداً من الدراسات الأثرية في المنطقة الشرقية. والدكتور فابريشو موري الذي قام بعدد من الدراسات في جنوب غرب ليبيا.

وفرانس فانتولي في جبال العوينات.

وقد وفر لنا هؤلاء العلماء معلومات أساسية أعطتنا صورة واضحة عن آثار ما قبل التاريخ في ليبيا.

كانت بيئة الجماهيرية الليبية في عصور ما قبل التاريخ تختلف اختلافاً كبيراً عن بيئتها الحالية. إذ كانت البرودة تسود في شمالها لدرجة أن بعض المناطق كان يغطيها الجليد في بعض الأحيان، وخاصة في الشقة الساحلية التي يشابه مناخها مناخ جنوب غرب أوروبا، وكانت تنبت فيها الغابات المدارية الكثيفة من أشجار الصنوبر والبلوط. أما الجزء الجنوبي منها فقد كانت تهطل فيه أمطار غزيرة جداً ومناخها يشبه مناخ المناطق الإستوائية الحالية، وفيه أنهار جارية طول العام وبحيرات كثيرة، وتعيش فيها فصائل متنوعة من الحيوانات المائية مثل التماسيح والأسماك، والحيوانات البرمائية مثل وحيد القرن إلى جانب الحيوانات الكبيرة من آكلة الاعشاب مثل الأفيال، كما توجد فيها السباع من نمور وأسود ـ تلك الحيوانات التي لا توجد اليوم إلاَّ في أواسط أفريقيا على بعد مئات الكيلومترات من الجماهيرية.

عاش الإنسان الليبي في هذه البيئة الغنية وخلف آثاراً هامة تشهد بمستواه الحضاري وقتذاك. ويمكن تقسيم فترة ما قبل التاريخ من ليبيا تمشياً مع التقسيمات المتعارف عليها عالمياً إلى ثلاثة عصور حجرية: العصر الحجري القديم، والعصر الحجري المتوسط، والعصر الحجري الحديث. وإليك بعض النماذج من هذه العصور.

العصر الحجري القديم:

هذا هو أكثر عصور ما قبل التاريخ قدماً وأطولها عمراً، ولذلك قسم هو بدوره إلى ثلاثة أقسام داخلية: 1 ـ العصر الحجري القديم الأسفل، والعصر الحجري القديم الأوسط والعصر الحجري القديم الأعلى.

العصر الحجري القديم الأسفل:

عرفت أقدم الأدوات الحجرية التي وجدت في ليبيا في هذا العصر بالأداة **الأشولية**، وهي أداة حجرية لوزية الشكل ومنحوتة من وجهين، ولذلك عرفت أحياناً بذات الوجهين. وسميت بأشولية لأنها اكتشفت أول مرة في سان آشول بفرنسا فاتخذت هذا الإسم حيثما يتم اكتشافها بعد ذلك. ونجدها في عدد كبير من المواقع بالجماهيرية؛ مثلاً تم اكتشافها في بعض المناطق من الجبل الأخضر في كهف هوافطيح في رأس الهلال بسوسة وفي وادي درنة، وأيضاً في الجبل الغربي بالقرب من طرابلس، وقد قدر عمرها في السواحل الليبية بحوالي مائة ألف سنة ق.م. كما تم اكتشافها في عدد من المواقع الصحراوية مثلاً في وادي الآجال ـ وادي الحياة اليوم ـ وفي جبال بني غنيمة وبالقرب من سبها.

العصر الحجري القديم الأوسط:

بدأ هذا العصر في حوالي 65000ق.م وانتهى في حوالي 45000ق.م. ومن أهم أدواتها الحجرية أداة أطلق عليها الأداة **الموستيرية** وهي على هيئة القلب لها حواف حادة ومستقيمة. وكانت تصنع بتسوية الحجارة من وجه واحد لذلك عرفت بذات الوجه الواحد، وهي أداة صنعت بمهارة أكثر من الأداة الأشولية، وسميت بالموستيرية لأنها اكتشفت أول مرة في منطقة بهذا الإسم في فرنسا ولذلك حملت هذا الإسم حيثما وجدت بعد ذلك. إكتشفت هذه الأداة في عدد من المناطق بالجماهيرية من طرابلس وحتى الجبل الأخضر مروراً بخليج سرت وأيضاً في الصحراء الليبية. وتطورت هذه الأداة في الشمال الأفريقي إلى أنواع متعددة من الفؤوس الحجرية وأسنة الرماح، واتخذت صناعتها أسماء محلية كان أقدم هذه التطورات في بئر **العاطر** في الجزائر لذلك أطلق على أداتها النموذجية إسم الأداة العاطرية. ولقد انتشرت

في رقعة واسعة من الساحل المغربي وشملت حتى المنطقة الشرقية من الجماهيرية وخاصة في كهف هوافطيح الذي سبق ذكره.

وتعتبر فترة العصر الحجري القديم الأوسط هذه في غاية الأهمية في ليبيا لأنه قد تم فيها اكتشاف أقدم بقايا للإنسان الليبي القديم. وهو نوع من فصائل الإنسان القديم الذي يطلق عليه العلماء إسم إنسان **النيندرتال**، وهو من نوع الإنسان العارف الذي يعتقد بأنه انقرض قبل تطور الإنسان الحديث. ويسمى بالنيندرتال لأن أول نموذج لفصيلته قد اكتشف في بحيرة نيندرتال بألمانيا. وفصيلة الإنسان الذي وجد في ليبيا يشبه فصيلة أنسان آخر وجدت بقاياه في كهف الطابون في فلسطين. مما حدا بالعلماء للاعتقاد بوجود صلات عرقية بين سكان الجبل الأخضر بليبيا وسكان الطابوني في فلسطين قبل 50000ق.م.

العصر الحجري القديم الأعلى:

يتراوح الامتداد الزمني لهذا العصر بين 35000 و 15000ق.م. ومن أهم خصائصه ظهور نوع جديد من الأدوات الحجرية عرفت **بالنصال**. والنصل هو آلة حجرية شكلها شبه مستطيل ويكون طولها ضعف عرضها مرتين أو أكثر، ولها حدان متوازيان. ولعل من الأدوات النموذجية لهذا العصر تلك التي اكتشفت في المنطقة الشرقية من ليبيا في كل من كهف حققه الطيرة بالقرب من بنغازي وفي كهف هوافطيح وفي كهف حققه الضبع في وادي الكوف. ونظراً لاكتشاف أعداد هائلة من الأدوات النصلية النموذجية في الكهف الأخير فقد أطلق على هذه الصناعة في ليبيا بالصناعة الضبعانية وعلى الثقافة التي تنتمي إليها بالثقافة الضبعانية. ولقد عاصرتها عدد من الثقافات المحلية في الوطن العربي مشرقه ومغربه. فمثلاً عاصرت ثقافة تعرف بالعمرونية من فلسطين وثقافة أخرى عرفت بالسبيلية في مصر، وثقافتين مغربيتين إحداهما عرفت بالوهرانية في الجزائر والأخرى عرفت

بالقفصية في تونس. ورغم الشبه بين جميع هذه الثقافات النصلية إلاّ أن الثقافة الضبعانية أقدمها عمراً وأكثرها دقة في الصنع، ولذلك فإن العلماء يعتبرونها أصل الحضارات النصلية في الوطن العربي. كما يرون بأن الحضارة الليبية في هذا العصر كانت أصل الحضارة الأوروبية المعاصرة لها لأنها تمتاز عليها في الصناعة وأقدم منها في العمر.

ويعتقد بأن الإنسان الذي صنع الحضارة الضبعانية من نوع الإنسان الحديث وهو الجد المباشر للإنسان المعاصر الذي إنتشر في هذه المنطقة بعد انقراض الإنسان النيندرتالي الذي سبق ذكره. وكان يعيش في جماعات متجولة من مكان لآخر بحثاً عن القوت والمأوى، وكان يعتمد في غذائه اليومي على صيد الحيوانات البرية مثل الغزلان والأبقار المتوحشة ويلتقط ثمار الأشجار في بيئة وفيرة الأمطار. وتكسو المنطقة غلالة نباتية كثيفة من أشجار البحر المتوسط في الشمال، وإلى الجنوب منها غابات استوائية.

العصر الحجري المتوسط العام:

هذا عصر انتقالي يتوسط بين العصرين الحجرين القديم والحديث، ويحدد العلماء عمره بالفترة ما بين 14000 إلى 10000ق.م إتسمت أدوات هذا العصر بدقة في الصناعة وصغر في الحجم، حتى أنها سميت بالأدوات القزمية نظراً لصغر حجمها. ومن أهم أدوات هذا العصر الأزاميل الحجرية ذات المقابض، إذ إنها كانت تركب في أيدٍ من الخشب تستعمل كمقابض وتختلف مظاهرها الصناعية من منطقة لأخرى. فمثلاً نجد الأدوات الوهرانية التي سبق ذكرها أصبحت صغيرة الحجم وتحولت إلى أدوات قزمية في عدد كبير من المناطق في شمال أفريقيا. وأطلق على ما وجد من نماذج منه في ليبيا إسم الوهرانية الشرقية. ولقد وجدت هذه الصناعة في الجبل الأخضر، وفي خليج سرت، وفي منطقة طرابلس وعدد من المواقع الصحراوية في جنوب غرب ليبيا. ولمعظم الأدوات الليبية في هذه الفترة أشكال هندسية من

مثلثات ومربعات ودوائر وأشكال مخروطية، وكان يطلق عليها أحياناً الوهرانية الليبية.

ومن الناحية المناخية فقد اتسم هذا العصر بتغييرات مناخية مفاجأة، إذ بدأ الجو الدافىء يسود المناطق الشمالية التي كان يسيطر عليها جو بارد وخرج الناس من الكهوف وسكنوا في المناطق المكشوفة المجاورة لهذه الكهوف. وكان الإنسان لا يزال يعيش في جماعات صغيرة متجولاً من مكان لآخر طلباً للطعام مما توفره البيئة الطبيعية من خيرات.

ملاحظة عامة عن العصر الحجري القديم بأقسامه والعصر الحجري الوسيط العام: كان الإنسان في هذين العصرين لم يكتشف بعد استئناس الحيوانات ولا زراعة المحاصيل ولذلك كان يعتمد في حياته اليومية على ما تجود به الطبيعة من مواد خام. فهو يصطاد الحيوانات البرية، ويلتقط ثمار النباتات البرية، ويسكن في الكهوف والمخابىء الجبلية، ولذلك كانت حياته تعتمد اعتماداً كلياً على البيئة الطبيعية بطريقة مباشرة. ولذلك لم يعرف الاستقرار واقامته المساكن الثابتة بل كان يتجول من مكان لآخر وفقاً للظروف البيئية وتوفر ما يحتاج إليه من مواد خام. وكان يسكن الكهوف عندما يكون في الجبال ويسكن في منازل مبنية من مواد بسيطة يمكن ترحيلها عندما يسكن في المناطق السهلية.

العصر الحجري الحديث:

هذا هو آخر عصور ما قبل التاريخ. امتاز عن غيره من العصور السابقة له بالتغييرات التي طرأت على البيئة الطبيعية وعلى نشاط الإنسان الاقتصادي والاجتماعي. ومن أبرز سمات هذا العصر هو أن الإنسان قد عرف **الزراعة** لأول مرة كما عرف أيضاً **استئناس الحيوانات**، وأصبح اقتصاده يقوم على الإنتاج الزراعي وتربية الحيوانات بدلاً من جمع الثمار البرية وصيد الحيوانات

البرية. أدى هذا النمط الاقتصادي الجديد إلى تغيير هائل في حياة الإنسان، إذ استطاع أن يحيى حياة الاستقرار وقام **ببناء المساكن المستقرة** وبلغ رقياً صناعياً بعيد المدى في صناعة الآلات الحجرية. واكتشف **صناعة الفخار** لأول مرة في هذا العصر، وتطورت ملكاته الفنية وقام باختراع **الآلات المعدنية**.

هناك عدد هائل من مواقع العصر الحجري الحديث تم العثور عليها في الجماهيرية في الجبل الغربي ومنطقة طرابلس وبني وليد والأودية المجاورة لها مثل وادي ميمون، وسوف الجين، وفي خليج سرت وفي الجبل الأخضر، من منطقة العقورية حتى وادي درنة. ولكن أهم مواقع العصر الحجري الحديث في ليبيا هي ما وجدت في مناطقها الصحراوية اليوم، وخاصة في حواف الأودية مثل وادي الآجال ـ وادي الحياة حالياً ـ ووادي برجوج، وفي المرتفعات الجبلية مثل جبال تدرات الأكاكوس وجبال بني غنيمة في جنوب غرب ليبيا وجبال العوينات في جنوب شرقها. كشفت هذه المواقع عن كميات كبيرة من صناعات العصر الحجري الحديث المتطورة والمتمثلة في أحجار الرحى ورؤوس السهام والفؤوس الحجرية وجميعها كانت دقيقة في صناعتها وجيدة الصقل. كما تشهد بقايا الحيوانات والنباتات التي وجدت في بعض هذه المواقع بأن الإنسان الليبي كان يزاول الزراعة ويربي الحيوانات مثل الأبقار، والضأن، والماعز في بداية العصر الحجري الحديث ثم أخذ يربي الخيول والإبل في وقت متأخر منه. وإنه كان قد نال قدراً كبيراً من الاستقرار في كثير من المناطق في الصحراء الحالية.

ولعل من أهم مميزات هذا العصر في الجماهيرية هو **الفن الصخري** الذي يشهد بالبراعة الفنية الرقيقة التي بلغها الفنان الليبي في عصور ما قبل التاريخ. فهناك الآلاف من اللوحات الفنية البديعة تصور الناس والحيوانات والمظاهر الطبيعية الهامة. فهي تصور الحيوانات ترعى في مراعيها، أو واقعة كفرائس للإنسان أو أليفة يمتطي الناس ظهورها وتحمل الأثقال. وتصور الناس أفراداً وجماعات في حالة الحرب في مواقف قتالية وفي حالة السلم في

جلسات أسرية هادئة وبجانبهم الأطفال. أو في مواقف **رقص** وابتهاج. كما تصور المنازل وأثاث هؤلاء الأقوام. وإلى جانب ذلك فقد صورت البيئة القديمة وحيواناتها بطريقة صادقة. صورت الأمطار وهي تهطل والتماسيح سابحة في الأنهار والأشجار المثمرة كما صورت السماء بنجومها المضيئة وشمسها المحرقة.

وإلى جانب القيمة الفنية لهذه اللوحات فإنها قد زودتنا بمعلومات قيّمة كشفت لنا عن آفاق كثيرة لحياة الإنسان القديم في ليبيا والبيئة التي كان يعيش فيها. فقد استطاع العلماء أن يستنبطوا من ملامح الصور البشرية المرسومة في جدران الكهوف على أنه كانت تسكن ليبيا ثلاث مجموعات بشرية وهي: مجموعة متوسطية تنتمي إلى شعب البحر المتوسط وهي من فصائل الأقوام البيض. ومجموعة **زنجية** تنتمي إلى المجموعات الأفريقية التي تسكن جنوب الصحراء. ومجموعة ثالثة هجين عبارة عن خليط من المجموعتين الأولى والثانية اللتين سبق ذكرهما. كانت هذه الأقوام تعيش في تجمعات صغيرة ولكن لها أنظمة اجتماعية دقيقة تقوم بتنظيم السكان في وقتي الحرب والسلم وتوزع عليهم الموارد الاقتصادية، وتحل منازعاتهم. وفي نهاية هذا العصر عرف الإنسان الليبي صناعة المعادن مثل النحاس والحديد وصنع منها السيوف والحراب وبذلك أصبح أكثر فعالية في الحروب وفي الدفاع عن نفسه. وكان يستخدم العربات المعدنية التي تجرها الخيل في صيد الحيوانات الكبيرة مما ساعد في توسيع قاعدته الاقتصادية.

الخاتمة:

مما مضى نرى بأن ~~الجماهيرية الليبية~~ قد مرت بالمراحل الرئيسية لفترة ما قبل التاريخ وتطورت فيها الصناعات الحجرية من بدائية بسيطة إلى أدوات متطورة متعددة الاغراض، في بيئة وفيرة الأمطار وغنية بالحيوانات والنباتات. كما تطورت الحياة الاجتماعية من التجوال بحثاً عن الطعام مما تجود به

الطبيعة من خيرات خام، إلى حياة الاستقرار القائمة على إنتاج الطعام بواسطة الزراعة ورعي الحيوانات. كما عرف الإنسان الفن وقام بإنجاز لوحات هامة في الصخور وفي الكهوف عبّر فيها عن خواطره وأفكاره الفنية ورسم لنا صورة حية عن حياته الاقتصادية والاجتماعية والمحيط البيئي الذي كان يعيش فيه.

كل هذه الإنجازات التاريخية تدل على أن هذا القطر قد لعب دوراً هاماً في المسار الحضاري للإنسان في فترة ما قبل التاريخ وكان له علاقات واسعة مع المناطق المجاورة له.

أهم المراجع العربية

1 ـ بازامة، محمد مصطفى: تاريخ ليبيا في عصور ما قبل التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي 1973.

2 ـ باقر، طه: عصور ما قبل التاريخ في ليبيا وعلاقتها بأصول الحضارات القديمة، بحث نشر في كتاب ليبيا في التاريخ، إعداد فوزي فهيم جاد الله، منشورات الجامعة الليبية بنغازي، (د.ت)، ص ص 1 ـ 41.

3 ـ موري، فابرتيشيو (ترجمة عمر الباروني وفؤاد الكعبازي) تدرات الأكاكوس: الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، سلسلة الدراسات التاريخية 12، طرابلس 1988.

الفصل الثاني

الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ليبيا في الفترة المقابلة للعصر الفرعوني

أولاً الحياة السياسية

العلاقات الليبيّة المصريَّة
حتى تأسيس الأسرة الثانية والعشرين الليبيّة

الفصل الثاني

الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ليبيا في الفترة المقابلة للعصر الفرعوني

يمكن تقسيم تاريخ ليبيا منذ عصر ما قبل الأسرات في مصر وحتى نهاية العصر الروماني إلى فترتين رئيستين على أساس المصادر، التي نستمد منها معلوماتنا عن هذا التاريخ. وتسمى الفترة الأولى بالفترة المصرية لأن مصادر معلوماتنا عن تاريخ ليبيا تكاد تكون مقصورة على المصادر المصرية. وتسمى الفترة الثانية بالفترة اليونانية الرومانية، لأن كل مصادرنا عنها تكاد تكون يونانية أو رومانية. وتمتد الفترة الأولى منذ عصر ما قبل الأسرات حتى مجيء الإغريق إلى قورينائية في القرن السابع ق.م، وتمتد الفترة الثانية منذ هذا التاريخ وحتى الفتح العربي في القرن السابع الميلادي.

والجدير هنا بالذكر أن هذه المصادر عبارة عن أخبار تمثل وجهة نظر غير الليبيين، لذلك لا تخلو من كثرة المبالغات، فضلاً عن أنها لا تمدنا بتاريخ مفصل متصل بالليبيين، ولكنها للأسف المصادر الوحيدة التي بين أيدينا. ونأخذ من هذه المصادر بعين الحذر ما يخدم تاريخ هذا البلد، لأنه لم يعثر في ليبيا حتى الآن، على مخلفات أثرية تخص تاريخها قبل قدوم الإغريق وخاصة في عصر البرونز، الأمر الذي دعا بعضهم إلى ترجيح خلو المنطقة من

هذه الوثائق[1]. ولكننا لا نتفق تماماً في الرأي مع هؤلاء، كما سيتضح من خلال نصوص الفصول التالية من هذا الكتاب.

وأما في ما يتعلق بالعصر اليوناني وما بعده، فقد حدثنا هيرودوتس عن أحوال الإقليم في كتابه الرابع. وتوالت بعده كتابات الكتّاب والمؤرخين والجغرافيين الكلاسيكيين من الإغريق والرومان. كما أن أرض قورينائية أخرجت لنا ولا زالت تخرج الوثائق الخاصة بتاريخها في هذه الفترة.

إن أول الشواهد الأثرية، التي قد تشير إلى علاقة الليبيين القدماء مع مصر يرجع تاريخها إلى الألف الرابع ق.م[2]. ونجدها في منظر المعركة نقشت على أحد وجهي مقبض عاجي لسكين عثر عليه بجبل العركي تجاه نجع حمادي بالصحراء الشرقية ويوجد الآن بمتحف اللوفر (الصور 4 ـ 6). ويعتقد بعض الباحثين[3] أن هذا المنظر يمثل معركة بين ليبيين، الذين نرى صورهم

---

(1) T.H. Carter in Expedition. The Bulletin of the University of the University Museum of Pennsylvania 1963, vol. V, N 3, pp. 18FF.
كان غرض البعثة الأساسي التنقيب عن آثار الليبيين في عصر البرونز، الذين سكنوا قورينائية معاصرين لمصر الفرعونية وجاء ذكرهم في نصوصها لا سيما في القرنين الثالث عشر والثاني عشر ق.م واشتركوا في الحروب بين أقوام البحر والمصريين، ومحاولة العثور على مواقعهم الساحلية، حيث عملوا وسطاء تجاريين في السلع المهمة بين وسط أفريقيا ومصر وبحر إيجة. ولكن البعثة لم توفق في تحقيق آمالها وجاء في ختام تقريرها «ص 37 وما بعدها» أنها تعتقد أن ليبيي العصر البرونزي عاشوا حياة البداوة، ولم تكن لهم محلات إقامة ثابتة أو دائمة وأنهم لم يتركوا أية آثار معمارية.

(2) يرى شامو أنه لكي يكون تصورنا لليبيين معقولاً، عندما نعتمد على وثائق مصرية، فمن الواجب أن نقول إن القبائل المصرية التي تسكن عند حدودها الغربية وتلك القبائل الليبية التي تسكن شرق ليبيا كانت عبارة عن شعب واحد. فإذا كان مثل هذا الاعتبار موفقاً ظهرت قيمة الوثائق المصرية لمؤرخ ليبيا، أنظر: F. Chamoux: cyrene sous la Monarchie des battiades, paris: 1953 p. 38.

(3) عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، الجزء الأول، القاهرة 1962، ص 187 ومصطفى عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي 1966، ص 11.

B.W. Emery, Archaic Egypt, London:1970, p. 38f. Fig. 1 and p 1. (a).

(2)

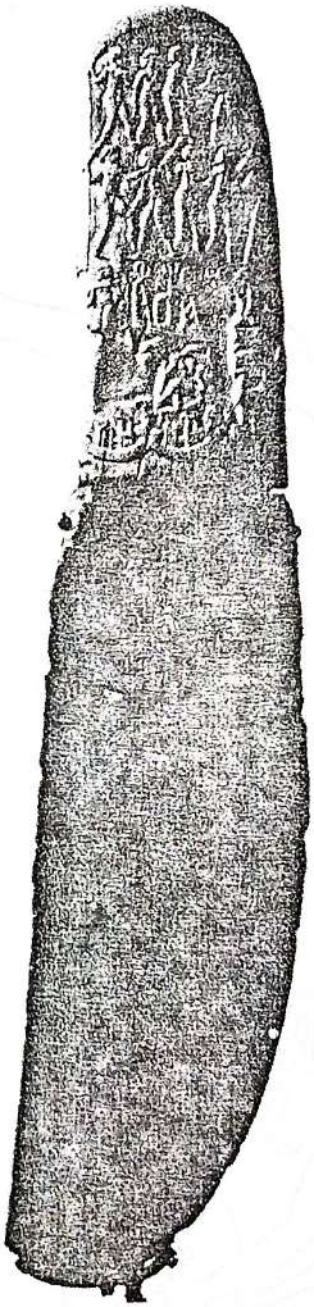

(1)

(3)

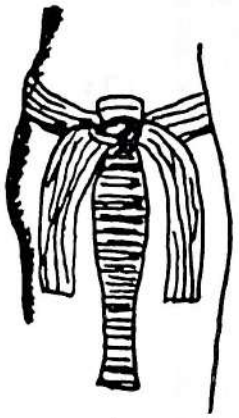

(4)

(6)

(5)

(8)

(7)

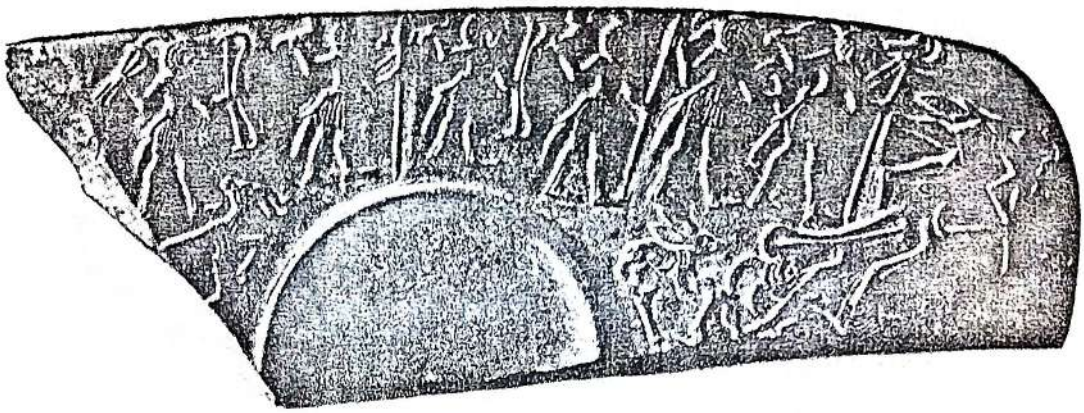

(9)

(10)

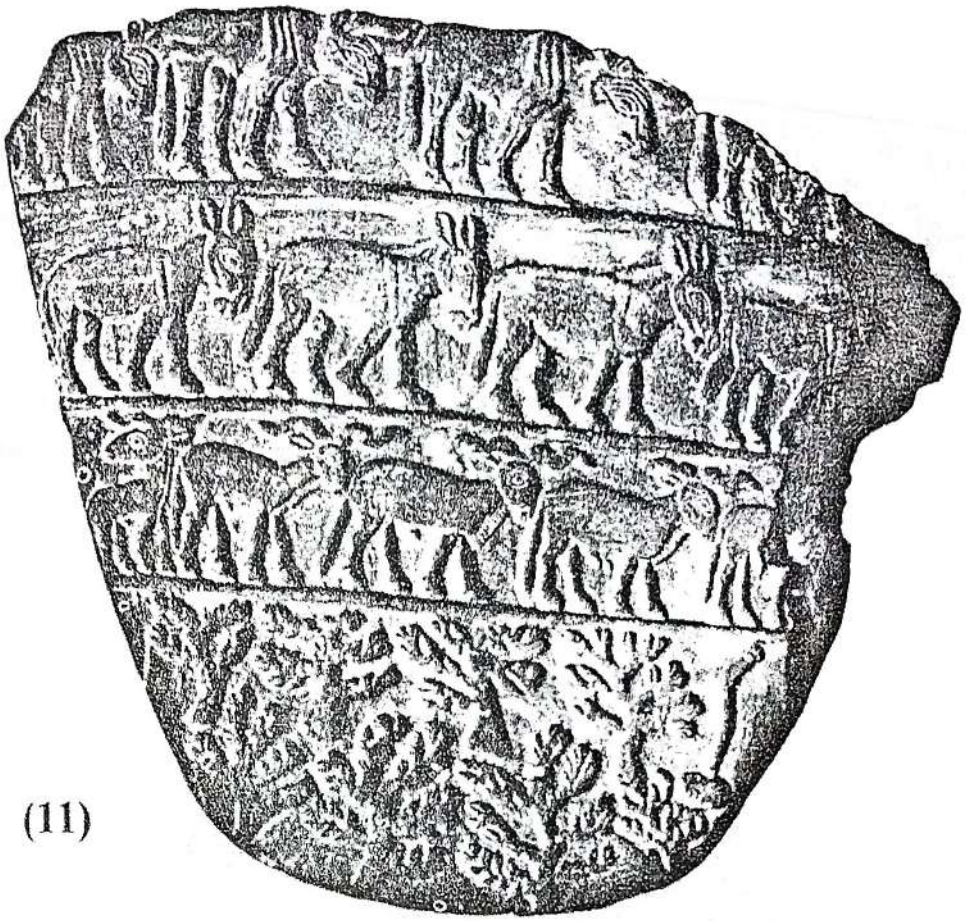

(11)

(12)

في مصادرنا من عصر الأسرات، إذ نرى في هذا المنظر رجالاً لهم خصلة من الشعر تنسدل على جانب الرأس ويقتصر رداؤهم على قراب يستر العورة (الصور 4 ـ 18).

وعلى لوحة تعرف باسم لوحة الصيد (الصورة 9) صور عليها أشخاص يحملون الأقواس والحراب وعصا الرماية Foomerang وحولهم حيوانات كثيرة. وأهم ما في هذه اللوحة هو أشكال الصيادين فهم ملتحون ويلبسون قراب العورة. ولهذا يرى بعض الباحثين أنهم يمثلون جماعة من الليبيين استناداً إلى صور الليبيين في عصر الأسرات[1].

ولعل أهم الشواهد الأثرية التي تدل على الليبيين في فترة ما قبل الأسرات هي لوحة التحنو[2] (الصورتان 11 و 12) وقد عثر عليها في أبيدوس في مصر العليا ويرجع تاريخها إلى أواخر عصر ما قبل الأسرات. ففي هذه اللوحة استطاع العالم الألماني تسيتي أن يميز العلامة الهيروغليفية الدالة على التحنو[3]. وعلى أحد وجهي اللوحة سبعة مستطيلات تمثل مدناً محصنة كانت جميعها تحارب معاً في تحالف واستطاع الملك أن ينتصر عليها. أما المنظر على الوجه الآخر (الصورة 11) فيتكون من أربعة صفوف أفقية: الثلاثة الأولى

---

(1) عبد العزيز صالح، المرجع نفسه شكل 35 ص 193. = Emery, op. cit., 113, 167 pl.1 (B).

(2) أنظر الصورة أيضاً عند سليم حسن، مصر القديمة، الجزء السابع، القاهرة، 1950، ص 22. وأنظر أيضاً: G. Gadassi, Tehenu, Rome, 1942, p. 23.

(3) ZAS = Zeitschrift für ägyptische Sprache und Altertumskunde, Leipzig 1863-1943.

وكذلك سليم حسن، المرجع نفسه، ص 22 وما بعدها، وأنظر أيضاً:

H.Kees, Ancient Egypt, London, 1961, p. 40F.

V.G. Childe, New Light on the most Ancient East, London, 1958, p. 80 and pl. XII.

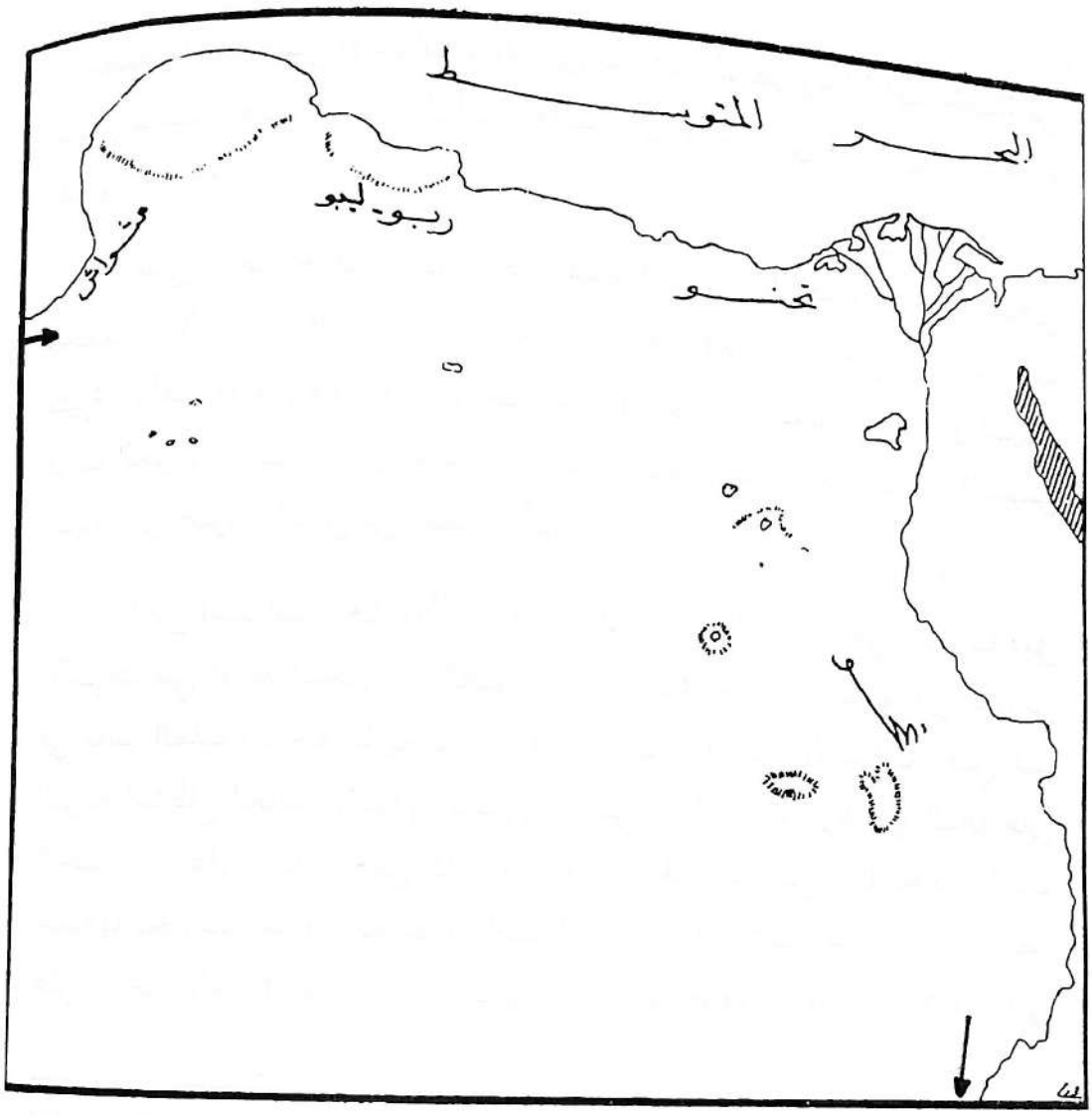

الخارطة 1: توضح القبائل الليبية في الفترة المقابلة للعصر الفرعوني (عام 1200ق.م)
(عن كتاب O. Bates, The Eastern Libyans).

صور ثيران وحمير وخراف على الترتيب. وأما الصف الرابع ففيه أشجار زيتون. وإلى يمين هذه الأشجار نقشت علامة التحنو. ومن الواضح أن الماشية والأغنام غنائم حرب، وشجر الزيتون رمز لزيت التحنو الثمين المشهور في مصر القديمة، وعلامة التحنو هنا تعتبر أقدم إشارة كتابية صريحة

في النصوص المصرية إلى الليبيين أو التحنو، الذين هم أقدم العناصر الليبية التي عرفها المصريون.

وإذا ما انتقلنا إلى **عصر الأسرات** وجدنا أن المصادر المصرية تشير إلى المجموعات الليبية التي تقطن إلى الغرب من مصر تحت أسماء التحنو والتمحو والريبو أو الليبو والمشواش وإلى عدد من الفروع منها الكهل والكبت والشاي والبكن والكيكش[1] (الخارطة 1).

لقد ظهر إسم **التحنو** منذ طلائع عصر الأسرات. فعلى أسطوانة من العاج عثر عليها في مدينة هيراكونيولبيس[2] نقش إسم الملك نعرمر أول ملوك الأسرة الأولى 3400 ـ 3200ق.م، وهو يضرب ـ في تعبير رمزي ـ جماعة من الأسرى نقش فوقهم إسم تحنو[3] (الصورة 10) وفي نقش آخر صوّر الملك دجر وهو يقمع أسيراً تعلو صورته إسم تحنو[4]. وقد تكرر هذا الإسم في الأسرتين الثانية والثالثة 2778 ـ 2723ق.م، بوصفهم جماعة كان ينبغي على فراعنة هاتين الأسرتين محاربتها والتصدي لوقف هجماتها[5]. وقاد الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة 2723 ـ 2563ق.م، حملة ضد التحنو وأسر منهم 1100 أسيراً واستولى على 13100 رأس من الماشية والأغنام[6].

---

(1) O. Bates, The Eastern Libyans, New impression, London 1970, p. 46.

(2) الكوم الأحمر: شمال ادفو بصعيد مصر.

(3) W. Emery, op. cit., p. 44 fig 4; F. Chamoux, op. cit., p. 41.

(4) W. Emery: op. cit., p. 60 fig 23.

(5) تحدث المؤرخ المصري Manetho (مانيتو) عن ثورة قام بها الليبيون في مصر في أوائل عهد الأسرة الثالثة ضد الملك نفر ـ كارع، وإنه عندما زاد حجم القمر تشاءم الليبيون وألقوا أسلحتهم، وقارن أيضاً:
Bates, op. cit., p. 21: F.

(6) E. Dropton, and J. Vandier, l'Egypte, 3rd ed, Paris, 1952, p. 170.

وقد أمدتنا الأسرة الخامسة 2563 - 2423ق.م بمستندات أثرية وثقافية وفيرة عن التحنو. فقد زينت جدران معبد الملك سحورع ومعبد الملك نى-أوسر - رع في أبو صير بصور رائعة للأسرى والغنائم التي تم الاستيلاء عليها من التحنو[1]. وقد وردت في نقوش سحورع عبارة «ضرب تحنو»[2]. وتكتسب هذه النقوش أهمية خاصة لأنها تظهر لنا بوضوح سمات التحنو البشرية وملابسهم القومية التي تذكرنا بالليبيين الذين صوروا عل آثار ما قبل الأسرات. وتظهر هذه الصور أن التحنو ذوو قامة طويلة، وبشرة سمراء، وشعر أسود طويل حتى الكتفين، وتنتصب فوق الجبهة خصلة من الشعر، وللرجال لحية قصيرة. وتتألف ملابسهم من شريطين عريضين من الجلد يتقاطعان على الصدر مزخرفين بأشكال دقيقة، ويتدلى طرفاه على الظهر، وطوق عريض حول الرقبة تتدلى منه بعض الأشرطة، وحزام مزين بخطوط أفقية على جانبه غمد جلدي وينتهي من الأمام بكيس يستر العورة، ويتحلى الرجل بذيل حيوان[3].

وسكن التحنو الواحات المنتشرة بالصحراء الغربية بما فيها واحة سيوة

---

(1) نجد نفس المنظر مصوراً بعد أكثر من قرن من الزمان في معبد هرم بيبي الثاني من الأسرة السادسة، ونجد الزعماء الليبيين فيه يحملون الأسماء نفسها تماماً. ثم نجد المنظر نفسه مصوراً للمرة الثالثة على آثار الأسرة الخامسة والعشرين في معبد طهرقا في السودان حوالي 690ق.م، أي بعد نقش سحورع بحوالي 1800 سنة. والكثير من هذه المناظر أصبح كليشيهات ثابتة. ويعلق Arkell أن الكثير من هذه المناظر التي تمثل الحروب والانتصارات لا تخرج عن مناظر تقليدية. ويرى Kees أن منظر معبد سحورع هو الأصل نقله عنه الآخرون كما حدث ونقل خلفاء تحتمس الثالث قائمة المدن التي فتحها. راجع أيضاً، A.J. Arkell, A history of Sudan from Earliest time to 1821, 2 nd ed, London, 1961, p. 95; H. Kees op. cit., pp. 170 ff.

(2) Borchardt, Das Grabdenkmal des Königs Sahure, Leipzig 1913, S. 46.

وراجع أيضاً: أحمد فخري، مصر الفرعونية، الطبعة الثالثة، 1960، ص 85.

(3) F. Chamoux, op. cit., 42-3.

التي كانت بعيدة عن النفوذ المصري. وشمل إقليمهم كذلك الفيوم ووادي النطرون وهضبة مارماريكا[1].

أما **التمحو** فقد ورد ذكرهم أول مرة في نقوش الأسرة السادسة 2625 ـ 2465 في عهد الفرعون بيبي الأول على لسان قائد جيشه أوني في مقبرته في أبيدوس، حيث أخبر، عندما ذهب لمقاتلة قبائل آسيا، أنه كان من بين رجال جيشه فرقة من التمحو[2]. كما ورد اسمهم كذلك في النقوش التي خلفها لنا الرحالة حرخوف Harkouf في عهد الفرعون مرنرع[3] من الأسرة السادسة أيضاً على جدران مقبرته في جزيرة الفيلة Elephantine، إذ يقول إنه سار حتى بلاد تمحو في الجنوب الغربي من النيل[4]. وقد أشير إلى التمحو كذلك في قصة سنوهي في عهد الفرعون امنمحات الأول من الدولة الوسطى التي تشير إلى أنه عند موت أمنمحات الأول كان ابنه سيزوستريس الأول «سنوسرت الأول» يقاتل التمحو. وقد تُوّج هذا القتال بانتصار المصريين، حيث يحدثنا ديودورس أن الملك سيزوستريس قد استولى على جزء كبير من أرض ليبيا[5].

وقد أمدتنا نقوش الفرعون سيتي الأول من الأسرة التاسعة عشرة 1350 ـ

---

(1) A. Fakhry, Siwa Oasis, Cairo 1944, p. 22; W. Holcher, Libyer and Ägypter, 1937, p. 20 F.

(2) J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt, vol. 1, Chicago 1906-7, pp. 306-315.

وراجع سليم حسن، نفس المرجع، ص 37.

(3) سليم حسن، نفسه. ص 37 وأنظر: Breasted, op. cit., pp. 333/336.

(4) خلال فترة قرن كامل 2180 إلى 2080ق.م.، وهي فترة الاضمحلال الأول، يصمت التاريخ صمتاً يكاد يكون كاملاً من ناحية ليبيا ولا نعرف شيئاً حول ذلك على الإطلاق من الوثائق المصرية، ولعل ذلك راجع إلى قلة خطورة الهجمات الليبية أو أن الفوضى السائدة لم تسمح بالتسجيل.

(5) يقول سليم حسن في كتابه مصر القديمة، الجزء السابع، ص 41 أن التمحو ذوي بشرة بيضاء. أنظر أيضاً: Diodorus, 1, 53.

1205ق.م، بصور مكنتنا من معرفة ملابس التمحو وسماتهم البشرية. فهم يختلفون عن التحنو بأنهم بيض البشرة[1] وإن كان لبعضهم على الأقل شعر أشقر وعيون زرقاء. وإذا كان التمحو يماثلون التحنو من حيث اللحية المدببة وطريقة تصفيف الشعر فإنهم يختلفون عنهم من حيث غياب خصلة الشعر على الجبهة، وأن الجديلتين الجانبيتين تلتويان إلى أعلى قبل بلوغ الكتفين من حيث التحلي بريشتين فوق الرأس. وإذا كان التمحو قد اتخذوا مثل التحنو كيس العورة فقد ارتدوا فوق ذلك عباءة مزركشة من الجلد تلتف حول الجسم مارة تحت الإبطين وتغطي الكتف الأيمن، والذراع اليسرى كلها عارية وفي ذيلها شريط مخطط عريض (الصورة 13)، وكانوا فضلاً عن ذلك يزينون أذرعهم وسيقانهم أحياناً بالوشم بصور معينة الشكل أو صلبان مستطيلة، وأحب الأسلحة إليهم القوس والنشاب. ويبدو من الرسم أنهم كانوا يعرفون العجلات الحربية[2] التي يعتقد أنهم أخذوها عن المصريين[3]، ويقع موطنهم إلى الغرب

---

(1) ينسبون إلى البربر القاطنين في شمال أفريقيا وأنه لا توجد صلة بينهم وبين التحنو ذوي البشرة السمراء وليسوا فرعاً منهم.

(2) هذه الخصائص التي تنسب إلى التمحو الذين عرفهم المصريون تجعلنا نعتقد بأن هؤلاء التمحو هم الأسلاف المباشرون لليبيين في العصر الكلاسيكي. فقد لاحظ هيرودوتس طريقة تصفيف الشعر وكذلك عادة الوشم وأسلوب الملابس: Herodotus IV, 170-175-189. وأشار كذلك إلى أن مواطني قوريني الأصليين كانوا يعرفون استخدام العجلات الحربية منذ وقت مبكر: Herodotus IV, 170: VII 86, 184. كما وردت أوصاف مشابهة للتمحو عند كاليماخوس حيث كان يترنم بأناشيده بمصاحبة مجموعة من المنشدات الليبيات الشقراوات. وجملة القول إنه لم يحدث تغير فيزيقي على الليبيين ابتداء من القرن الرابع عشر وحتى القرن السادس ق.م.

(3) يبدو أن الليبيين قد توقفوا عن استخدام العربات في الحرب منذ فترة مبكرة، حتى إن الإغريق في قوريني لم يأخذوا عنهم هذا الاستخدام: Chamoux, op. cit., p. 46 وأنظر أيضاً: Holscher op. cit., p. 44. =

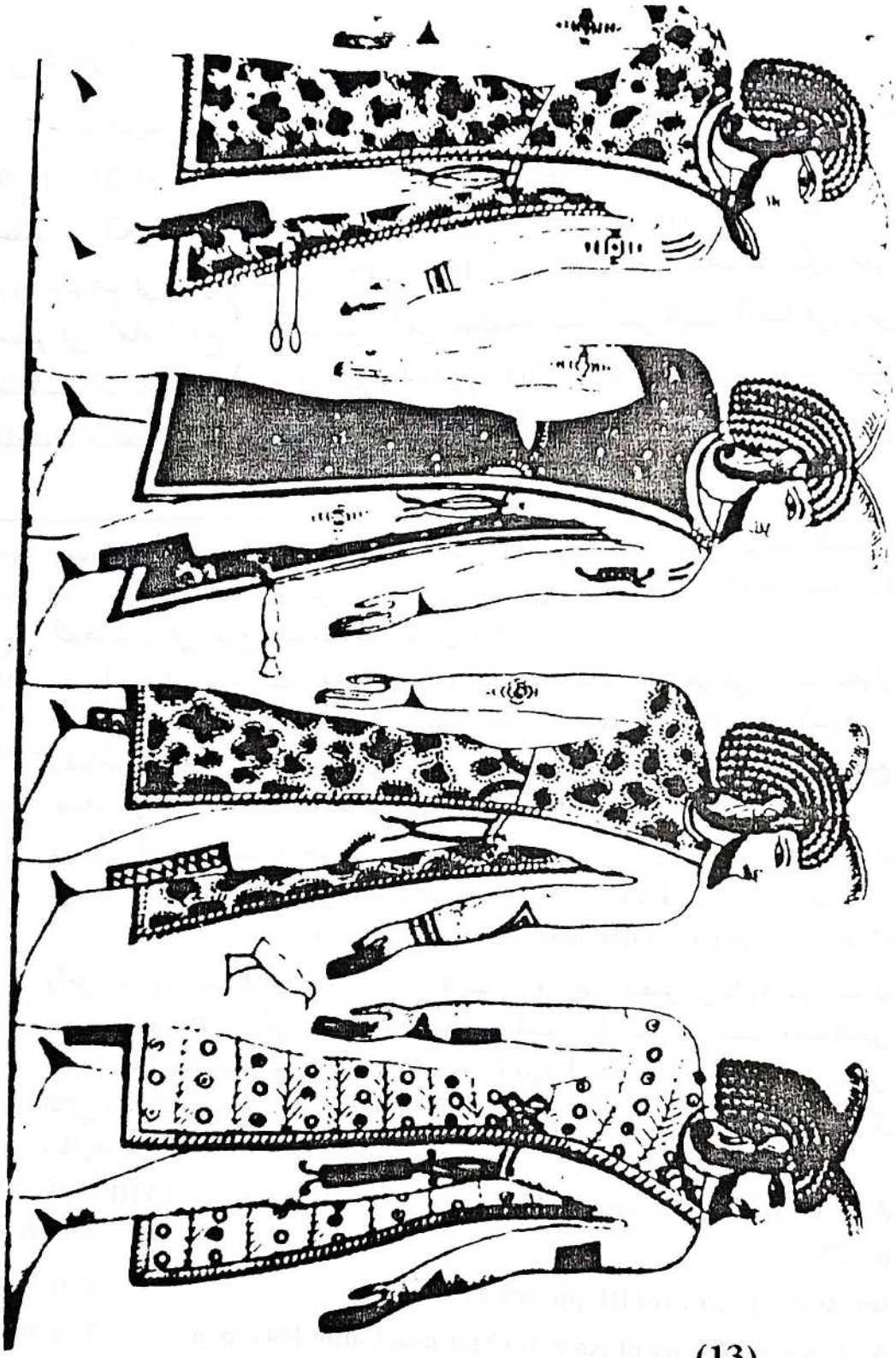

(13)

من التحنو[1].

أما الريبو أو الليبو[2] فقد ظهر اسمهم أول مرة في عهد رمسيس الثاني 1290 - 1223ق.م من الأسرة التاسعة عشرة على لوحة برج العرب التي عثر عليها في العلمين. وتدل على أن إقليمهم قد أخضع من قبل ذلك الملك، ثم ورد ذكرهم في زمن مرنبتاح 1223 - 1211ق.م، حيث صد هجوماً شنّوه على مصر في العام الرابع[3] والخامس[4] من حكمه، كما أشير إليهم أيضاً في زمن شيشنق الرابع من الأسرة الثالثة والعشرين 763 - 757ق.م[5]. وكان الليبو يقطنون منطقة الجبل الأخضر إلى الغرب من القبيلتين السابقتين وقد اشتق من

= ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن العربات التي استخدمها الليبيون تشبه العربات المصرية إلاّ أن عجلاتها لها أربع شوكات بدلاً من ست في العربة المصرية (= من محاضرة ألقاها شامو في مدرج كلية الآداب، مارس 81).

(1) يشير أحمد فخري في كتابه Siwa Oasis أن التمحو استولوا على مراعي التحنو بجوار الساحل واتجه بعضهم إلى الجنوب واستولى على الواحات حتى دارفور في السودان. وقد حاول التمحو دفع التحنو إلى وادي النيل. أنظر أيضاً سليم حسن، المرجع نفسه، ص 62 وما بعدها، وكذلك Chamoux op. cit., p. 51

(2) في رأيي أن هناك نطقاً واحداً فقط هو الليبو استناداً إلى الرأي القائل أن حرف الراء في اللغة المصرية القديمة في عهدها المتأخر Late Egyptian ينطق لاماً أنظر: A. Gardiner, Egyptian Grammar 3rd, ed., 1951, pp. 3-5.

ولعل مما يؤيد هذا الرأي أننا نجد اللام كتبت راء في هذه النصوص ذاتها التي تتناول شعوب البحر التي سيأتي ذكرها - والليبيين في أسماء اللوكيين والبلست والصقليين ولما كانت كلمة ليبو لم تظهر إلاّ ابتداء من الأسرة التاسعة عشرة في عهد رمسيس الثاني وخليفته مرنبتاح فليس لها إذاً إلاّ نطق واحد هو الليبو. وهكذا سمعها الإغريق ونقلوها عن المصريين حيث استعملت عبر العصور حتى الآن بنطقها الصحيح.

(3) A.A. Youssef, «Merenptah's four years, text Amada» A.S.A. LVIII 1964, p. 273.

(4) Breasted, op. cit., vol III, pp. 569-617.

(5) A. Rowe, A History of Ancient Cyrenaica, Cairo: 1948, p. 6.

اسمهم إسم ليبيا[1]. وأما عن ملابسهم وسماتهم البشرية فقد ظهرت في مناظر الحرب التي نشبت بينهم وبين رمسيس الثالث[2] 1198 ـ 1160ق.م، من الأسرة العشرين. لقد ظهرت عيونهم في بعض مناظر معبد مدينة هابو زرقاء[3] وشملت ملابسهم عباءة فضفاضة تلف الجسم يظهر منها أحد الكتفين عارياً، ويلبسون تحتها قميصاً قصيراً، وكان يحلّي الرأس ذؤابة (شوشة) مع ريشة أو ريشتين[4].

أما **المشوش** فقد كانت من أكبر القبائل الليبية وأخطرها على مصر وقد اشتهرت بقدرتها القتالية العالية. وورد ذكرها أول مرة في عهد الفرعون أمنحتب الثالث من الأسرة الثالثة عشرة 1580 ـ 1350ق.م[5]. ثم استمر ذكرها في أغلب النصوص المصرية من الأسرة التاسعة عشرة والأسرة العشرين والحادية والعشرين 1080 ـ 945ق.م. وقد تميزت هذه القبيلة باستخدامها للسيوف الطويلة المصنوعة من البرونز[6]، في عصر كل من مرنبتاح ورمسيس الثالث. وقد أدهش المصريين طول هذه السيوف غير العادي واستخدامها بكميات كبيرة، لدرجة أن مرنبتاح وضعها في مقدمة قائمة الغنائم[7]. أما عن ملابسهم فإنهم كانوا يلبسون بدلاً من القميص الذي

---

(1) Idem p. 5.

(2) يطلق على هذه الحرب إسم الحرب الليبية الثانية. أما الحرب الليبية الأولى فهي التي قامت بين الليبيين وسيت الثاني من الأسرة التاسعة عشرة، أنظر G.A Wainwright, «The Meshwesh» J.E.A 48, 1962, p. 89.

(3) سليم حسن، نفس المرجع، ص 44، 45؛ مصطفى عبد العليم، نفس المرجع، ص 32.

(4) G.A. Wainwright, op. cit., p. 92.

(5) G. Wainwright, op. cit., pp. 89-99.

(6) Idem, p. 96.

(7) Idem, p. 39.

يلبسه الليبو قراب العورة مثل التحنو، ويتفقون معهم أيضاً في أنهم يضعون غمداً جلدياً على جانبهم[1] (الصورة 17). وكانوا يتخذون الريشة فوق رؤوسهم ويلونون أجسامهم[2]. وأهم أسلحتهم السيف الذي ربما أخذوه من اختلاطهم بشعوب البحر، واستخدموا أيضاً العربات الحربية[3]. ووقع موطنهم الأصلي في منطقة خليج سرت[4] إلاّ أنهم أخذوا يتجهون شرقاً ناحية الحدود المصرية حتى أنهم في عهد الأسرة الثانية والعشرين كانوا قد استوطنوا واحة الداخلة[5] (الخارطة 2).

والواقع هو أن عصر الدولة الحديثة اعتباراً من عصر مرنبتاح (1223 ـ 1211ق.م) من أهم الفترات جميعاً، إذ خلفت لنا من المصادر والنقوش والصور ما يلقي أكبر قدر من الضوء على تاريخ قورينائية قبل قدوم الإغريق إليه، لأن عصر الدولة الحديثة قُدر له أن يعاصر تحركات الهجرات الضخمة ويعاني منها والتي تسببت عن ضغط أقوام هند وأوروبية من البلقان والبحر الأسود على **السكان السابقين لإغريق العصر الكلاسيكي في جزر وسواحل البحر المتوسط، إذ ببداية القرن الرابع عشر سقطت كريت على يد الآخيين من**

---

(1) يعني ذلك في رأي هلش أن المشوش كانوا مثل التحنو يمارسون الختان بينما كان الليبو لا يمارسونه. ولما كان هيرودوتس ينسب هذه العادة أصلاً للمصريين فإن شامو يرى أن التحنو والمشوش قد تأثروا بالعادات المصرية أكثر من الليبو. أنظر Hokher, op. cit, pp. 41-42: Chamoux. op, cit., pp. 54-55; Herodotus, II, 104.

(2) سليم حسن، المرجع نفسه، ص 56، 57؛ مصطفى عبد العليم، المرجع نفسه، ص 32.

(3) ذكر رمسيس الثالث في قائمة غنائمه سيوفاً طول الواحد منها ثلاثة أو أربعة أذرع، في حين أن طول السيف العادي حوالي 70 سنتيمتراً، كما ذكر كذلك أنه استولى على 92 عربة. أنظر سليم حسن، المرجع نفسه، ص 53.

(4) A. Rowe, op. cit., p. 6.

(5) JEA, XIX, p. 19 ff.

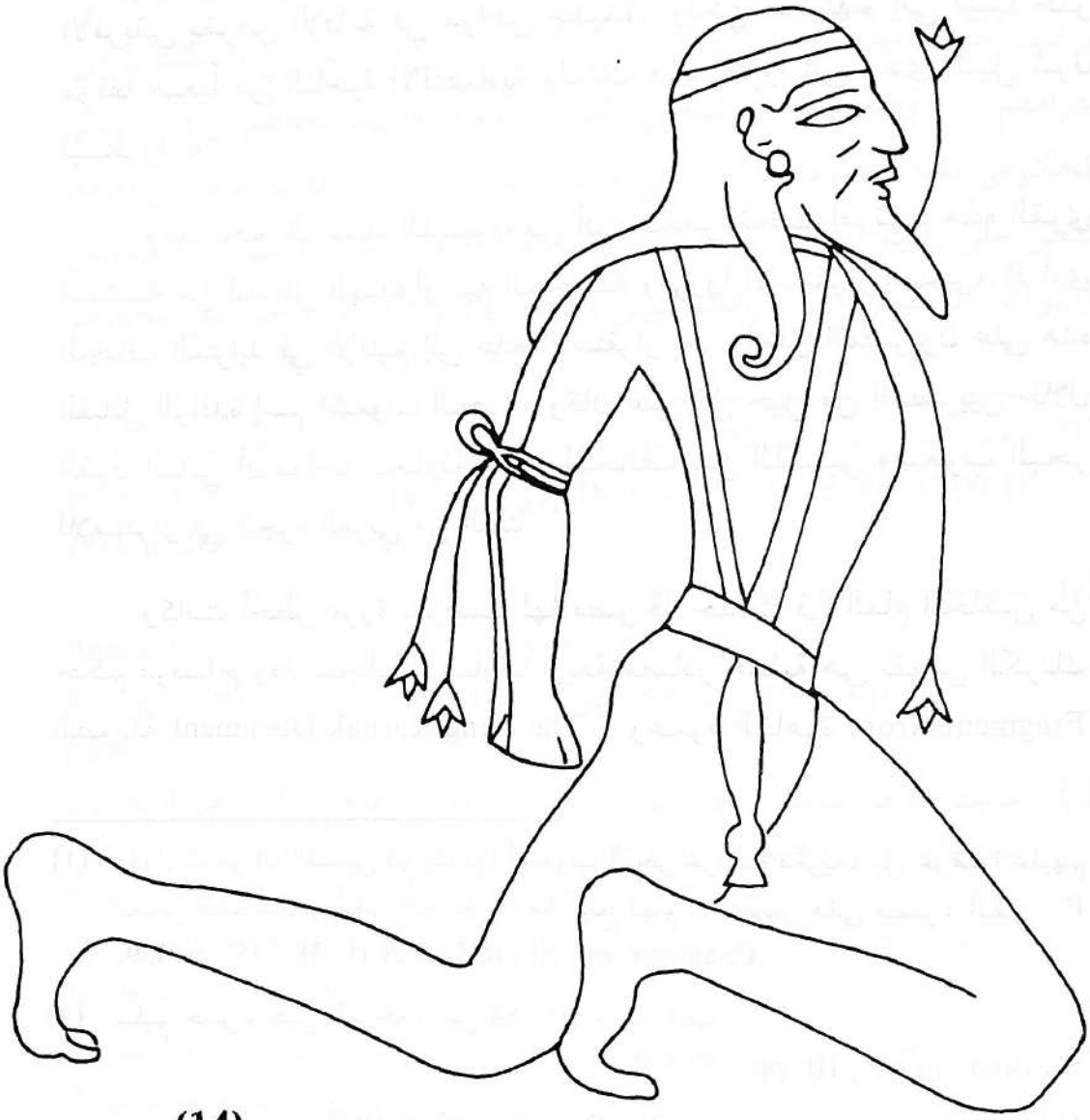

(14)

بلاد الإغريق في شبه جزيرة البلقان، واتجه بعض هؤلاء يبحثون عن موطن جديد. ولكن لم تلبث هجرات ـ هندو أوروبية أخرى عنيفة إلى شرق البحر المتوسط ـ أن دفعت أمامها السكان مما سبب عصراً من الإزاحة السكانية ـ إن صح هذا التعبير ـ شعروا بوقعها بعنف في الشرق الأدنى القديم وفي آسيا الصغرى وجزر بحر ايجه وبلاد اليونان، ووصلوا إلى ليبيا على الساحل الأفريقي بغرض الإقامة في مواطن جديدة، ولكن مجيئهم إلى ليبيا خلق موقفاً صعباً من الناحية الاقتصادية ولذلك فقد نظروا إلى وادي النيل شرقاً ليستقروا به.

وقد نجح الزعماء الليبيون في أن يجمعوا تحت إمرتهم هذه القوى المشتتة من القبائل الهندوأوربية المختلفة وقرروا الاستقرار بمصر، إذ أدى الجفاف المتزايد في الإقليم إلى عدم الاستقرار به. وأطلق المصريون على هذه القبائل الوافدة إسم «**شعوب البحر**»، وكان على كل جيل من المصريين خلال القرن التالي أن يواجه محاولة جدية لتحالف بين الليبيين وشعوب البحر للاستقرار في الجزء الغربي من الدلتا[1].

وكانت أخطر غزوة تعرضت لها مصر قد حدثت في العام الخامس من حكم مرنبتاح وقد سجلت أخبارها أربعة مصادر أصلية هي نقوش الكرنك الطويلة The Long Karnak Document[2] وعمود القاهرة Fragments from

---

(1) يقول شامو إن الليبيين لم يقدموا لشعوب البحر عروضاً مغرية، بل عرضوا عليهم بعض القطعان وبعض العبيد إذا ما أتيح لهم الانتصار على مصر، أنظر: F. Chamoux, op. cit., p. 52 C.A.H., II, 1957, p. 339.

(2) سليم حسن، نفس المرجع، ص 84 ـ 92. وأنظر أيضاً:

Breasted. op. cit., III, pp. 569-592;

Nibbi, Alessandra: The seapeoples, Oxford, 1972, p. 60 ff.;

Bates, op. cit., pp. 215-219; C.A.H. II, 1957, p. 233.

the Cairo Colimon[1] ولوحة أثريب Athribis Stela[2] وأنشودة النصر Hymn of victory أو لوحة إسرائيل Israel Stele[3]. ويقدم المصدر الأول وهو نقوش الكرنك وصفاً كاملاً لانتصار الملك على الليبيين. وتستوقفنا عبارات معينة من هذا النص تصف حالة مصر قبل تولية مرنبتاح **جزء من أرض مصر لم يعتن** به، فتُرك ليكون مرعى للماشية **بسبب «الأقوام التسعة»** (ويقصد بها الليبيون) **تُركت خراباً منذ زمن الأجداد، وكل ملوك الوجه القبلي يسكنون في أهرامهم... وملوك الوجه البحري ظلوا في وسط مدنهم محاصرين في القصر الحكومي لقلة الجنود** وقد ورد في النص أيضاً **أن رئيس الليبو مري بن دد قد انقض على إقليم تحنو**[4] **برمته... ومعه شردانا السردينيين وشكلش الصقليين وأكواشا الأخيين ولوكا الكوكيين وترش الأتروسكيين وأخذ كل محارب**

---

(1) سليم حسن، نفسه ص 92، وأنظر أيضاً: Breasted, op. cit., III pp. 593-595.
N. Alessandra, op. cit., pp. 61-64; E. Drioton, op. cit., p. 450 CAH II 1975, p. 233.

(2) سليم حسن، نفسه، ص 92 ـ 96.
Breasted, op. cit., III op. cit., pp. 596-601;
N. Alessandra, op. cit., pp. 61-64, Bates, op. cit., 219 CAH II, 1957, p.233.

(3) سميت بلوحة إسرائيل لأنها أول مرة يذكر فيها هؤلاء القوم في النصوص المصرية، أنظر سليم حسن، المرجع نفسه، ص 96 ـ 97 وقارن أيضاً:
Breasted op. cit., pp. 602-617.
J.B. Pritchard, Ancient Near East Texts Relating to the old Testament, Princeton 3rd, ed. 1969, p. 376.

(4) يرى Bates أن التحنو رفضوا الدخول في هذا التحالف لأنهم لم ينسوا بعد الضربات القاسية من كل من سيتي الأول ورمسيس الثاني. ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يقفوا أمام هذا الزحف حيث اضطروا للتحالف معهم أنظر:
Bates, op. cit., 216; CAH II, 1957, p. 233.

حسن، **وكل رجال قتال بلاده، وأحضر زوجه وأولاده. . . وقد وصل إلى الحدود الغربية في حقول بر ـ آر** Per-ire. ويُفهم من هذا النص أن رئيس الليبو هو الذي قاد هذه الغزوة بعد أن تحالف مع القبائل الهندوأوربية التي نزلت بساحل ليبيا واجتاح إقليم التحنو ليقيم مع شعبه في الدلتا.

وقد جمع مرنبتاح رجال بلاطه وخطب فيهم قائلاً: إنكم تنزعجون كالطيور. . . هل ستخرب البلاد. . . وأقوام الأقواس التسعة قد أتوا إلى أرض مصر ليبحثوا عن طعام لبطونهم. واستعد الملك لملاقاة الليبو وحلفائهم واشتبك معهم في معركة دامت ست ساعات. ويبدو واضحاً من عبارات النص أنها كانت مجزرة بشرية إذ كان القتال بالغ العنف والشدة ووقع في الأسر نساء الزعيم الليبي وعددهن 12 امرأة وكذلك أولاده. وغنم الملك كما جاء في النص **ممتلكات مري وفضته وذهبه وأوانيه البرونزية وأثاث زوجته وعرشه وأقواسه وسهامه وكل ممتلكاته التي أحضرها من بلاده مشتملة على خيل وثيران وماعز وحمير**. وورد في النص أيضاً أنه **أسر جماعة من الكهك وأنه قد استولى على 9111 سيفاً من النحاس كانت تخص المشوش**.

ونجد في **عمود القاهرة** منظراً يشاهد فيه مرنبتاح **يستلم** سيفاً من إله يقول له: **إني أجعلك تقطع رؤوس رؤساء ليبيا الذين قد صددت غزوتهم**.

وتحدد لنا **لوحة أثريب** تاريخ بدء غزوة الليبو **في السنة الخامسة الشهر الثالث** من الفصل الثالث اليوم الثالث وتستمر في وصف المعركة.

وجاء في **أنشودة النصر**: **هرب رئيس الليبو في جنح الظلام والريشة ليست على رأسه وأدخل الملك الرعب في قلب المشوش وأنه هو الذي جعل الليبو الذين وطأوا أرض مصر يرتدّون على أعقابهم**. وفي آخر هذه الأنشودة وردت العبارات التالية: **وقد أشرق السرور العظيم على مصر وانبعث الفرح من بلدان مصر، وتحدث الناس عن الانتصارات وليس هناك أي خوف في قلوبهم. . . وقد تركت المعاقل وشأنها وأصبحت الآبار مفتوحة ومسالكها**

سهلة ومعاقل الأسوار أصبحت هادئة ولا يوقظ حراسها إلاّ الشمس. . . وليس هناك نداء بالليل: قف. . . قف، بلغة الأجانب.

وواضح من هذه النصوص التي أوردنا بعضها أن الهجوم الذي شنه مري بن دد زعيم الليبو على أرض مصر كان بالغ الخطورة التي زاد منها تحالفه مع قبيلتي المشوش والكهل الليبيتين وشعوب البحر[1] وأن الغرض من هجومهم كان الاستقرار بمصر وأن عدد الأسرى والقتلى[2] كان كبيراً جداً. ويتضح من أنشودة النصر مدى ما أحس به المصريون من ابتهاج لزوال هذا الخطر الذي بلغ مدينة ممفيس وأوشك أن يفتك بها.

إن الهزيمة، التي مُني بها الليبيون أمام جيوش مصر الفرعونية في زمن مرنبتاح، لم تمنعهم من تجديد المحاولة في عهد رمسيس الثالث (1198 - 1160ق.م)، الذي واجه غزوتين كبيرتين: الأولى وقعت في السنة الخامسة من حكمه أي في سنة 1194ق.م. والثانية في سنة 1188ق.م. وقد كانت هاتان المعركتان هما الوحيدتان اللتان قادهما الفرعون بنفسه[3]. وقد استطعنا معرفة تفاصيلهما جميعاً بفضل بردية هاريس Papyrus Harris[4] ونقوش معبده

---

(1) أشهر قبائل شعوب البحر التي اشتركت في هذه الحملة مع الليبيين هي الاكوش Ekwesh والترث Teresh واللوكا Luka والشردان Sherdan والشكلش Shekelesh (ويرى فيها المؤرخون الأخيين والأتروسكيين واللوكيين والسردينيين والصقليين على الترتيب).

(2) جرت عادة المصريين بقطع عضو تناسل الرجل الذي لم يختن إذا قتل في المعركة، وكان عدد القتلى يعرف بإحصاء عدد هذه الأعضاء لأن عدم الختان كان عندهم قرين عدم الطهارة. في حين أن عدد القتلى المختونين يعرف بإحصاء أيديهم التي قطعت. وكان الليبيون الشعب الوحيد من الشعوب الليبية التي لم تكن تمارس عادة الختان وقد بلغ عدد القتلى منهم 6359.

(3) F. Chamoux, op. cit., p. 52.

(4) سليم حسن، نفس المرجع، ص 267 وما بعدها وانظر أيضاً: Breasted, op. cit., IV, pp. 151 ff.; Gardiner op. cit., 314; A, Nibull, op. cit., p. 39 f.

الكبير في مدينة هابو Medinet Habu[1] حيث تشير هذه النقوش إلى أن قبيلة الليبو هي التي قامت بالدور الأول في هذه الحرب وهي المؤرخة بالسنة الخامسة من حكم رمسيس الثالث أي سنة 1194ق.م. وقد كتب الملك: **لقد أتى أهل بلاد التمحو مجتمعين معاً في مكان واحد ويشملون «الليبو» و «السبد» و «المشوش»، غير أن خططهم حطمت، وطلبوا رئيساً بأفواههم غير أن ذلك لم يكن في قلوبهم وكان جلالته قد ربّى ولداً صغيراً من أرض تمحو، وقد عضده بقوة ساعديه ونصبه عليهم رئيساً لينظم الأرض وهذا ما لم نسمع به من قبل منذ أن بدأ الملوك**. ويفهم من هذا النص أن الملك أراد أن يفرض على الليبيين ملكاً من جنسهم ربّاه في مصر، لكن الليبيين رفضوه لأنه لن يكون إلاً حاكماً مصرياً[2]، ومن المحتمل أن هذا التدخل من جانب رمسيس الثالث في شؤونهم كان السبب المباشر في غضبة هذه الشعوب وثورتها، حيث ورد في النصوص ذكر الكيكش والشاي والهس والبكن، وهي قبائل صغيرة العدد نسبياً، إلاً أنها عندما أحست بهذا الخطر تحالفت مع قبيلة الليبو، وكانوا يهدفون إلى مهاجمة ممفيس. **وقد وصلوا فعلاً إلى فرع النيل الكانوبي**، ولكن رمسيس الثالث باغتهم بالهجوم وقد تحقق له النصر. ويبدو من مراجعة النصوص الخاصة بهذه الحرب أن العنصر الغالب فيها علّه من الليبو، وأن قوادهم الذين هلكوا في تلك الحرب هم «دد» و «شكن» و «مري» و «ورمر» و «تشمر»[3]. وفي سنة 1188ق.م تقدمت قبيلة المشوش الصفوف لقتال

---

(1) سليم حسن، المرجع نفسه ص 269 وما بعدها وأنظر أيضاً:

Breasted, op. cit., pp. 36-47, 48-58, 82-92, 93-146, Nelson; JNES II, pp. 40-55;

Alessandra, N., op. cit., p. 46. ff.

(2) مصطفى عبد العليم، المرجع نفسه، ص 28، 29، وأنظر:

Chamoux, op. cit., p.53.

(3) قد يكون إسم دد ومري قد وضعا بين أسماء أمراء الليبو وقادتهم وأنهما نقلا من نصوص مرنبتاح، أو تكون أسماء تتكرر لأفراد من هذه الأسرة نفسها المتزعمة لليبو.

المصريين بقيادة زعيمها مشيشر Meshesher، الذي استطاع أن يوحّد القبائل الليبية، وتقول النصوص المنقوشة على جدران معبد مدينة هابو ما يلي: . . . **وقد كان رئيس المشوش ومعه أهله أتوا وانقضوا على التحنو الذين أصبحوا رماداً. وخربت مدنهم ولم تعد لبذرتهم وجود. . . وقال المشوش بصوت مسموع سنستوطن مصر**، ثم يمضي النص في وصف الهزيمة التي لحقت **بالليبيين فيقول: وقد أبيدت أرض المشوش، أما الليبيو والسبد فقد أهلكوا.** وعلى إحدى اللوحات صُور الملك وهو يطارد في عربته المشوش، وعلى لوحة أخرى صور للغنائم والأسرى. ونتبين منها أن عدد الأيدي المقطوعة كان 2175 ومجموع الأسرى 2052 وقد استدل المصريون أيضاً على غنائم كثيرة[1].

وتعتبر هذه المعركة آخر المعارك الكبيرة التي حدثت بين القبائل الليبية والمصريين. واحتفالاً بذكرى هذا الانتصار أقام رمسيس الثالث احتفالاً سنوياً يسمى **ذبح المشوش**[2]. وبدأ الضغط الليبي على مصر يأخذ شكلاً مختلفاً أقل وضوحاً، ولكنه أكثر فاعلية ألا وهو التسرب البطيء إلى مصر[3]. وقد ساعد على ذلك اعتماد فراعنة مصر منذ عهد رمسيس الثاني على الجند المرتزقة من القبائل الليبية وخاصة من قبيلة المشوش المشهورة بقدرتها القتالية العالية. فانخرط عدد كبير من رجال القبائل في عهد الأسرة العشرين والحادية والعشرين في الجيش المصري. ولما كان هؤلاء يأخذون أجرهم على هيئة إقطاعات من الأراضي، فقد كونوا في مختلف أنحاء مصر جاليات عسكرية

---

(1) أنظر قائمة القتلى والأسرى والغنائم عند أوريك بتيس Bates, op. cit., p. 224F.

(2) Bates, op. cit., p. 225.

(3) لم تبدأ هذه العملية في هذه الفترة بالذات ولكنها كانت مستمرة منذ فترة بعيدة. غير أنها لم تظهر بوضوح إلاّ منذ الأسرة التاسعة عشرة وما بعدها، عندما ازداد نفوذهم في مصر. وفي هذا الصدد يشير أحمد فخري في كتابه مصر الفرعونية ص 57 أن دروب الصحراء كانت تحمل إلى مصر الكثير من المهاجرين الذين يأتون فرادى أو جماعات، ليستقروا فيها منذ أقدم العصور.

على رأس كل منها رئيس يلقب برئيس الما[1]، وهو اختصار لاسم مشوش. واندمج هؤلاء في المجتمع المصري بالرغم من احتفاظهم بعاداتهم وأسمائهم الليبية. وأصبح لبعض هذه الأسر شأن كبير وخاصة أسرة Buyuwawa بويوواوا، التي استقرت في Heracleopolis منذ الأسرة العشرين، وأصبح ابنها Musen أحد كهنة معبد المدينة وحاكم مدينة الجند المرتزقة. وصارت هاتان الوظيفتان إرثاً في الأسرة، ازدادت بذلك نفوذاً وقوة. وقد استطاع شيشنق Sheshonk العظيم أحد أفراد هذه الأسرة أن يكسب ود ملوك الأسرة الواحدة والعشرين، وينتقل من هيراكليوبوليس إلى بوبستيس Bubastis[2] ـ الزقازيق الحالية ـ وسيطر على الدلتا كلها، وانتهز فرصة وفاة بسوسينس الثاني آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين، واستولى على الملك (سنة 950ق.م)، ولم يظهر أي عداء للبيت المالك، وزوج ابنه أوسركون من ابنة بسوسينس ليؤكد أهليته لتولّي العرش المصري، وكوّن الأسرة الثانية والعشرين الليبية[3]. وبذلك صار العنصر الليبي، الذي هاجر إلى مصر، يلعب دوراً قيادياً وارتبطت ليبيا بمصر في هذا العصر برباط سياسي وثيق. وأضاف الليبيون إلى شدة بأسهم وشجاعتهم ثقافة المصريين وحضارتهم وأصبحوا دون جدال يحكمون أقوى إمبراطورية في شرق البحر المتوسط. وإذا كنا نعلم إلى حد ما تاريخ الليبيين الذين استقروا بمصر، لأن ذلك يدخل في تاريخ مصر ذاتها، فإننا من جهة أخرى نجهل كل شيء عن تاريخ ليبيا نفسها في هذه الفترة. ولنا أن نرجح أن القبائل الليبية أخذت تستقر في مواقع لها في قورينائية وأخذت تكيف حياتها تبعاً لذلك، ولا سيما أن ضغط شعوب البحر كان قد ضعف إلى الحد الذي لا

---

(1) F. Chamoux, op. cit., p. 56 f. CAH II 1975, p. 619/653.

(2) O. Bates, op. cit., p. 227. f.

(3) JEA XXVII p. 83 ff; Chamoux op. cit., p. 57; Bates, op. cit., pp. 228/9 CAH II 1975, p. 619.

يمكن ملاحظته على الأقل، وأن هذه القبائل قد تمتعت باستقلالها داخل قورينائية، ولم تعتبر نفسها تابعة لمصر إلاّ إسمياً نظراً لأن فراعنة مصر يرجعون إلى أصل ليبي. ويشير هيرودوتس أن أدكران ملك ليبيا، عندما استنجد بفرعون مصر ضد الإغريق سنة 570ق.م، كان لا يعتبر نفسه تابعاً من أتباعه[1]. وكذلك فإن الحملات التي قام بها الفرس في عهد قمبيز Cambys وأرياندس Aryandes ضد قورينائية تعرضت لنهب وسلب من القبائل. وهذا يفسر لنا أن قورينائية كانت مستقلة تماماً عن مصر حيث أن مصر لم تتعرض للحملات الفارسية المذكورة[2].

وفي الختام نسجل النتائج الآتية:

أولاً: إن الشكل الظاهر للعلاقات المصرية ـ الليبية عبارة عن ضغط من الليبيين في الغرب في محاولة للاستيطان بمصر يقابله صد من قبل المصريين في محاولة لمنعهم من تحقيق ذلك. ولكننا نجد أن القبائل الليبية كانت منتشرة خلال عصر ما قبل الأسرات في الدلتا ومختلطة بالمصريين، لدرجة أن المصري أو الليبي لم يكن يميز الحد الفاصل بين الدولتين. وكما تشير أغلب المراجع بين أيدينا فإن الصلة بين الفريقين لم تكن عدائية كلها. وكانت هذه القبائل في اتصال وثيق في ما بينها، وقام التعامل بينهما إن لم يكن بين الفريقين حتى دم واحد أدى إلى التفاعل الحضاري. وأثر الليبيون في عادات المصريين وتأثروا بها. فمثلاً ارتداء قراب العورة Phallus-Sheath الذي يرتبط بعادة الختان ظهر في تماثيل عصر ما قبل الأسرات بصعيد مصر[3]. كما اتخذه الليبيون لباساً لهم ـ كما مر بنا ـ هذا فضلاً عن استمرار اتخاذه في مصر لباساً

---

(1) Herodotus, IV, 159.

(2) Idem 167-203.

(3) محمد أنور شكري، الفن المصري القديم (منذ أقدم العصور حتى نهاية الدولة القديمة) 1960، ص 18 صورة 4 وص 46 صورة 32.

للآلهة والملوك والشباب حتى سن الزواج[1] وكذلك عادة اتخاذ الريشة عادة ليبية أخذها عنهم المصريون. ويشير أحمد فخري[2] **أن المصريين كانوا يلبسون طاقية فوق رؤوسهم**، وعندما يعتنون بالزينة يضعون الريش فوق رؤوسهم. أما بالنسبة لليبيين فتعتبر من علاماتهم المميزة كصورة الأسير الليبي الراكع بين يدي الملك جر والريشة فوق رأسه[3]. كما تشير نصوص مرنبتاح أن مري بن دد هرب تحت جناح الظلام والريشة ليست على رأسه.

ثانياً: وبعد إنجاز الاتحاد المصري تقدمت الحضارة المصرية تقدماً سريعاً بحكم ظروف مصر الجغرافية والاقتصادية، في حين ظلت القبائل الليبية تحيا حياة قبلية متواضعة نسبياً[4]. ولذلك كان يغريها ثراء وادي النيل، وتدفعها الحاجة إلى الإغارة بين الفينة والأخرى على مصر، مما كان يحمل ملوكها ـ حفاظاً على أمن البلاد وسلامتها ـ إلى ردهم عنها. وقد ساعد على كثرة هذه الغارات وخطورتها الاضطراب السكاني، الذي أصاب أواسط أوروبا، وأسفر عن تدافع الشعوب الأوروبية ونزول عدد منها في الشمال الأفريقي حيث بدأت تضغط على الليبيين ناحية الشرق. وقد قاوم المصريون هذا الزحف بعدة طرق منها: شن حملات رادعة، وإقامة سلسلة من الحصون في محاولة لوقف زحف هذه القبائل[5]. هذا وقد حرص أكثر من فرعون على

---

(1) A.A. Youssef, op. cit., p. 365.

(2) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 40.

(3) W. Emery, op. cit., p. 60.

(4) لعل من الأسباب التي ساعدت على هذا التخلف النسبي هو التناصر الشديد بين القبائل واستمراره، الأمر الذي دفعهم بالتالي إلى الاعتماد على حياة الترحال، ومحاولة الإغارة على مصر، وكذلك التغير العنصري المستمر في التحنو سمر البشرة إلى التمحو بيض البشرة إلى شعوب البحر وهكذا.

(5) تشير النصوص المصرية أن رمسيس الثاني أقام سلسلة من الحصون تمتد من راقوده (الإسكندرية) على البحر وحتى أبيس (أم الرخم) لمسافة 341كم. وأهم هذه الحصون ما كان مقاماً في راقوده وماريا والغربانيات والعلمين. أنظر، مصطفى عبد العليم، =

ذكر انتصاره على الليبيين، حتى وإن لم يشن عليهم حرباً - كما أشرنا إلى ذلك سابقاً - هذا فضلاً عن أن التقاليد التي كانت سائدة عند الفراعنة هي تسجيل انتصاراتهم وأمجادهم وليس تاريخهم كله.

ثالثاً: لم تكن العلاقات بين الليبيين والمصريين في عصر الأسرات عدائية دائماً، إذ ظل التعامل السلمي قائماً بين الطرفين، حيث كان الدم الليبي غالباً في واحات الصحراء الغربية. ومن أبرز مظاهر هذا الاتصال السلمي اتخاذ الملك خوفو زوجة ليبية من التمحو[1]. وفي هذا - إن صحَّ - أبلغ دلالة على العلاقات السلمية. كما يقوم الدليل أيضاً في تسمية أحموس الأول ابنته باسم «أحموس حنه تمحو»، أي أحموس سيدة التمحو[2].

وهناك دليل آخر يشير إلى العلاقات الطيبة بين الطرفين، إنه تحمل «حر خوف» من الأسرة السادسة مشقة التوفيق بين التمحو وايام[3]. هذا بالإضافة

= المرجع نفسه ص 24؛ وقارن أيضاً: Wainwright JEA, vol. 48, p. 93 and note 8; CAH II, 1975, p. 230; Rowe, op, cit., p. 12.

(1) ولعله مما يؤيد هذا الرأي أننا نجد في مقبرة أحد أولاد خوفو بالجيزة صورة هذا الأمير تتبعه والدته ذات البشرة البيضاء، والشعر الأشقر المزين بخطوط حمراء أفقية. وتحلي جبينها خصلة قصيرة من الشعر، وملابسها لا تشبه ملابس المصريين حيث تتألف من جلباب أبيض ضيق به شريطان ملفوفان على الصدر ومربوطان على الكتف بعقدة بارزة. أنظر سليم حسن المرجع نفسه ص 42 وكذلك أحمد فخري، مصر الفرعونية ص 116 وقارن أيضاً: W. Smith, A history of Egypt and Painting in the old Kingdom, 1949, p. 143.

(2) سليم حسن، المرجع نفسه، ص 64 ومصطفى عبد العليم، المرجع نفسه، ص 22 وأحمد بدوي، في موكب الشمس، الجزء الثاني، ص 395.

(3) تقع «أيام» جنوب وادي حلفا في السودان ويقول حرخوف أن رئيس أيام ذهب إلى أرض التمحو ليضرب التمحو حتى الركن الغربي للأفق فذهبت في أثره وأدخلت السكينة في نفسه. أنظر سليم حسن، المرجع نفسه، ص 27 وما يليها وأحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 119 وما يليها. وقارن أيضاً:
Breasted, op. cit., pp. 333-336.

إلى استخدام المصريين لرجال القبائل الليبية كجند مرتزقة في الجيش المصري وكشرطة في الصحراء. إذ كان طبيعياً أن تكون الواحات بحكم بعدها ملجأ للهاربين من سلطة الدولة وشرطتها التي كانت تتعقبهم إلى حيث يهربون. وكان أفراد هؤلاء الشرطة يجندون من قبائل الواحات ويرجعون، كما يبدو من أسمائهم، إلى أصل ليبي[1]، وهو أمر منطقي فهم أخبر بالصحراء وأدرى بدروبها، حيث كانوا يرابطون هناك.

(1) H. Kees, Ancient Egypt, p. 130.

ثانياً: النشاط الإقتصادي قبل إنشاء قوريني سنة 631 ق.م
الصّيد ـ الرعي ـ الزراعة ـ التجارة

نستمد مصادرنا عن النشاط الاقتصادي لليبيين القدماء من مجموعة من المصادر، لعل أهمها النصوص المصرية ورسوم الصحراء وما كتبه الكتّاب القدامى وخاصة هيرودوتس، الذي زار برقة ـ في ما يُظَن ـ في القرن الخامس 443ق.م. ولا شك في أن هذا المؤرخ قد سجل معلومات أساسية عن القبائل الليبية، التي تحدث عنها باستفاضة في كتابه الرابع، وذلك في الوقت المعاصر لإنشاء قوريني. وإذا كانت معلوماته تبدو زمنياً متأخرة، إلاّ أنها تعتبر استمراراً للمصدرين السابقين عن نشاط الليبيين قبل مجيء الإغريق.

ويذكر هيرودوتس[1] في كتابه الرابع، أنه كان يعيش في المنطقة، التي تمتد من مصر حتى بحيرة تريتونيس[2]، ليبيون من البدو الرعاة. ونحن لا نستطيع قبول هذا الرأي، لأن هيرودوتس نفسه أشار في نفس الكتاب إلى أن قبيلة الناسامونيس، التي تقيم حول خليج سرت، كانت تترك في فصل الصيف قطعانها بجوار البحر وتذهب إلى منطقة أوجلة لجني البلح من النخيل الذي ينمو هناك بوفرة كبيرة[3]. كما أشار كذلك إلى أن قبيلة الجرامنتس كانت تزرع التربة التي تضعها فوق الأراضي الملحية[4]. وأشار أيضاً إلى خصوبة منطقة نهر كينوبس[5] وادي كعام، الذي أقيمت عليه مدينة لبدة ومنطقة يوسبريدس[6]. وأشار ديودورس الصقلي[7]، أنه كان يسكن المناطق القريبة من

---

(1) Herodotus, IV, 186.

(2) بحيرة شط الجريد في تونس الحالية.

(3) Herodotus, IV, 172.

(4) Idem, IV, 183.

(5) Idem, IV, 198.

(6) Herodotus, IV, 198.

(7) Diodorus Siculus, III, 49.

قوريني وخليج سرت أربع قبائل من الليبيين يملك بعضها أرضاً يزرعها وتُنتج محاصيل وفيرة، في حين أن البعض الآخر بدو رحّل يحصل على غذائه من قطعان الأغنام والماشية.

واستناداً إلى ذلك نستطيع القول إن سكان المناطق الساحلية وسكان الواحات عاشوا عيشة شبه مستقرة لوفرة المياه نسبياً، حيث زاولوا حرفة الزراعة وتربية الحيوان، بينما مارس باقي السكان حياة الترحال وامتهنوا الصيد والرعي. هذا بالإضافة إلى مزاولة التجارة التي لا تنقصنا المعلومات عنها كما سيتضح ذلك في ما بعد.

أولاً ـ الصيد

توجد الحيوانات البرية بكثرة على طول الحدود الشمالية للصحراء الليبية وطبيعي أن تُعتبر مهنة الصيد من عناصر الحياة الاقتصادية للقبائل الليبية[1]. وقد أشار هيرودوتس إلى أن المنطقة التي يسكنها البدو الرعاة مليئة بالحيوانات البرية ومنها بقر الوحش والظباء والنمور الرقطاء والضباب (الورل) ـ التي يبلغ طول الواحد منها ثلاثة أذرع ـ والنعام والثعابين[2]. وتحدث عن حيوانات عجيبة أطلق عليها إسم الحمير ذات القرون، وربما كان الجفاف الذي أصاب الصحراء قد أودى بها. وتظهر رسوم الصخور حيواناً له رأس حمار ورقبة طويلة أقصر من رقبة الزرافة[3]. ويظهر نقش[4] بارز من برسيبوليس

---

(1) Herodotus, IV, 192.

(2) عبد الرحمن بدوي، ليبيا في مؤلفات أرسطو، مجلة كلية الآداب، ص 121 وما بعدها.

(3) Zoltan Kadar, «Some problems concerning the scientific authenticity of classical authors on Libyan fauna «Acta calssica Uni, Scient Debrecen, VIII, 1972, pp. 11/16.

(4) Idem.

(Persepolis) أفريقيين[1] يقدمون هدية حيواناً في شكل الزرافة، ولكن برقبة قصيرة، ويعود تاريخ هذا النقش إلى القرن الخامس ق.م، أي إلى عصر هيرودوتس. وقد كتب ديودورس[2] عن نوع من الزراف يتميز برقبة أقصر من رقبة الجمل. كما تحدث هيرودوتس عن الحمير التي لا تشرب على الإطلاق[3]. وقد لقي هذا الحيوان نهايته في شمال أفريقيا ونقشت مشاهد مصيره المفجع في أحد مناظر المسارح الدائرية في ليبيا خلال العصر الروماني[4]. وذكر هيرودوتس[5] كذلك الثعالب والضباع والنياص (صيد الليل) وابن آوى، الذي يعتبر من أكبر الحيوانات آكلة اللحوم الموجودة الآن في ليبيا[6]. وأشار إلى وجود ثلاثة أنواع من الفئران، حيث تميز النوع الأول بقدمين يغطيهما شعر طويل ولعله «الجربوع»، وهو حيوان تختص به صحراوات ليبيا وصُوّر على قطعة عملة من قوريني[7]. والنوع الثاني هو الفئران، التي تميزت بمؤخرة مستديرة مخططة[8]. والنوع الثالث هي الفئران ذات الشعر الخشن[9].

ويكمل هيرودوتس سرده للحيوانات التي تعيش في أرض الليبيين بذكر

---

(1) لعل الأفريقيين هنا هم ليبيو برقة الذين أبعدوا إلى بكتيريا بعد الهزيمة التي ألحقها بهم الفرس حيث منحهم الفرس مدينة ليسكنوا فيها فأطلقوا عليها إسم برقة. راجع:
Herodotus. IV, 200.
Diodorus Siculus, II, 5.

(2) Herodotus, IV, 192.

(3) Zoltan Kadar, op. cit., pp. 11 - 16.

(4) Herodotus, IV, 192.

(5) Zolan Kadar, op. cit., pp. 11-16.

(6) Robinson, op. cit., p. XXI PL II, I.

(7) Zoltan Kadar, op. cit., 11-16.

(8) Idem.

(9)

نوع من ابن عرس، الذي كان يعيش في المناطق التي تكثر فيها زراعة السلفيوم. ويقول إنه يشبه ابن عرس، الذي يعيش في تريتسيوس في إسبانيا. وطبقاً لبحوث الدارسين، هذا هو ابن عرس المخطط المنقط، الذي تختص به شمال أفريقيا. وقد روى بليني قصة ملخصها، أن سكان إحدى المناطق أرسلوا إلى روما سفارة يطلبون المساعدة للقضاء على الأرانب التي كانت تتكاثر بسرعة في حقولها، وأمكن تجنب هذه الكارثة باستيراد أعداد كبيرة من ابن عرس من ليبيا[1].

وبعد هذا العرض للحيوانات البرية التي عاشت في هذه المنطقة نتفق مع بعض المؤرخين[2] في وصفها، بأنها معرض متنوع من الحيوانات البرية.

ونظراً لكثرة هذه الحيوانات، فمن الطبيعي أن يكون الليبيون قد مارسوا حرفة الصيد على نطاق واسع. كما أننا لا نندهش حين نعلم ما وصفوا به في نص، من عهد تحتمس الأول، من أنهم حملة جلود وذلك لكثرة استعمالهم جلود الحيوانات التي يصطادونها. وقد مر بنا حين تحدثنا عن ملابس الليبيين الذين صوروا على النصوص المصرية أنها مليئة بصور الليبيين، التي توضح كثرة استعمالهم الجلود ملابس لهم. كما وأن الملكة حتشبسوت استولت على عدد من جلود الفهود من قبيلة التحنو طول الواحد منها خمسة أذرع وعرضه أربعة[3].

ومن النقوش المصرية أيضاً نتبين أن التمحو والليبو كانوا يضعون فوق رؤوسهم ريشة أو ريشتين من ريش النعام كحلية شخصية لهم. وقد دفعهم ذلك بالطبع إلى اصطياد النعام باستمرار، هذا إن لم يكن قد حاولوا استئناسه.

---

(1) Zoltan Kadar, op. cit., pp. 11-16.

(2) O. Bates, op. cit., p. 93.

(3) Idem.

كما أن بعض الصور والرسوم الصحراوية[1] تظهر لنا كثرة وتنوع الحيوانات، التي كانت موجودة في هذه الفترة التي نحن بصددها، والأسلوب المتبع في اصطيادها والأدوات المستخدمة في ذلك. فتظهر بعض الرسوم الصيادين في جماعات منتظمة تعمل على صيد الحيوانات بالشباك أو بالأسلحة البسيطة كالهراوات، التي تُثبت في أطرافها رؤوس حراب حجرية استخدمت النبال[2] والرماح[3]. وتظهر رسوم أخرى بعض الصيادين وهم يرتدون ملابس جلدية ويلبسون أقنعة من رؤوس الحيوانات كالغزلان وحمار الوحش والذئاب والفهود تمكنهم من خداع الحيوانات التي يريدون اصطيادها[4]، وترينا بعض النقوش صيادي الزراف والنعام[5]. ومن الطبيعي أن هذه الرسوم ارتبطت بالبيئة، التي عاش فيها الرسام، وأن الحيوانات كانت من أهم الأشياء في حياة إنسان الصحراء.

وقد أشار سترابون[6]، إلى أن السكان المجاورين لخليج سرت كانوا يمارسون صيد السمك، وساعدهم عليه عامل المد والجزر. وأشار أثينايوس[7] أن الإسكندرية كانت تستورد أعداداً ضخمة من الحبارى Wtes. ونعرف أن هذا الطائر موجود إلى اليوم، وهو يعيش في المناطق شبه الصحراوية. وذكر هيرودوتس[8] أن قبيلة الناسامونيس كانت تصطاد الجراد،

---

(1) هنري لوت، لوحات تاسيلي - قصة كهوف الصحراء الكبرى - ترجمة أنيس زكي حسن، بيروت: 1967.

(2) نفسه، شكل 24 - 31 - 42 - 44.

(3) نفسه، شكل 59.

(4) نفسه، شكل 68.

(5) نفسه، شكل 66 - 67 .

(6) Strabo, XVII, 17.

(7) Athenaeus, IX, 390.

(8) Herodotus, IV, 172.

الذي يجفف في الشمس ويطحن ثم ينثر على اللبن ويشرب.

وهكذا يتضح لنا أن الصيد كان من أهم الحرف التي مارسها الليبيون واعتبر مصدراً كبيراً من مصادر رزقهم وكسائهم.

ثانياً ـ الرعي

تشير النصوص المصرية إلى الأعداد الكبيرة من الحيوانات الأليفة، التي كان المصريون يستولون عليها من الليبيين وقت الحرب ويستوردونها منهم في أكبر الظن وقت السلم. وأقدم نص يشير إلى ذلك موجود على جزء من لوحة ترجع إلى أواخر عصر ما قبل الأسرات: صورة عليها ثيران وحمير وكباش، لعلها كانت تمثل الغنائم التي استولى عليها المصريون من جيرانهم الليبيين[1].

وفي عهد الأسرة الرابعة استولى سنفرو على 13100 رأس ماشية من الليبيين. وقد خلدت ذكرى هذه المعركة في حجر بالرمو[2]. وفي ما ورد من أخبار مصورة عن ساحورع، أنه غنم أعداداً كبيرة من الثيران والبقر والحمير والماعز والكباش والشياه. كما ذكر سنوهي في حديثه عن سنوسرت في حملته على ليبيا أن ما غنم منها من أبقار لا يقع تحت حصر[3]، وكذلك استولى مرنبتاح من الأسرة التاسعة عشرة في مرة واحدة في أثناء غزوه المناطق الليبية على 1308 رأس من الماشية[4]. وفي عهد أمنحتب الثالث يظهر المشوش، الذين دخلوا مصر في خدمة الملك، رعاة لما كان يُستورد من ليبيا من ماشية كانت تربى في مصر ويستخرج منها الدهن[5]. ومن عهد رمسيس الثالث من

---

(1) G. Galassi, op. cit., p. 23.

(2) مصطفى عبد العليم، نفس المرجع، ص 12؛ وأنظر: F. Chamoux, op. cit., p.95.

(3) سليم حسن، نفس المرجع، الجزء الثالث، ص 188. وأنظر أيضاً: O. Bates, p.95.

(4) Idem, p. 95.

(5) G. Wainwright, «The Mashwash», JEA, 48, pp. 89/99.

الأسرة العشرين تشير بردية هاريس[1] إلى أن هذا الفرعون استولى على أعداد كبيرة من الماشية من جيرانه الليبيين.

ويشير هيرودوتس[2] أن الجرامنتس يربّون نوعاً من الثيران ترعى متراجعة إلى الوراء. وسبب ذلك أن قرونها منحنية إلى الأمام، وأنها لا تستطيع السير إلى الأمام نظراً لأن قرونها تنغرس في الأرض. وهذه الثيران تشبه في خواصها الأخرى غيرها من الثيران، إلاّ أن جلدها كان أكثر سماكة وأشد صلابة عند لمسه. وسواء كان حقيقة أنها تسير إلى الخلف أو أن هيرودوتس رأى بعض هذه الثيران صدفة وهي تتراجع إلى الوراء، فالذي يعنينا هو وجود هذه الحيوانات في هذه المنطقة والذي يؤكده أيضاً ديودورس الصقلي.

وكانت الأغنام وفيرة بحكم ما ورد منها في لوح الملك العقرب ثم تصاوير ساحورع. أما أقدم نص اغريقي فيحدثنا عن ليبيا قبل قيام الثيرانيين بتأسيس مدينة قوريني هو أوديسة هوميروس. فقد رُوي عن لسان مينلاوس وهو يحصى البلاد التي زارها في مغامراته أنه بعد زيارته لمصر وبلاد العرب، زار ليبيا حيث تولد صغار الضأن بقرون طويلة وتلد النعاج ثلاث مرات في السنة الواحدة. وحيث جميع الناس لا يعوزهم إطلاقاً الجبن أو اللحم أو اللبن الجيد[3]. وإذا أغفلنا هذه المبالغات فلا جدال في أن اغريق العصر الهوميري كانوا يعرفون شهرة ليبيا القديمة بمراعيها وأغنامها. كما أشار وحي دلفي إلى شهرة هذا الاقليم بأغنامه في أثناء مخاطبته لباتوس حيث قال **باتوس: أن تطلب لساناً سليماً لكن مولانا الطاهر أبوللون يبعث بك لتؤسس وطناً لك في ليبيا حيث**

---

(1) سليم حسن، نفس المرجع، الجزء السابع، ص 337 وما بعدها.

(2) Herodotus, IV, 183.

(3) إبراهيم نصحي، إنشاء قوريني وشقيقاتها، ص 24. وأنظر أيضاً:
F. Chamoux, op. cit., p. 61.

تكثر الأغنام[1]. وأكد سترابون[2] وجود هذه الأغنام في المناطق الداخلية من الإقليم وأنها تربى لألبانها ولحومها، كما لا تعوزنا الأدلة أنه في العصر اليوناني تعتبر الأصواف من أهم صادرات قورينائية كما سيتضح ذلك مستقبلاً.

وأما الماعز فقد وردت أشكاله كما ذكرنا من قبل في مناظر ساحورع، حيث دل على وفرتها كثرة الأعداد التي غنمت منها. وكذلك ذكرت في الغنائم التي استولى عليها مرنبتاح[3] من الليبيين، كما أن النساء الليبيات كن يتخذن من جلدها لباساً لهن[4].

ولم تعرف الخيول في ليبيا إلاَّ في وقت متأخر نسبياً، بعد أن تم إدخالها إلى المنطقة من مصر. وأول إشارة إلى وجود الخيول في ليبيا تعود إلى أثناء حكم مرنبتاح، حيث ورد أن هذا الفرعون قد استولى على خيول رئيس الليبو[5]، كما استولى رمسيس الثالث على 183 حصاناً وحماراً من الليبيين[6]. وأشار هيرودوتس[7] إلى أن قبيلة الأسبوستاي، التي كانت تقطن بالقرب من قوريني، كانت تستخدم العربات، التي تجر الواحدة منها أربعة خيول، وأن قبيلة الجرامنتس كانت تستخدم مثل هذه العربات في أثناء مطاردتها للأثيوبيين، الذين يمتازون بالسرعة الفائقة[8]. وقد وصف سترابون[9] خيول قورينائية، التي

---

(1) Herodotus, IV, 155.

(2) Strabo, XVII, 19.

(3) سليم حسن، نفس المرجع، الجزء السابع، ص 90، وأنظر: O. Bates, op. cit., p.218.

(4) Diodorus Siculus, III, 49.

(5) سليم حسن، نفس المرجع، الجزء السابع، ص 90، وأنظر: O. Bates, p. 218.

(6) Idem, p. 96.

(7) Herodotus, IV, 171.

(8) Idem, IV, 183.

(9) Strabo, XVII, 19.

اكتسبت شهرة عظيمة في العالم اليوناني، بأنها مرغوبة من الملوك، ويبلغ عدد مهورها حوالي مائة ألف مهر كل سنة. وهي خيول صغيرة الحجم نسبياً طويلة الرقبة قوية سريعة العدو سهلة الترويض مطيعة لأصحابها تُركب دون سرج أو لجام في بعض الأحيان وتُوجّه بعصا صغيرة. وكانت تزين بوضع رباط من الليف أو الشعر حول الرقبة. **وقد صورت هذه الخيول على النقود القورينائية**[1] لأنها اعتبرت من أهم مصادر الدخل لأنها كانت تصدر إلى الخارج.

وربّى الليبيون كذلك النحل، حيث أشار هيرودوتس[2] إلى ذلك مضيفاً أن الصنّاع المهرة يستطيعون صناعة عسل صناعي أيضاً.

وهكذا يتضح مما تقدم أن الليبيين كانوا يعتمدون اعتماداً كبيراً في حياتهم الاقتصادية على تربية الحيوانات. وقد وجهوا اهتمامهم إلى ذلك بعناية فائقة وأظهروا خبرة ودراية في هذا المجال. وقد ساعدهم على ذلك وفرة المراعي واتساعها وصلاحيتها لتربية أنواع مختلفة وبأعداد كبيرة من هذه الحيوانات.

ثالثاً ـ الزراعة

أتاحت خصوبة التربة ووفرة المياه في بعض المناطق لليبيين فرصة العمل بالزراعة منذ وقت مبكر. وقد ذكرت وثائق المصريين منذ أقدم العصور ما كانوا يحصلون عليه من زيت تحنو[3]. وفي ذلك ما يدل على أن الليبيين كانوا

---

(1) صورة العربات التي تقودها الجياد، أنظر: Robinson, PL.XIII, 1, 2, 8, 9, 13, PL VIX, 1, 2, 4, 5 ff.

(2) Herodotus, IV, 194.

(3) G. Wainwright, JEA 48, p. 89-99.

منذ تلك الأحقاب الأولى من التاريخ يعنون باستنبات شجرته، التي لم يقطع برأيي بعد في نوعها، ضماناً لمورد دائم على طلب متصل. وأول إشارة صريحة إلى الزراعة الليبية أتت من الأسرة المصرية التاسعة عشرة. فقد سُجل في لوحة أتريب[1] أن مرنبتاح بعد انتصاره على الليبيين **أخذ كل عشب يأتي من حقولهم ولم يعد هناك حقل مزروع**. كما نهب ما كان في مخازن الرئيس الليبي من حبوب[2]. وعندما أخذت مصر تعتمد على الجند المرتزقة من القبائل الليبية في جيشها كان هؤلاء يأخذون أجرهم في هيئة إقطاعات من الأراضي يقومون بزراعتها[3]، وفي هذا الدليل الكافي على أنهم كانوا يعرفون الزراعة ويمارسونها. وقد أشرنا سابقاً إلى أن هيرودوتس ذكر خصوبة منطقة نهر كينوبس ومنطقة يوسبريدس، حيث كانت الأولى من أخصب المناطق التي زرعت قمحاً في العالم، إذ غلّت محصولاً مائل بذره ثلثمائة مرة وانتجت الثانية محصولاً عادل بذره مائة مرة في السنوات الخصبة. وأن الناسامونيس كانوا يذهبون في الصيف إلى أوجلة لجني البلح من النخيل الذي ينمو هناك بوفرة كبيرة. وقد أكد سترابون[4] ذلك بقوله **إن منطقة أوجلة تتميز بكثرة النخيل ووفرة المياه**. وأشار بليني[5] إلى أن منطقة قورينى تصلح لنمو الأشجار، بينما تنبت في المناطق الداخلية الحبوب. وعندما جاء الإغريق إلى الإقليم كانوا ينشدون الأراضي الصالحة للزراعة، ولم يهدأ لهم بال حتى حصلوا عليها بعد انتزاعها من أصحابها الليبيين. وقد كان ذلك من أهم أسباب العداء بينهم وبين القبائل الليبية، إذ قامت بسببها حربان كبيرتان هما معركة

---

(1) O. Bates, op. cit., p. 219.

(2) O. Bates, op. cit., p. 98.

(3) F. Chamoux, op. cit., p. 57.

(4) Strabo, XVII, 23.

(5) Plinius Siculus, V. 5.

إيراسا، التي انتصر فيها الإغريق، ومعركة ليوكن، التي كان النصر فيها حليف الليبيين.

وقد أشار ديودورس الصقلي[1] إلى أن بعض القبائل الليبية كانت تمتلك أرضاً تزرعها، وأن الإقليم المجاور لقوريني تميز بتربة خصيبة حيث أنتج محاصيل متنوعة كالحنطة والكروم والزيتون.

ومن هذا العرض الموجز يتضح لنا أن القبائل الليبية حاولت استغلال الأراضي الصالحة للزراعة داخل إقليمها قدر استطاعتها، وزرعت حاجاتها من المحاصيل كالقمح والشعير والزيتون والكروم والنخيل. وهكذا فإن الزراعة شكلت إحدى الدعائم الرئيسة لاقتصادها.

رابعاً ـ التجارة

كان لموقع ليبيا الجغرافي الممتاز أبلغ الأثر في السيطرة على الطرق التجارية سواء منها ما يربط بين البحر المتوسط وأواسط أفريقيا وخاصة مع السودان وتشاد، أو تلك التي تربط بين شرق القارة ومغربها.

وقد عرف الليبيون التجارة منذ وقت مبكر. لقد ورد في النصوص المصرية[2] أن الملكة حتشبسوت من الأسرة الثامنة عشرة حصلت من قبيلة التحنو على عاج من سبعمائة سن فيل. ومن الصعب الحصول على هذه الأشياء من أي مكان آخر عدا السودان وتشاد. وكانت من بين الغنائم التي استولى عليها مرنبتاح من الليبيين أوان فضية وكؤوس شراب من الفضة وتروس وسكاكين بلغ عددها 3174 قطعة[3]. وغنم هذا الملك أيضاً من المشوش

---

(1) Diodorus Siculus, III, 49-50.

(2) O. Bates, op. cit., p. 101.

(3) أحمد بدوي، نفس المرجع، الجزء الثاني، ص 889؛ سليم حسن، نفس المرجع، الجزء السابع، ص 53.

سيوفاً من البرونز عددها 9111 سيفاً[1]. وقد أشير إلى سيوف المشوش أيضاً في غنائم رمسيس الثالث. وقد لفت نظر المصريين في هذه السيوف طولها غير العادي، الذي يبلغ من ثلاثة إلى أربعة أذرع[2] (الصورة 17). **ومما يجدر بالملاحظة أن المصادر التاريخية لم تشر إلى وجود المعادن في ليبيا**. فمن المرجح أن هذه الأشياء السابق ذكرها قد حصلت عليها القبائل الليبية من خارج ليبيا عن طريق التبادل التجاري، حيث كانت هذه القبائل تصدر بعض إنتاجها الزراعي والحيواني مقابل استيرادها هذه المعادن. ومن المرجح أن جزيرة بلاتيا كانت مركزاً تجارياً تقصده القبائل الليبية المقيمة في داخل برقة[3]. وقد أشير[4] إلى أن المصريين كانوا يجلبون من ليبيا زيتاً، لعله زيت الزيتون، كان من العناصر ذات الأهمية في موائد القربان، كما استوردوا كذلك الأخشاب والأبقار.

ونظراً لأهمية هذه المنطقة من الناحية التجارية فقد أسس القرطاجيون مراكز تجارية على طول خليج سرت[5] انتهت عندها طرق القوافل التي حملت منتجات أفريقيا ورست بها السفن، التي نقلت منتجات بلدان البحر المتوسط، حيث تم التبادل التجاري. وكانت المنتجات الإفريقية تأتي على الأرجح عن طريق ليبيا إلى أسواق هذه البلدان، وكان من أشهر هذه المنتجات العاج، حيث عثر في كريت على بعض الأختام منه[6] وعلى تمثال لقرد[7]، ثم

---

(1) سليم حسن، نفس المرجع، ص 90، وأنظر: G. Wainwright, J. E A 48, p. 89-99.

(2) سليم حسن، نفس المرجع، ص 53، وأنظر: G. Wainwright, J E A 48, p. 89-99.

(3) Boardman, Greeks Overseas, London 1964, p. 170.

(4) G. Wainwright, JEA 48, p. 89-99.

(5) E.W. Bovill, The Golden Trade of the Moors, Second edition, London, 1968, p. 18.

(6) O. Bates, op. cit., p. 101.

(7) مصطفى عبد العليم - نفس المرجع - ص 37.

الصوف والجلود والأخشاب وعلى رأسها الأبنوس، الذي أتى من أثيوبيا[1] والأصباغ وريش النعام وبيضه، الذي يعثر عليه بين الوقت والآخر في قبور الأتروسكيين في إيطاليا[2]. والعقيق الأحمر الذي كان يعرف في بلدان جنوب أوروبا بالحجر القرطاجي[3]، والذي أشار بليني[4] إلى أنه كان يجلب من أثيوبيا، والزيت والحبوب والملح والصمغ والذهب، الذي كان يأتي عن طريق الجرامنتس[5]. هذا بالإضافة إلى تجارة العبيد التي كانت رائجة في هذه الفترة. وقد أشار هيرودوتس[6] إلى أن الجرامانتس كانوا يطاردون الأثيوبيين بعرباتهم، التي تجرها أربعة من الخيول. ويقوم التجار القرطاجيون بعد ذلك ببيع العبيد لخاصتهم لاستخدامهم في الزراعة أو يبيعونهم في الأسواق الخارجية[7].

وأما الواردات فكان أهمها الأسلحة (الصور 15 ـ 17) والأدوات المعدنية والأواني الفضية والأقمشة والخزف والزجاج والفخار[8] وسائر ما احتاج الليبيون إليه ورغبوا فيه ولم يتمكنوا من صنعه. وكان الليبيون يلعبون دوراً كبيراً في هذه التجارة مع الأفريقيين من جهة ومع القرطاجيين من جهة أخرى، ويتولون قيادة القوافل التجارية، ويسيطرون سيطرة تامة على الطرق الصحراوية. وفي هذا الصدد لا بد من الإشارة إلى قصة الشباب الخمسة من

---

(1) O. Bates, op. cit., p. 102.

(2) O. Bates, op. cit., p. 101.

(3) E.W. Bovill, op. cit., p. 19.

(4) Plinius Siculus, V. 5.

(5) E. W. Bovill, op. cit., p. 22.

(6) Herodotus, IV, 183.

(7) E. W. Bovill, op. cit., p. 21.

(8) O. Bates, op. cit., p. 103.

الناسامونيس[1]، الذين أقدموا على مغامرة عبروا فيها الصحراء الكبرى إلى النيجر، ليس هدف تجاري بل لمعرفة أكثر الأقاليم الداخلية.

وفي ما يخص الطرق التجارية في هذه الفترة فأهمها الطريق الساحلي، وكان معروفاً منذ القدم، وقد سارت عليه من مصر حتى يوسبريدس الحملة الفارسية التي دمرت مدينة برقة، وسار عليه أوفيلاس في أثناء تحالفه مع أجاثوكلس طاغية سيراكوزا. والطريق المتجه من طيبة بمصر العليا إلى واحة الخارجة فالداخلة فالفرافرة فالبحرية فسيوة فالجغبوب. ومن هناك يتفرع الطريق إلى أوجلة ثم سرت أو إلى فزان، وقد وصف هيرودوتس هذا الطريق[2]. وهناك طريق يتجه جنوباً من أوجلة إلى الكفرة إلى درافور، وطريق من طرابلس إلى فزان ثم تشاد[3]. وكانت البضائع تنقل على ظهر الثيران أو على العربات التي تجرها الثيران، وقد عثر على بعض الرسوم الصخرية التي تمثل ذلك[4].

وكثيراً ما تعرضت التجارة لأخطار جسيمة من لصوص القوافل وقراصنة البحر، الأمر الذي لا يستطيع دارس الاقتصاد الليبي في هذه الفترة أن يهمله. فلم يمض وقت طويل على تأسيس هذه المحطات التجارية على البحر المتوسط، حتى بدأت السفن الراسية والقوافل القادمة أو الذاهبة تتعرض لأخطار النهب والسلب، وقد أشار البعض[5] إلى أن قبيلة الناسامونيس كثيراً ما كانت تغير على السفن الراسية وتحطمها.

ومع أننا لا نملك أدلة شافية على ما قامت به بعض القبائل المتمردة من

---

(1) Herodotus, II, 32; E. W. Bovill, op. cit., p. 22.

(2) Herodotus, IV, 181.

(3) E. W. Bovill, op. cit., p. 22.

(4) O. Bates op. cit., p. 107.

(5) Idem, p. 105.

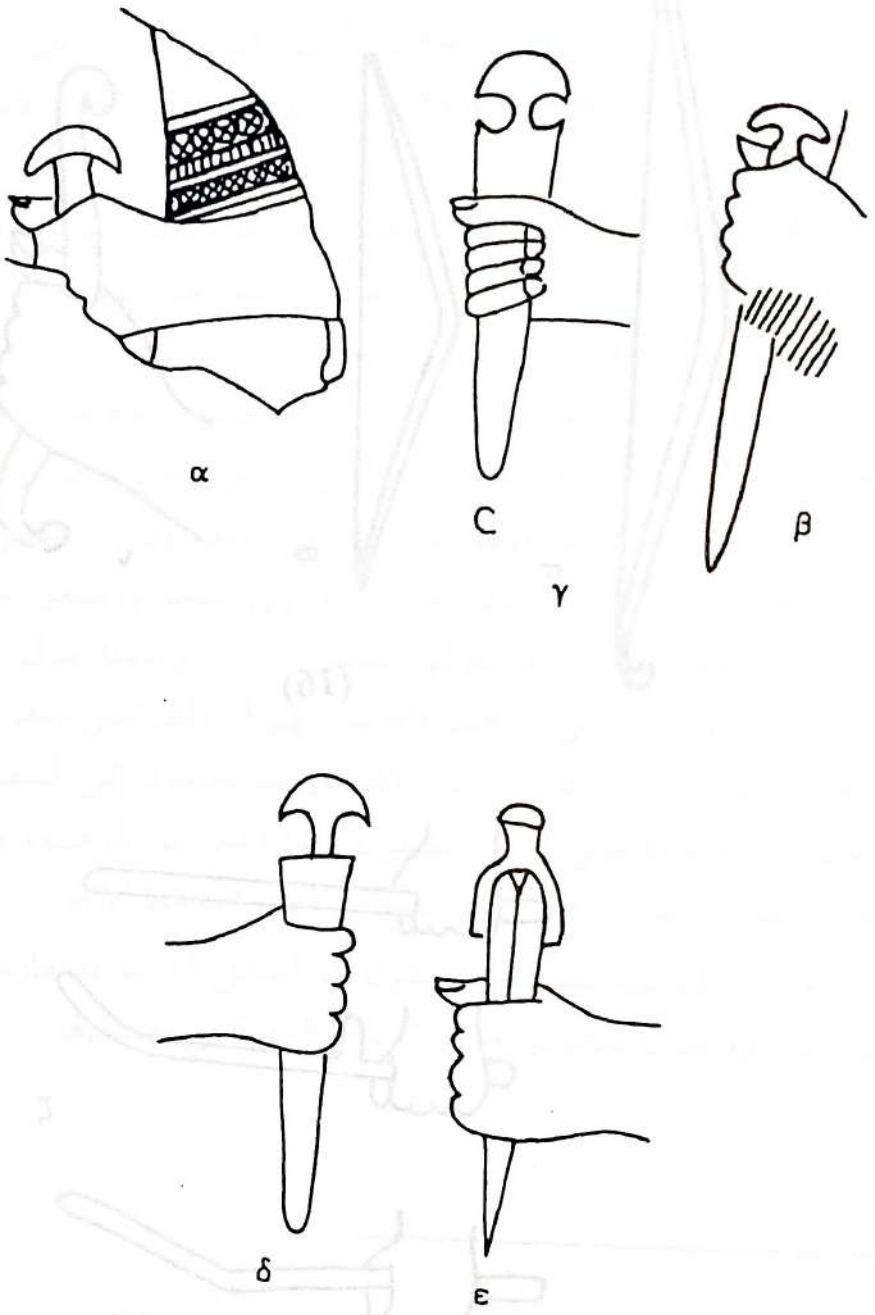

(15)

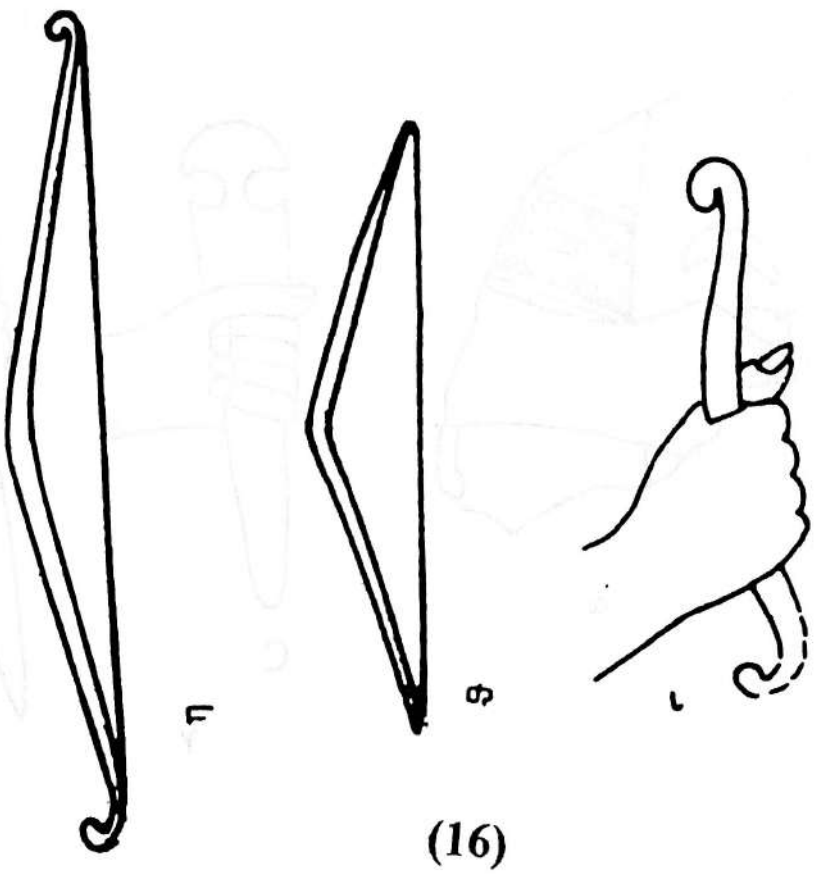

(16)

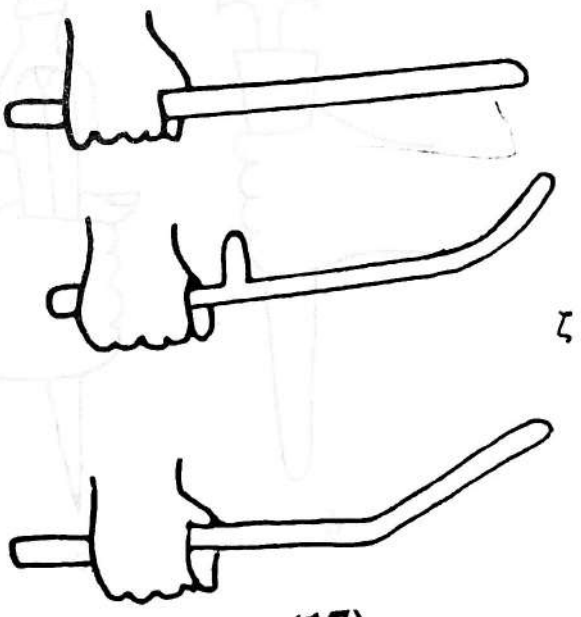

(17)

السطو على القوافل في هذه الفترة المبكرة، إلاّ أننا نستطيع أن نقيس على ما حدث في العصر الروماني. لقد كانت عمليات السطو منتشرة، الأمر الذي دعا السلطات الرومانية إلى إرسال حملات تأديبية كما في عام 68ق.م[1] بهدف السيطرة على الطرق الصحراوية والوصول إلى مصادر التجارة الأفريقية التي احتكرتها القبائل الليبية.

وكان أسلوب التبادل التجاري المتبع في هذه الفترة المبكرة هو أسلوب المقايضة[2]، إذ لم يكن النقد معروفاً بعد. واستمر هذا الوضع بالنسبة للقبائل الليبية حتى أواخر العصر الكلاسيكي[3].

وقد ذكر هيرودوتس[4] على لسان القرطاجيين طريقة مبالغاً فيها للتبادل التجاري مع القبائل الليبية؛ حيث أشار إلى أن القرطاجيين كانوا يأتون بسفنهم محملة بالبضائع حيث يفرغونها على الشاطىء ويعودون إلى السفن ويشعلون ناراً مدخنة، فإذا رأى الأهلون الدخان أتوا إلى البحر ووضعوا على الأرض مقداراً من الذهب ثمناً للبضائع ثم انسحبوا بعيداً. وعندئذ ينزل القرطاجيون من السفن وينظرون إلى الذهب فإذا بدا لهم أن ذلك ثمن مجز لبضاعتهم أخذوه وانصرفوا، أما إذا كان غير كاف فإنهم يعودون إلى السفن دون أخذ الذهب، فيرجع الأهالي ثانية ويضيفون مقداراً آخر من الذهب، وهكذا حتى يرضى رجال السفن. وفي هذه العملية لا يخدع أحدهما الآخر.

ومن ذلك كله نستطيع إن نقول أن القبائل الليبية قد مارست التجارة بكفاية ودراية حيث شكلت إحدى الدعائم المهمة في اقتصادها.

---

(1) Idem, p. 105.

(2) O. Bates, op. cit., p. 106.

(3) Idem.

(4) Herodotus, IV. 196.

ثالثاً: المجتمع اللّيبي في ضَوء النصُوص المصريّة

تساعدنا النصوص المصرية واليونانية في دراسة المجتمع الليبي بصفة عامة ونظام أسرته خاصة. وإذا كانت مصادر العصر اليوناني تؤكد عادة تعدد الزوجات، فإن المصادر المصرية تكشف عن وجود هذه العادة أيضاً عند سكان ليبيا. وقد ورد في نقوش الكرنك أن مري بن دد، أمير قبيلة الليبو، كان يصحب معه نساءه وعددهن اثنتا عشرة. كما أشير إلى نساء **كيبر ابن دد** في نصوص رمسيس الثاني. ونقرأ في لوحة أن الملك نمرود، وهو ليبي من المشوش **أرسل زوجته نس تنت إلى الملك بعنخي**[1] لتطلب العفو منه لزوجها. ويشير النص ولما دخل Piankhy قصر نمرود أمر أن تأتي إليه كل زوجات الملك وبناته... وهذا النص يقطع بتعدد زوجات الملك الليبي الأصل، لأن المصريين لم يكونوا يتخذون إلاّ زوجة واحدة.

ولا يعني تعدد الزوجات في هذا المجتمع الليبي القديم انحطاط مركز المرأة فيه، لأن المرأة الليبية تظهر في صور الآثار المصرية مرتدية ملابس الرجل ومتحلية أيضاً بنفس زينته، وهذا في حد ذاته دليل على علو منزلتها في المجتمع الليبي. وبالاضافة إلى هذا فإن نظام الإرث القائم على أساس التسلسل من نسل الأم كان شائعاً بين القبائل الليبية في هذه الفترة.

ولعل ظاهرة تعدد الزوجات على نطاق واسع بين الليبيين هي التي أدت إلى وقوع عدد كبير من الكتّاب الإغريق والرومان، وفي مقدمتهم هيرودوتس في خطأ كبير، عندما تحدثوا عن انتشار ما يشبه الإباحية الجنسية، حيث يقول

---

(1) مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين المصرية 715 ـ 656ق.م، أنظر: Breasted, op. cit., IV, p. 419 ff.; Gardiner, Piankhy's Instrutions to his army, JEA XXI 1935, p. 219 ff.

عن قبيلة الناسامونيس . . . **إن من عادتهم أن يتخذ كل رجل زوجات كثيرات** وهم يخالطون النساء دون قيد أو ضابط. **وكان الرجل عندما يتزوج للمرة الأولى يوجب على عروسه مضاجعة كل فرد من أفراد الجماعة**[1].

ويقول عن قبيلة الجندانس Γινδάνες **إن كل امرأة تضع حول كل من ساقيها حلقات من الجلد بحيث تدل كل حلقة على اتصال رجل من رجال القبيلة بها. والتي تضع أكبر عدد من الحلقات، تعتبر أحسن نساء القبيلة، لأن عدداً كبيراً من الرجال أحبوها**[2].

ويقول عن الأوسيس Αυσές إن الاتصال بين الرجال والنساء أمر شائع. وعندما يكبر الأطفال يجتمع مجلس القبيلة، الذي يضم كل رجالها البالغين، ليقرر إلحاقهم بمن يشبهونهم من الرجال[3].

ويناقش Bates[4] هذه الادعاءات فيعتبرها خطأ وقع فيه الكتّاب القدامى من إغريق ورومان، لعجزهم عن تفهم ظاهرة تعدد الزوجات. ويورد دليلين اثنين على ذلك، الأول أن الأوسيس Αυσές كانوا يُنزلون عقوبة الموت بالفتاة المشتركة في بعض طقوسهم الدينية، إذا تبين لهم أنهم كانت فاقدة عذريتها. وقوم هذه الصفة من صفاتهم لا يمكن أن يصح ما قاله هيرودوتس فيهم. والثاني أن نوعاً من قرابة الدم كان شائعاً في شمال أفريقيا، مما يدل على أنهم كانوا متفقين على نوع من الزواج، يكفي لتحديد قرابة الدم في نطاق الأسرة والقبيلة.

وإذا انتقلنا إلى مجتمع القبيلة، وجدنا أنه كان يرأسها زعيم أو رئيس من أسرة معينة تحتكر لنفسها زعامة القبيلة. وكان هذا الزعيم يُنَحّى عن مكان

---

(1) Herodotus, IV, 172.

(2) Herodotus, IV, 176.

(3) Ibid. IV, 180.

(4) O. Bates, op. cit., pp. 110-111.

الرئاسة **إذا ثبت عدم كفاءته** ويعهد بمنصبه إلى أحد أعضاء الأسرة الآخرين، كما حدث في حالة الأمير الليبي مري ابن دد الآنف الذكر، الذي هزمه فرعون مرنبتاح. ويشير النص: **لقد هزم مرى وسقطت الريشة من على رأسه... وكان مساعدوه قد هربوا بسبب خوفه... وإذا عاش فلن يقود مرة أخرى لأنه هزم... وسينصبون آخر مكانه**[1].

ويساعد بعض الأشخاص رئيس القبيلة في تسيير شؤونها، لعلهم كانوا يشكلون مجلساً استشارياً. فقد أشار النص السابق إلى كلمة مساعدوه، وأشارت نصوص الملك رمسيس الثالث، أنه أمر أن يحضر إليه الأسرى العشرة، الذين يرجح أنهم كانوا يشكلون المجلس الاستشاري، الذي تعاون مع رئيس القبيلة في إدارة شؤونها. وقد تكررت في نصوص هذا الملك **رؤساء المشوش** وأشير في نصوص الأسرة الثانية والعشرين الليبية إلى **زعماء أرض المشوش والرئيس الأعظم للمشوش ورئيس الرؤساء**. وترينا الصور، التي حفظتها جدران المعابد في مصر بعض المشوش يتحلون بريشة واحدة وآخرون بريشتين، فإن ذلك ـ على الأرجح ـ يعتبر علامة تباين في المركز الاجتماعي، وربما كان من علامات الرئاسة إلى جانب الريشة أيضاً اتخاذ ذيل الحيوان حلية وزينة ولعلها كانت هي التي تميز الرئيس عن عامة الليبيين[2].

وكان رئيس القبيلة يجمع في يديه السلطتين الزمنية والدينية: فهو رئيس مجلس القبيلة وقت السلم لإدارة شؤونها وقائد الجيش وقت الحرب. وإذا فشل فإنه يُنحى ويولى أحد أخوته أو أبنائه مكانه.

وفي ما يتعلق بلغة الليبيين القدماء، فلم يُعثر ـ للأسف حتى الآن ـ على نصوص مكتوبة باللغة الليبية القديمة سواء في الأراضي الليبية أو في المناطق

---

(1) وسليم حسن، نفس المرجع، ص ص 48 و 49. Ibid. p. 218.

(2) O. Bates, op. cit., p. 73-90.

المجاورة لها، ونرجو أن يعثر عليها مستقبلاً، حتى ولو بطريق الصدفة. وقد كتب Bates فصلاً ممتعاً عن لغة البربر الحاليين: وفي نظره أنهم من سلالة الليبيين القدماء. وقد أورد نماذج كلمات من هذه اللغة وقارن بينها وبين كلمات مماثلة في اللغة الهيروغليفية الفرعونية في النطق والمعنى، وانتهى إلى نتيجة هامة، وهي وجود عنصر ليبي في لغة المصريين. ويعلل ذلك باختلاط الليبيين بالمصريين في الدلتا وفي مصر العليا وحتى في الواحات أيضاً. ويلفت هذا الباحث نظرنا إلى بقاء اللغة البربرية في بعض الواحات المصرية وخاصة في واحة سيوة من بينها. ويعتبر ذلك دليلاً على استمرار العنصر الليبي، الذي عرفته مصر الفرعونية.

وعلى أي حال، لا بد من مزيد من الدراسة لهذه اللغة البربرية ولهجاتها، حتى يصبح في استطاعة عالم اللغات أن يعيد تكوين لغة التحنو أو التمحو أو الليبو أو المشوش. وقد يكون من الطريف أن نشير إلى أن هيرودوتس ذكر كلمة Βαττος وهو إسم أول ملك إغريقي في مدينة قوريني، وهي كلمة كانت تعني «ملك» باللغة الليبية[1] Λιβιες γαρ βασιλια βαττον Καλεουσι وقد قارن بعض المؤرخين هذا اللقب بالكلمة المصرية BIT التي تعني في اللغة المصرية القديمة **ملك الوجه البحري**[2].

وتحدث هيرودوتس أيضاً عن نوع من الفئران كان موجوداً في ليبيا واسمه ζεγεριις وقال إن هذا الإسم ليبي ويعني التلال في لغة الإغريق[3]

Τόδέ όνομα τουτο Εστι΄μέν Λιβαστκεν

δύναται δέκοΤ΄ Ελλάδα γλωρρσν βούνοι...

---

(1) Herodotus, IV, 155.

(2) F. Chamoux, op. cit., p. 96.

(3) Herodotus, 192.

ومعنى ذلك أنه كانت توجد لغة ليبية في عصر هذا المؤرخ. وعلى أية حال لن تحل المشكلة، إلاَّ إذا عثر على نماذج مكتوبة بهذه اللغة.

وإذا انتقلنا إلى دراسة ديانة سكان ليبيا ومعتقداتهم، التي كانوا يتوارثونها ـ ونأخذ قورينائية مثلاً على ذلك ـ لوجدنا أنه كان من الطبيعي بالنسبة لهم، وفي مثل هذه البيئة، التي عاشوا فيها فلاحين ورعاة وصيادين، أن يكونوا قد عبدوا مظاهر الطبيعة من سحب وعواصف ونجوم وآبار وأشجار. وذكر هيرودوتس[1] أن الليبيين كانوا يقدمون القرابين للشمس وللقمر. ووصف طريقة هذا التقديم، وكل هذه المظاهر كانت عندهم منازل للأرواح. ومن المحتمل أن النبع الموجود في قوريني، الذي أصبح يعرف بنبع «أبوللو» في العصر اليوناني، كان محل تقديس من السكان المحليين قبل قدوم الإغريق إليها.

وقد ورد ذكر بعض الآلهة الليبية في الآثار المصرية مثل الإله آش ASH الذي ظهر اسمه في نقوش الأسرة الخامسة. ويدل الأسلوب الذي ذُكر فيه هذا الإله في نصوص الملك سحورع، أنه كانت له مكانة كبيرة في ليبيا، ولكن لا يُعرف عن طبيعة هذا الإله ووظيفته شيء محدد حتى الآن[2].

وأما الربة المعروفة في المراجع العلمية حتى الآن باسم نيت Neith، (والأصح تِنِيت)، فقد ورد ذكرها منذ عصر ما قبل الاسرات على فخار نقادة، واستمر ذكرها شائعاً على الآثار وفي البرديات طوال العصر الفرعوني. وكانت تُعبد في غرب الدلتا، ولم يكن لها طبيعة محددة واضحة[3]. فهي أم للطبيعة

---

(1) Ibid, IV, 188.

(2) M. Murry, The God ASH in Ancient Egypt and the East, JEA 1943, part II, p. 115 ff.

(3) O. Bates, op. cit., p. 204.

وتتصف بالخصب، وقد عثر على الرمز الدال عليها أو شعارها في شكل وشم على أجسام الأسرى الليبيين في نقوش موقع **صا الحجر** في غرب الدلتا. وفي القسم الغربي من ليبيا أخذ الفينيقيون عن الليبيين عبادة هذه الربة وجعلوها نظيرة للرب بعل حمون وقرينة له[1] (الصور 18 ـ 23).

ويشير هيرودوتس[2] إلى أن الليبيين كانوا يعبدون إله البحر بوزايدون Poseidon وأن المصريين أخذوه عن الليبيين. ونحن لا نستطيع أن نقرر ما إذا كان هذا الإله ليبي الأصل أم أنه قدم إلى ليبيا مع شعوب البحر، التي تحالفت مع الليبيين في غزو مصر. وهناك أسطورة مصرية تتحدث عن الإله حورس وكيف أرضعته البقرة المقدسة سحت حور وكيف أصبحت هذه الربة راعية الماشية وحاميتها. وقد استمرت عبادتها طيلة العصر الفرعوني من حدود مصر غرباً حتى قورينائية إما بإسم **حاتحور أم حورس** وإما باسم **إيزيس**[3]. ولا ننسَ أيضاً عبادة الثور **جيزيل**، التي استمرت حتى عصور متأخرة في ليبيا[4]. وهذا ما يفسر لنا إشارة هيرودوتس، أن نساء قوريني لا يأكلن لحم البقر ويعتبرون أكله إثماً كبيراً[5].

---

(1) في رسالة خطية لي من الأستاذ الدكتور توفيق سليمان لفت نظري، مشكوراً، إلى القراءة الجديدة لإسم الربة «نيت»، إذ الأصح تِنّيت، وكيف أن الفينيقيين جعلوها في شمال أفريقيا نظيرة للرب بعل ـ حمّون وقرينة له، حيث اصطحب الفينيقيون الإله بعل من موطنهم في بلاد الشام، وأسموه بعل ـ حمون. وأشار بنفس الوقت إلى أشكال شعار الربة تِنّيت وسعة انتشارها خلال اتساع دوائر الحضارة الفينيقية في شمال أفريقيا، أنظر بهذا الخصوص: M. Hours-Miedan, Byrsa 1, 1951, T. 6a, f, h, i, T. 7b, 1; Gese, Höfner, Rudolph, Die Religionen Altsyriens, Altarabiens und der Mandäer, 1970, S. 204 ff., Fig. 24, S. 211.

(2) Herodotus, II, 50.

(3) H. Kees, Ancient Egypt, 1961, p. 31.

(4) Bates, op. cit., p. 188.

(5) Herodotus, IV, 186.

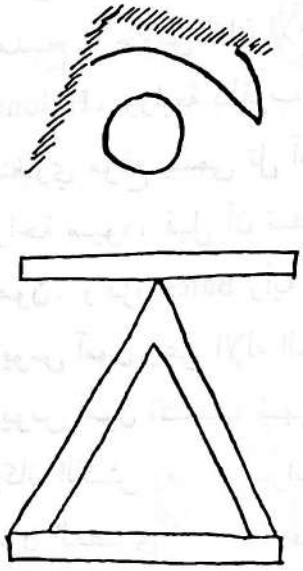

(20)

(19)

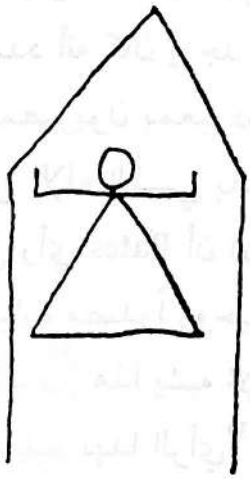

(18)

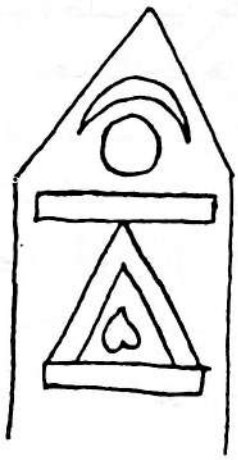

(23)

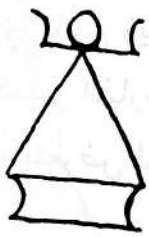

(22)

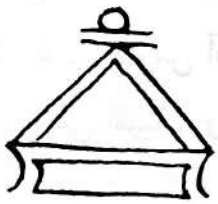

(21)

وقد عبد الليبيون الإله آمون Ammon، الذي كان معبده في واحة سيوة، وانتشرت عبادته داخل ليبيا، إذ كان له معبد في واحة أوجلة. وكانت توجد على ساحل سرت محلة يقال لها **آمونكلا** وأخرى آمونيس وثالثة في منطقة مذبح الاخوين كان الإغريق يعرفونها باسم **آمونيس هالوس** Ammonos Halous، ورابعة بالقرب من طبرق يطلق عليها آمونوس، ويوجد حالياً جنوب بنغازي موقع يسمى **تل آمون**. ويشير بيتس[1] في هذا الصدد أنه كان يوجد في واحة سيوة، قبل أن تنضم إلى مصر، إله ليبي قرنه المصريون بمعبودهم **آمون**. وعزز Bates رأيه هذا بأن هيرودوتس تحدث عن الإله الليبي باسم **زيوس آمون** وعن الإله المصري باسم **زيوس الطيبي**، وفي رأي Bates أن الإله **زيوس آمون** اكتسب شهرة واسعة في العالم القديم باعتباره مصدراً روحياً. وكان الكبش رمزه وحيوانه المقدس (الصور 24 ـ 26)، وهو في هذا يشبه الإله **آمون** المصري[2]. وبالرغم من رفض شامو Chamoux التسليم بهذا الرأي[3]، إلاّ أننا نتفق مع رأي Bates في التفريق بين الإله الليبي والإله المصري، لأن واحة سيوة ظلت ليبية حتى احتلها المصريون في منتصف القرن السادس قبل الميلاد. وعندما احتلوها وجدوا سكانها الليبيين يعبدون إلهاً مشهوراً فأسماه المصريون باسم رئيس الآلهة المصرية **آمون طيبة**. هذا بالإضافة إلى أن هيرودوتس كان واضحاً في التمييز بين الإلهين؛ فهو دائماً يسمي الإله الليبي باسم **زيوس آمون** والإله المصري باسم **زيوس الطيبي**[4]. ويؤكد هذا الفرق الذي أوضحه هيرودوتس، أن قمبيز الفارسي أرسل حملة ضد **زيوس آمون الليبي وأتباعه في سيوة، بينما لم يتعرض للإله آمون المصري في طيبة**. وهذا

---

(1) O. Bates, op. cit., p. 187 ff.

(2) O. Bates, op. cit., p. 187 ff.

(3) F. Chamoux, op. cit., p. 333.

(4) Herodotus, II 54-55-56.

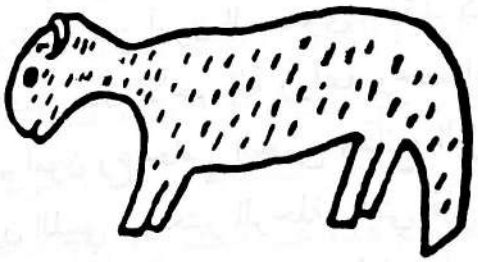

(24)

(26)

(25)

التمييز في المعاملة له مغزاه في الدلالة، على أن **زيوس آمون الليبي في سيوة** كان غير **زيوس المصري** في طيبة بمصر[1]. هذا بالإضافة إلى أن **آمون الليبي** كان يختلف في الوظيفة عن **آمون المصري**. فقد كان الأول إله نبؤات في المقام الأول، في حين كان الآخر إله زراعة وحصاد قبل أن يُجعل رئيساً للآلهة المصرية باسم **آمون رع حامي الحمى ومانح البركات**. ولم تبلغ شهرته في الوحي شهرة **آمون الليبي**. وتعتبر الرحلة، التي قام بها الإسكندر المقدوني إلى واحة سيوة لزيارة معبد الإله **آمون**، خير دليل على رأينا هذا. ويدعم هذا الاتجاه بالرأي قول Diodorus Siculus[2] أن آمون كان ملكاً ليبياً أسطورياً. ثم إن كثرة الأماكن التي يطلق عليها اسمه في قورينائية ظاهرة تدعم وجهة نظرنا هذه. ويقول Bates إن التشابه في العبادة وخاصة في عبادة الثور والكبش يؤخذ دليلاً قوياً على أن العلاقات بين الطرفين لم تكن كلها عدائية، وإنما كانت سلمية كذلك[3].

وفي الختام نشير إلى بعض العادات الليبية المتعلقة بالديانة الليبية القديمة: فمثلاً في ما يتعلق بالقسم يقول هيرودوتس[4]، إن الليبيين كانوا يضعون أيديهم على قبور أولئك الذين عرف عنهم العدل والخلق الرفيع، فيقسمون بأضرحتهم. أما عن استطلاع الغيب فإنهم يذهبون إلى مقابر أسلافهم، وبعد أداء الصلوات ينامون وأي حلم يتراءى لهم في النوم، يعتبر بمثابة وحي أنزل عليهم يجب عليهم تنفيذه[5]. وكانوا يعطون المواثيق والعهود بأنْ يشرب الواحد منهم من يد الآخر. ويرى Bates أن بعض علامات الوشم

---

(1) Herodotus, III, 26.

(2) Diodorus Siculus, III, 68.

(3) O. Bates, op. cit., p. 207.

(4) Herodotus, IV, 172.

(5) Herodotus, IV, 172.

هي في الواقع رموز دينية، منها مثلاً الوشم الذي على شكل صليب يرمز إلى إله الشمس. وإن بعض العلامات الأخرى ترمز إلى الربة تِنِيت... إلخ.

ومن هذا العرض لحياة الليبيين الدينية نجد أنه كان من الطبيعي أن يشعر الليبيون، وهم يتنقلون من مكان إلى آخر، صيداً كان التنقل أو رعياً لمواشيهم، بحاجتهم إلى التماس الحماية من إله ويكون لهم هادياً ومرشداً، يعينهم ببركاته في تنقلاتهم هذه عبر الصحراء والواحات ويكشف لهم عما يجهلونه وينبئهم به. ولهذا فإنهم مارسوا الطقوس والمعتقدات الدينية بعمق في مضمونها، وأثروا في البيئات المجاورة وتأثروا بها. وفي هذا الصدد يشير Bates[1] إلى أن أوجه الشبه بين الديانتين المصرية والليبية، وخاصة منها في ما يتعلق بعبادة الثور والكبش، توضح أن العلاقة بين الطرفين كانت قوية ولم تكن عدائية دائماً.

وإذا انتقلنا إلى مظاهر الحياة المادية، نجد أن كل قبيلة قد تميزت بطريقة لبس أزياءها. فمثلاً كان **التحنو** يلبسون شرائط من الجلد وقراب العورة، أما عند **التمحو** فملابسهم كانت أرقى بقليل. وقد أشرنا إلى أنها كانت تتكون من عباءة فضفاضة مزخرفة من الجلد ثبت في ذيلها شريط مخطط. وإلى جانب ذلك احتفظ **التمحو** بقراب العورة. وذكر أيضاً أن **الليبو** كانوا يلبسون تحت العباءة بدلاً من قراب العورة قميصاً يعلو الركبة وأن ملابسهم تكاد تشبه ملابس **المشوش**. غير أن المشوش كانوا يلبسون قراب العورة، الذي يقتصر لبسه على البالغين من الرجال والنساء دون تمييز في المركز الاجتماعي.

وكان الليبيون يلبسون الأحذية، وإن كانوا يظهرون في صور الآثار المصرية حفاة الأقدام. ولعل ذلك عائد إلى إهمال من الفنانين المصريين، أو أنهم اتخذوا ذلك أسلوباً فنياً بطريقتهم في الرسم أو المبالغة في إظهار الليبيين

(1) O. Bates, op. cit., p. 207.

بمظهر الذل والخضوع. تقول ذلك لأننا نقرأ في نصوص معبد الكرنك من عهد مرنبتاح أنهم قد تركوا ملابسهم ومتاعهم وأحذيتهم أيضاً[1].

وأما لباس الرأس فلم يكن شائعاً بين الليبيين بشكل عام، إلاّ في نطاق ضيق بالرغم من أنهم كانوا يعرفون القبعة، التي تغطي الرأس، إذ تظهر في صور مدينة هابو إمرأة ليبية تلبس قبعة على رأسها. وفي لوحة للملك تحتمس الرابع يظهر رجل يلبسها أيضاً[2].

ولعل أشهر الحلي التي كان الليبيون يتزينون بها هي ريش النعام، وإن كانت لا تظهر أحياناً في الصور المصرية. ولعل مرد ذلك إلى التوفير في السطح الذي رسم عليه الفنان. وقد مرّ بنا أن الريشة من علامات الزعامة وسقوطها من على الرأس هو علامة ذل وعار لحاملها (الصور 27 ـ 35). وكان الرؤساء يتحلون أيضاً بذيل الحيوان كما سلف ذكره.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الليبيين كانوا يلبسون أيضاً الحلق (الصور 36 ـ 38) والأساور. ويظهر في نقوش سحورع ونقوش مدينة هابو بعض الليبيين والليبيات يتحلون بالعقود والأساور. وأما الخلاخيل فقد وردت في نقوش تحتمس الرابع حيث يظهر أحد أفراد قبيلة الليبو وفي أعلى قدمه اليمنى خلخال. وقد سبق أن أشرنا إلى أن هيرودوتس ذكر أن نساء ليبيات كن يلبسن خلاخيل جلدية وأن أخريات كن يحملن خلخالاً من البرونز في كل ساق[3].

وقد كان الليبيون يعتنون بتصفيف شعورهم وترتيبها على نحو ما يظهر على الآثار المصرية، ويهتمون باللحية التي تنتهي بطرف مدبب منسق (الصور 28 ـ 35). ونشاهد في بعض الصور أن الرجل كان يطلق شاربيه، ولكنها لم تكن عادة شائعة عند كل الليبيين؛ واستعمل الليبيون أيضاً الوشم في أشكال مختلفة، بعضها يتعلق بالتصور الديني وبعضها الآخر للزينة فقط. ويرجح

---

(1) Breasted, op. cit., III, p. 584.

(2) O. Bates, op. cit., p. 134.

(3) Herodotus, IV, 168, 176.

Bates[1]، أن الرؤساء الليبيين هم فقط كانوا يستعملون الوشم إلى جانب رجال الأسرة المالكة دون نسائها (الصورتان 39 و 40).

واستعمل الليبيون في هذه الفترة المعادن، لأنهم صاروا في مرحلة حضارية متقدمة نسبياً. فقد ذكرت نقوش الكرنك في قائمة الغنائم، التي استولى عليها مرنبتاح من الأمير الليبي مري بن دد، بين ما ذكرت، **كؤوس شراب من الفضة وسبوفاً نحاسية وسكاكين وأوانٍ برونزية**[2]. وكان من جملة الغنائم، التي استولى عليها رمسيس الثالث من الليبيين، 115 سيفاً طول الواحد من هذه السيوف خمسة أذرع[3] و 24 سيفاً طول الواحد منها ثلاثة أذرع وأكثر من تسعين عربة حربية[4]. وتؤكد هذه المعلومات صور الأواني الليبية في النقوش المصرية وما ذكره الكتاب الكلاسيكيون عن السيوف الليبية. ولما كان الساحل الليبي خالياً من المعادن، فمن المرجح إذنِ أنهم قد استوردوها، خاصة بعد اتصالهم بشعوب البحر. ومما يكشف أيضاً عن مظاهر الحضارة المادية ما جاء في نصوص مرنبتاح، أن الأمير الليبي قد فرّ تاركاً وراءه أثاث زوجته وعرشه. وهذا يعني أنه كان يوجد في مسكن الليبو أثاث، ولكنهم كانوا يعرفون الكراسي، لأن رئيسهم اتخذ لنفسه عرشاً[5]. وقد عثر في مدينة غدامس على لوحة حجرية عليها صورة، ربما كانت معاصرة لأواخر عصر الدولة الحديثة في مصر تمثل امرأة جالسة على كرسي وقد وضعت قدميها على مسند للأقدام (الصورة 41)[6].

---

(1) O. Bates, op. cit., p. 138.

(2) سليم حسن، نفس المرجع، ص 90.

(3) الذراع كان قياساً طوله 53 سم.

(4) O. Bates, op. cit., p. 225.

(5) Ibid. p. 153.

(6) أنظر الصورة عند Bates ص 128، الشكل 133. مع ملاحظة أن اللوحة ضائعة الآن ولم يوجد لها أي أثر.

(27)

(29)

(28)

(31)

(30)

(32)

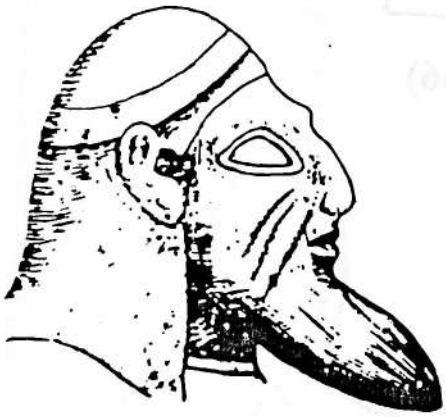

(34)

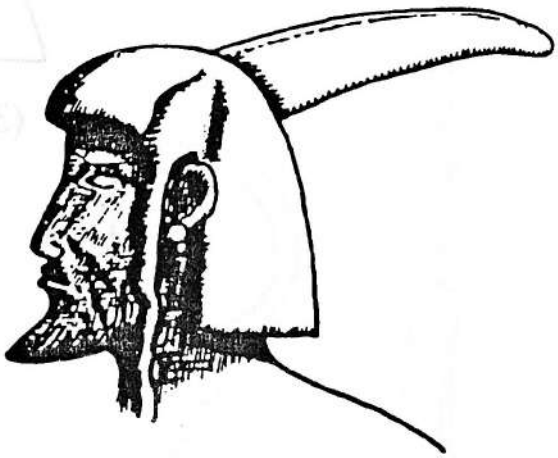

(33)

(35)

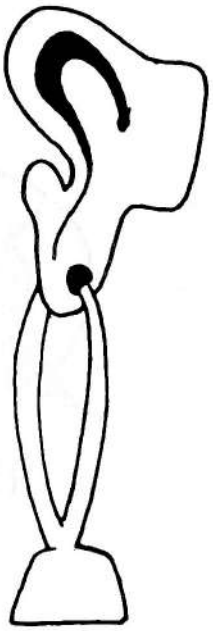

(36)

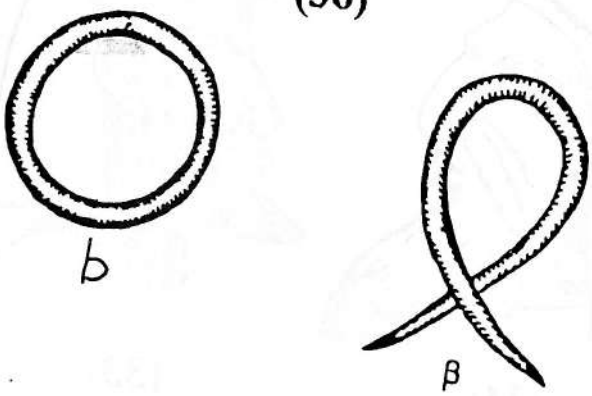

(37)

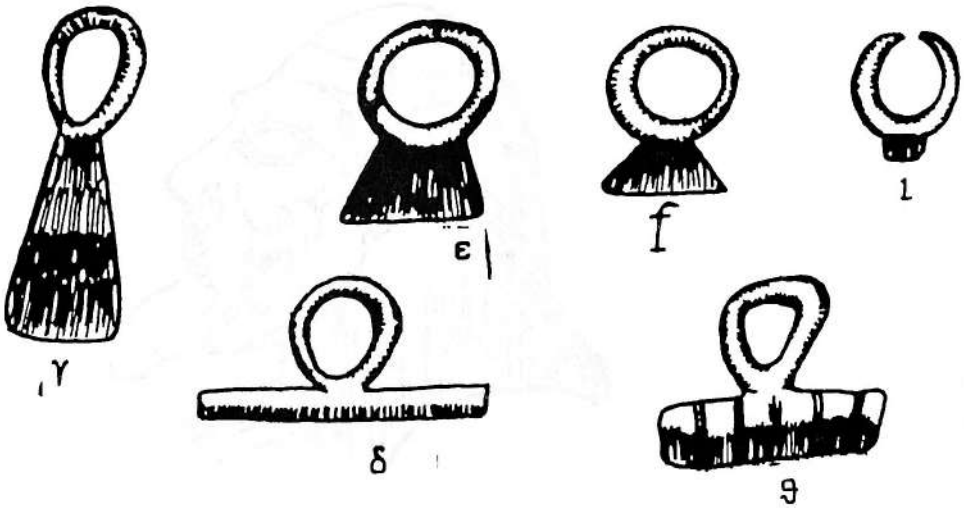

(38)

(40)

(39)

ولنا أن نتصور أن مساكنهم كانت لا تخلو من الأواني الفخارية أو المعدنية وقرب الماء، وأنه كان لديهم أدوات تستخدم في كافة أغراض الحياة اليومية من أكياس وأوعية وسلال وغيرها[1] (الصورتان 42 ـ 43).

ويلاحظ أنه لم يعثر على أبنية الليبيين في العصور التي نتحدث عنها. ولعل ذلك راجع إلى استعمالهم نوعاً من الحجارة، لم يستطع مقاومة عوامل الزمن. وقد سكن الليبيون الكهوف الطبيعية، ونذكر في هذا الخصوص أن بعضهم بقي يسكن الكهوف الطبيعية في مناطق الجبل الأخضر مثلاً إلى عهد قريب. ويشير هيرودوتس، إلى أن الناسامونيس كانوا يعيشون في مساكن مصنوعة من أنواع سيقان النبات يلتف حوله نوع من البوص، ويمكن نقل المسكن من مكان إلى آخر[2].

وأما الخيام الجلدية، فقد استمر استعمالها منذ العصر الفرعوني وحتى فترة متأخرة[3]. وبالإضافة إلى الخيام كان الليبيون يسكنون أكواخاً متنقلة عرفها الرومان باسم Mapalia، حيث كانت منتشرة بصورة عامة وفي كل الشمال الأفريقي (الصورتان 44 و 45)[4].

وقد أقام الليبيون الآبار وخزانات المياه. وقد ذكر هيرودوتس[5] أن قبيلة البسولوي كانت تحتفظ بالماء في الخزانات.

---

(1) وتدل إحدى الصور على آثار بني حسن، إن الليبيين كانوا يعرفون السلال، إذ ظهرت النساء الليبيات في تلك الصورة وهن يحملن أطفالهن على ظهورهن، أنظر بهذا الخصوص أيضاً: O. Bates, p. 131, PL. V.

(2) Herodotus, IV, 190.

(3) O. Bates, op. cit., p. 168.

(4) Ibid. p. 169 ff.

(5) Herodotus, IV, 173.

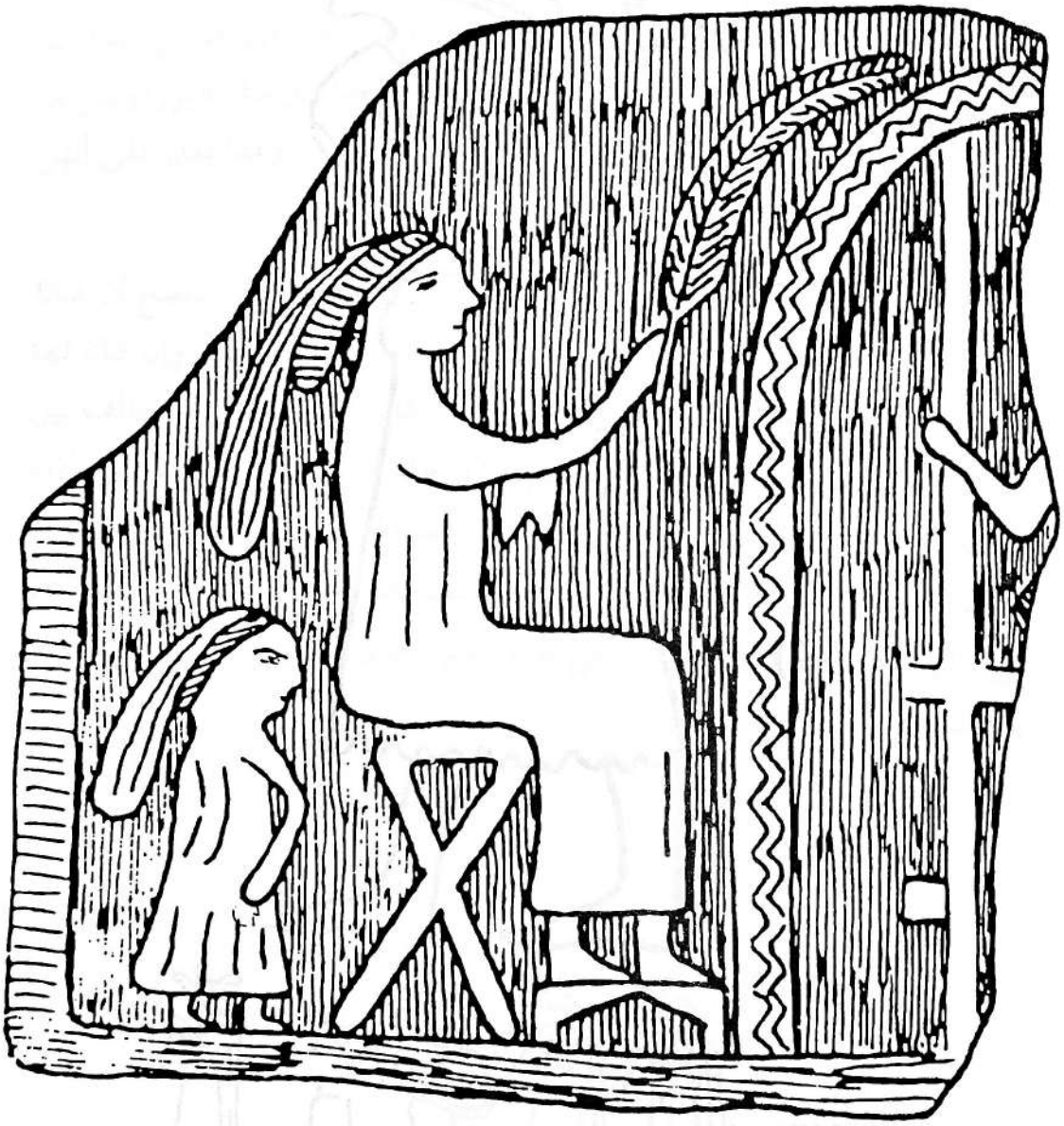

(41)

(42)

(43)

وأما عن مظاهر الحضارة الفنية فقد كشفت الآثار عن وجود بعض الآلات الموسيقية مثل الطبلة ذات الوجهين والبوق والمزمار والقيثارة الصغيرة قائمة الزاوية (الصور 46 ـ 48). وكان لليبيين رقصات تشبه تلك التي كان يؤديها الجنود الليبيون المرتزقة في الجيش المصري في لوحة **التمحو**[1]. ومن الطريف أن أشير إلى أن هذه الرقصة لها مثيلها في الفلكلور الليبي الحديث تعرف باسم الكسكا Kaska مما يدل على عراقتها. وأشار هيرودوتس أن النساء الليبيات لهن صوت غاية في الروعة والطرب[2]، وهذا يدل على أنهن كن يمارسن الغناء ويطربن المستمعين.

ومن هذا العرض لمظاهر الحياة الاجتماعية عند الليبيين يتضح أن هناك حضارة ليبية نابعة من البيئة أثرت بجيرانها وتأثرت بهم، وإن كان لها شخصيتها الخاصة. وهذا ما يفسر لنا كيف كانت الزعامة في التحالف بين الليبيين وشعوب البحر للّيبيين أنفسهم؛ لأن هذه القبائل الليبية كانت من القوة والحضارة ما أوجب أن يدين لها بالزعامة أصحاب الحضارة الإيجية السابقة للحضارة الإغريقية الكلاسيكية، وكيف تمكنت هذه القبائل من أن تحكم لأكثر من مائتي سنة مصر، التي تعتبر في هذه الفترة أقوى إمبراطورية في شرق البحر المتوسط.

(1) O. Bates, op. cit., p. 155, fig. 63.

(2) Herodotus, IV, 189.

(44)

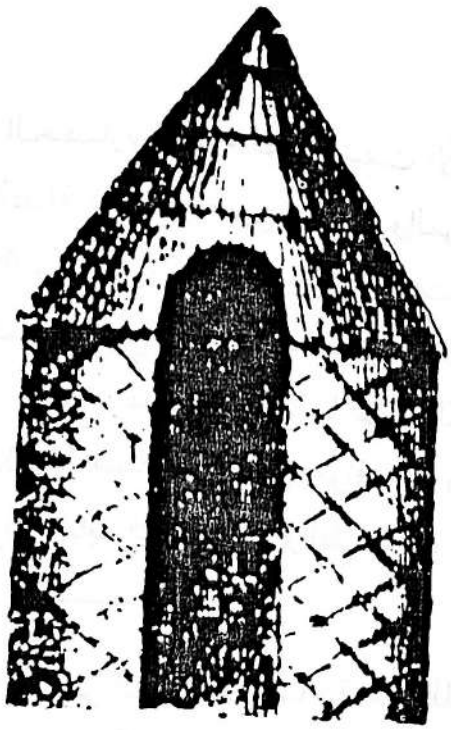

(45)

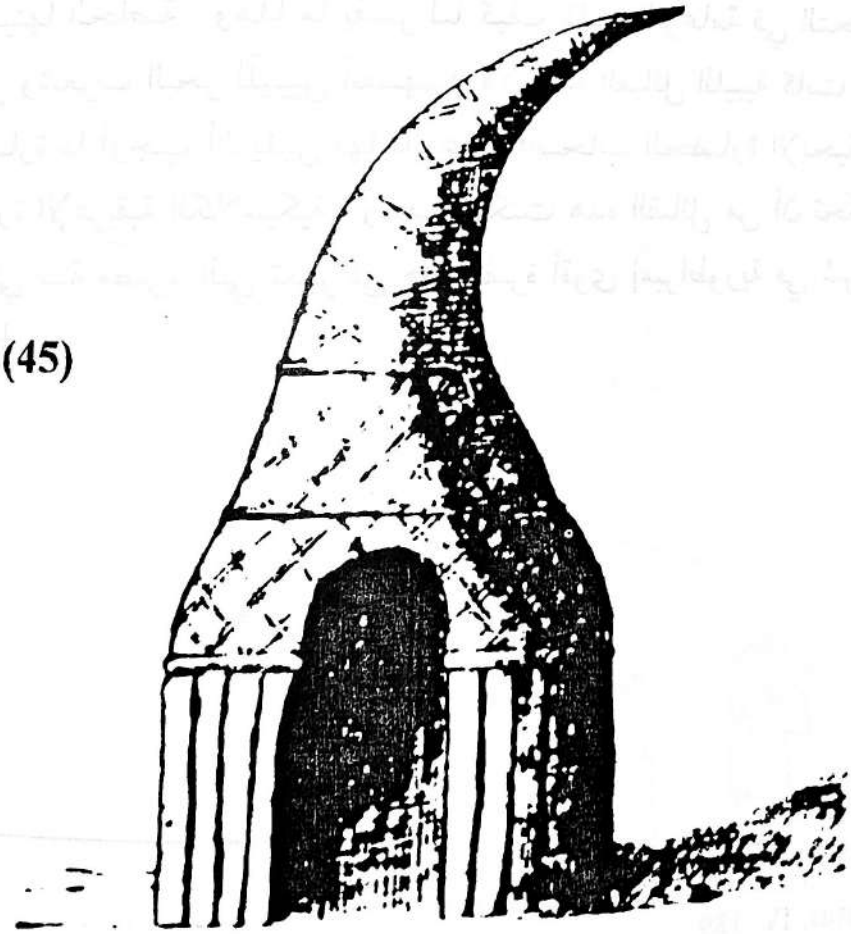

(46)

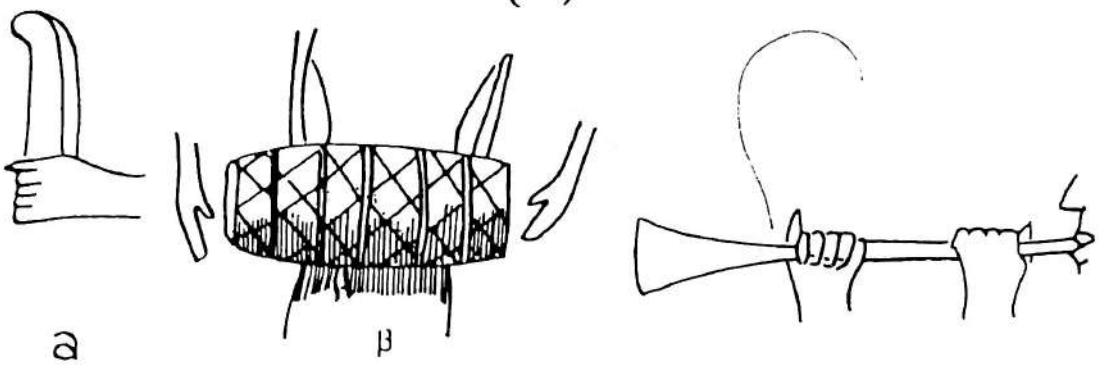

(47)

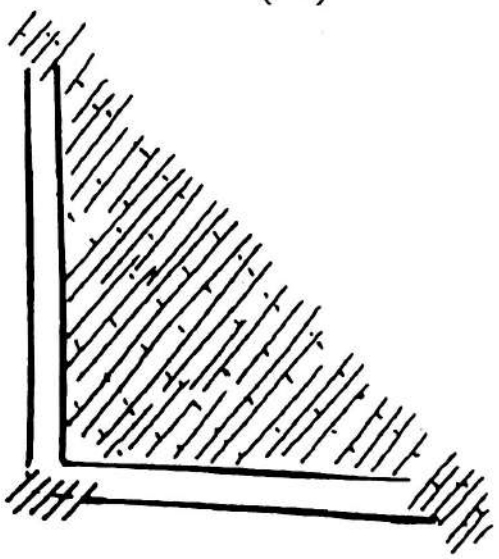

(48)

الفصل الثالث

ليبيا في العصر الفينيقي

الفصل الثالث

ليبيا في العصر الفينيقي

أولاً ـ الفينيقيون في الجزء الغربي من ليبيا

من المعروف أن الفينيقيين كانوا من أقدم الأمم البحرية التجارية وأمهرها، وأن مدينتهم صيدا وصور كانتا من أقدم المدن التجارية في العالم القديم وأكثرها نشاطاً وأوسعها تجارة وشهرة. وأنه منذ عام ألف قبل الميلاد كانت سفن هاتين المدينتين تقوم برحلات منتظمة إلى إسبانيا، التي كانت المصدر الرئيسي للمعادن في العالم القديم. وكانت هذه السفن تفضل الإبحار قريبة من السواحل خوفاً من اعتراض القراصنة لها في عرض البحر وشدة الأنواء التي يمكن أن تعصف بها. ولا بد أن يكون الفينيقيون قد عرفوا أفضل الأماكن على الشاطىء، التي تزود سفنهم بالماء والمؤن. وأثناء ذلك لا بد أن الفينيقيين قد أدركوا أهمية هذا الجزء الغربي من ليبيا من الناحية التجارية خاصة. فقد كان يشكل مخرجاً لمنتجات أواسط أفريقيا: مثل الذهب والعاج والأبنوس، كما أن الإقليم نفسه كان غنياً بالنعام، الذي كان ريشه وبيضه من السلع الهامة في العالم القديم، وكذلك الأحجار الكريمة، التي من أهمها العقيق[1]، وهو الذي أطلق عليه الإغريق إسم «الحجر القرطاجي». ولما كان

(1) د/ ل هاينز، آثار طرابلس الغرب، ترجمة عديلة حسن، منشورات مصلحة الآثار، ص12.

الطلب كبيراً في العالم القديم على هذه السلعة، فلا بد أن الاتجار بها قد استرعى انتباه التجار الفينيقيين، الذين أنشأوا عدداً من المراكز التجارية في هذا الجزء الغربي من ليبيا.

وتدل نتائج أعمال التنقيب عن الآثار عند صبراتة على وجود أحد مثل هذه المراكز التجارية خلال القرن الثامن قبل الميلاد. ويرجح أنه أنشئت حوالي هذا الوقت أيضاً مراكز تجارية فينيقية أخرى عند لبدة وأويا، وفي ما يبدو أيضاً عند سلطان وسرت. كل ذلك بالإضافة إلى المراكز الأخرى التي انشأها الفينيقيون في أنحاء أخرى على الشاطىء الأفريقي وخاصة على شاطىء تونس الحالية. ويبدو أنه عندما ازدهرت تجارة الفينيقيين في غرب البحر المتوسط، أخذوا يبدلون مراكزهم التجارية المؤقتة في هذه المنطقة إلى مستعمرات دائمة[1]. وتدل المخلفات الأثرية أن أقدم هذه المستعمرات كانت مدينة قرطاجة، المتفق اليوم أن تأسيسها قد حدث حوالي 814ق.م وأخذت هذه المدينة تنمو نمواً سريعاً إلى أن صارت عاصمة دولة قوية ذات شأن كبير. وأثناء ذلك كان الإغريق يعملون حثيثاً للتوسع في غرب البحر المتوسط، بينما كانت قوة صيدا وصور آخذة بالاضمحلال من جرّاء توسيع الآشوريين لسلطانهم في غرب آسية. ولذلك نصّبت قرطاجة نفسها حاملة لواء قيادة المستعمرات الفينيقية في البحر المتوسط في مقاومتها التوسع الإغريقي هذا.

ولا نكاد نعرف عن إنشاء المستعمرات الفينيقية في الجزء الغربي من ليبيا أكثر مما قاله الشاعر الروماني سيليوس أتاليكوس في هذا الصدد، والذي عاش في القرن الأول الميلادي، أن مستعمرين من صور قد أنشأوا لبدة وصبراته، بينما أنشأ مهاجرون فينيقيون من صقلية بالاشتراك مع الليبيين مدينة أويا. ولا داعي للظن أن هناك تضارباً في الرأي، عندما نقرأ عند المؤرخ الروماني

(1) نفس المرجع ص 13 ـ 14.

سالوست، وكان يعيش في القرن الأول قبل الميلاد، أن مهاجرين من مدينة صيدا، اضطروا إلى الفرار من موطنهم، قد أنشأوا مدينة لبدة، لا داعي للظن، لأن الكتاب القدامى كانوا يستخدمون تارة كلمة صوري وتارة أخرى كلمة صيداوي للكتابة عن كل من كان فينيقياً. ولعل سبب ذلك أن صيدا كانت زعيمة المدن الفينيقية وأعرقها وتمثل مكانة في نفوس الفينيقيين جميعاً، إلى حد أنه عندما خلفتها صور في زعامة المدن الفينيقية كان ملكها يسمي نفسه ملك **الصيداويين**[1].

ومهما يكن من أمر فلا جدال في أن أكثر المستعمرين، الذين أنشأوا المدن الثلاث «تريبوليس» كانوا فينيقيين. وأما تاريخ تأسيسها فغير معروف على وجه التحديد حتى الآن، وأن كان من المرجح أنها أنشئت بعد مدة من انشاء قرطاجة وتحت زعامة هذه المدينة. وإن لبدة ربما كانت أقدم هذه المدن، وأنها أنشئت بعد سنة 514ق.م، لأنها لو كانت موجودة قبل هذا التاريخ لكانت قد أسهمت مع القرطاجيين والليبيين في القضاء على المستعمرة الإغريقية، التي أنشأها دوريوس قريبة من لبدة على مصب وادي كعام، أو على الأقل لكان قد ورد ذكر لبدة هذه في هذا الصدد. ولعلّ إنشاء هذه المستعمرة الإغريقية هو الذي أوحى إلى الفينيقيين بإنشاء لبدة هناك بعد طرد دوريوس بقليل. ومن المرجح أن تكون صبراتة وأويا قد أنشئتا في تاريخ لاحق لإنشاء لبدة، ويبدو أنه بعد طرد دوريوس من طرابلس اعتبرت قرطاجة في صلة مباشرة بمدينة قوريني[2].

ولعلّ السبب الرئيس في إنشاء هذه المستوطنات الثلاث كان لتزويد السفن الفينيقية بالمؤن والماء، كما أنها كانت تشكل موانىء شحن لمنتجات

---

(1) هاينز، نفس المرجع، ص 15 وما بعدها.

(2) نفس المرجع، ص 15.

أواسط أفريقيا من الذهب والعاج والأبنوس كما أن الإقليم نفسه كان غنياً بالنعام. وكان ريش النعام وبيضه من السلع الهامة في العالم القديم. وكذلك الأحجار الكريمة، التي من أهمها العقيق، وهو الذي أطلق عليه الإغريق الحجر القرطاجي[1]. وبالاضافة إلى ذلك كله، وكما ذكرنا، فمن المحتمل أن مراكز تجارية فينيقية أخرى قد أقيمت على ساحل خليج سرت وربما من أهمها مدينتا سلطان وسرت نفسهما.

الصراع الفينيقي ـ اليوناني

أ ـ في ليبيا:

لقد بدأ هذا الصراع عندما حاول دوريوس، ملك إسبارطة، إقامة ملك له في ليبيا، وبالذات في منطقة وادي كعام غير البعيدة من قرطاجة. فشعرت قرطاجة هذه بالخطر واستعانت بالقبائل الليبية، التي كانت تعرف طبيعة الاستعمار الاستيطاني لليونانيين وتمكنت هذه مع الفينيقيين من طرده بعد سنتين فقط من إقامته في تلك المنطقة، وكان ذلك حوالي 514ق.م.

وبعد هذه الفترة حاول القرطاجيون واليونانيون إقامة الحدود بينهما ـ كما ذكرنا ـ إذ تم ذلك بواسطة رياضيين لا سياسيين وقصة الأخوين فيلاني معروفة. ولم يحدث تهديد إغريقي لطرابلس من ناحية برقة إلاّ في العصر الهيلنستي. ونذكر هنا أن بطلميوس الأول عيّن أوفيلاس حاكماً على برقة. وفي ذلك الوقت كان أجاثوكليس حاكم سيراكوزا قد نزل بقوات في تونس ودعا أوف يلاس ليشترك معه في الهجوم على قرطاجة.

وسار أوقيلاس بجيش في عام 312ق.م وكأنه مستعمرة متحركة لكثرة

(1) مجلد محمد الصديق بو حامد، مظاهر الحضارة الفينيقية في طرابلس، ص 117 ـ 138.

ما كان يصحب الجيش من نساء وأطفال وقد قاسوا جميعاً الأهوال والشدائد في سيرهم حول خليج سرت بمنتصف الصيف. ولم يعد من حملة أوفيلاس إلاّ القليل، وأما هو نفسه فقد قتله آجاثوكليس بعد وصوله إلى تونس بوقت قصير. ثم تمكن القرطاجيون في النهاية من القضاء على القوات المشتركة من سيراكوزا وقوريني. وبذلك انتهى آخر خطر على قوة قرطاجة في شمال أفريقيا، وارتبط مصير المحطات التجارية الفينيقية كلها بمصيرها حتى سيادة الرومان عليها.

ب ـ في صقلية:

لقد حاولت كل من القوتين القرطاجية واليونانية التوسع في جزيرة صقلية على حساب الأخرى. واقتصرت قرطاجة على القسم الغربي منها بما فيه مدينة بانورم (بالرمو) وسولنتي شرقي بالرمو. وكان اليونانيون قد استولوا على سيراكوزا وأجريجنتوم وبعض المناطق الأخرى. وفي عام 480ق.م إحتدم الصراع بين الجانبين فصممت قرطاجة على غزو كامل الجزيرة، فكان لا مفر من الاصطدام بقوة اليونانيين في معركة «هيميرا» التي انتصرت فيها القوات اليونانية. ويشير بعض المؤرخين أن هذه المعركة وقعت في نفس اليوم الذي نشبت فيه معركة سلاميس المشهورة بين اليونانيين والفرس، فافترض بعضهم أن القرطاجيين والفرس كانوا في اتفاق بهذا الموضوع. ولكن ليس لدينا ـ حتى الآن ـ أي دليل على ذلك، ولعله محض صدفة[1].

---

(1) محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، ص 71 وما بعدها.

عن الحرب البونية أنظر:

1 ـ إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، منشورات الجامعة الليبية، 1971.

2 ـ جورج مصروعة، هانيبال، 1963.

3 ـ هارولد لام، هانيبال، 1962.

4 ـ محمد أسد الله، هانيبال، 1987.

وأدركت قرطاجة، أنه لا بد لها بعد هذه المعركة أن تستعد جيداً للصدام ثانية مع اليونانيين في هذه الجزيرة. وفي عام 409 قبل الميلاد أعادت قرطاجة الكرّة، فاستولت على سيلينوت وهيميرا، وفي عام 406 قبل الميلاد إستولت على أجريجنتوم وعلى مسينا وكادت أن تستولي على سيراكوزا، لولا الطاعون الذي حل بجيوشها فأدى إلى توقف الزحف بل إلى فقدان بعض المناطق أيضاً.

وفي سنة 332ق.م سقطت صور في يد الإسكندر المقدوني. وأما في صقلية فبدأت الأساطيل القرطاجية بالهجوم وحاصرت سيراكوزا، في عهد طاغية سيراكوزا المدعو آجاثوكليس. وعندما شعر آجاثوكليس بهزيمته في صقلية حاول نقل المعركة إلى أرض قرطاجة فتحالف في عام 312ق.م مع أوفيلاس المقدوني حاكم إقليم قورينائية ووعده بأن يكون على رأس إمبراطورية إغريقية إذا ما انتصر على قرطاجة، وتمكن من الاستيلاء على أوفيلة وهيبود يارستوس (بنزرت). ولكنه اضطر إلى إبرام معاهدة مع قرطاجة والعودة إلى بلاده دون أن يحقق أطماعه في إرهاب قرطاجة. ولكنه فتح الطريق لأعداء قرطاجة الآخرين للهجوم عليها في أرضها ومات هذا الطاغية في عام 289ق.م.

ثانياً ـ المدن الليبية تحت حكم قرطاجة

يبدو أن تقدم هذه المدن كان بطيئاً بادىء الأمر، إذ ليست هناك إشارات إلى هذه المدن قبل الحكم الروماني. ولعل عدم ازدهارها في هذه الفترة يعود إلى سياسة قرطاجة التي تتضح من معاهدة بينها وبين روما بحرمان أو منع أي شحن للسفن من أي موانىء في شمال أفريقيا عدا **موانئها هي**. ولعلّ هذا السبب دفاعي، ولكنه أدى إلى احتكار صادرات شمال أفريقيا إلى قرطاجة. وأما الواردات فتكون على حساب مستعمراتها.

وبالإضافة إلى ذلك فرضت قرطاجة على هذه المدن الضرائب الباهظة ومعها ضرائب عينية أيضاً. وكان على هذه المدن أن تزود قرطاجة في أوقات الحروب بالمجندين وبالمؤن، وكان محرماً عليها أن يكون لها جيشها أو أسطولها الخاص بها. ولكن من ناحية أخرى كانت المدن تتمتع بمظاهر الحرية، إذ كان لها قوانينها ورؤساؤها وموظفوها الكبار كذلك.

وكان اقتصاد المدن يعتمد على تجارة القوافل الصحراوية وعلى الزراعة كذلك، وقد كان الفينيقيون مزارعين مهرة. وقد اتبعوا في أفريقيا نظام المزارع الكبيرة، التي تهتم بزراعة محصول واحد يناسبها أكثر من غيره. ولعل الفينيقيين أدخلوا إلى جانب زراعة الزيتون أيضاً التين والرمّان واللوز والكروم، كما أدخلوا أساليب زراعية اشتهروا بها، كما يرجح أنهم قاموا ببعض المشروعات الخاصة بضخ المياه وضغطها، وهو الأمر الذي اتبعه الرومان في ما بعد وأدخلوا عليه التحسينات.

العلاقات الفينيقية الرومانية والحروب البونية

عندما استولت قرطاجة على مسينا وجدت نفسها وجهاً لوجه أمام روما. وكانت العلاقات بين المدينتين حتى ذلك الوقت، أقرب إلى الود منها إلى أي

شيء آخر. لقد نظمت معاهدات كثيرة منذ قرون حقوق كل منهما على الأخرى، ويعتقد بوليبيوس أن أقدم معاهدة ترجع إلى السنة الأولى من قيام الجمهورية الرومانية في عام 509ق.م وترجع المعاهدة الثانية إلى عام 348ق.م، والثالثة إلى عام 306ق.م والاتفاقية الأخيرة في عام 278ق.م. ولكن بعد أن احتلت قرطاجة مسينا، والتي كانت تطمع باحتلال مضيقها (مضيق مسينا)، وجدت روما، التي لم تكن أطماعها تقل عن أطماع قرطاجة في احتلال المضيق، وجدت الفرصة مؤاتية، عندما استنجد بها بعض سكان مسينا، فاجتاز أبيوس لكوديوس المضيق وأقام حاميته في مسينا نفسها في عام 264ق.م.

ولم تعلن روما الحرب، التي صار لا مفر منها بسبب سلوكها وبدعوى أن قرطاجة تعد العدة للهجوم على إيطاليا، بل بادرت لأول مرة بشن حروب وقائية هي مظهر من مظاهر استعمارها الاقتصادي ـ العسكري. ولم تكن قرطاجة في الواقع ميالة للدخول في صراع مع روما، ولذلك لم تبدِ ردة فعل شديدة، وكانت واثقة من سيطرتها على البلاد، كما كانت روما مطمئنة إلى تفوق جيوشها البرية. وبما أن الحرب لم تحسم في البحر، قامت الحرب بين الطرفين في البر والبحر معاً في كل من جزر صقلية وكورسيكا وسردينيا، وحاولت روما حتى نقل هذه الحرب إلى أفريقيا وكأنها مدفوعة بذكرى آجاثوكلس، فأنزلت قوات كبيرة بقيادة ريغولوس على الساحل الأفريقي، ولكنها هزمت هزيمة منكرة واضطر ما تبقى منها إلى الهرب إلى السفن.

وفي الحرب البونية الثانية 218 ـ 202ق.م إجتاح هنيبعل بعبقرية عسكرية وسياسية تكتيكية واستراتيجية فذة البر الإيطالي من الشمال بعد أن عبر جبال الألب بقواته الكبيرة، منها خمسون ألفاً من المشاة وتسعة آلاف من الفرسان وسبعة وثلاثون فيلاً. وسجل هنيبعل بفضل عبقريته انتصارات عسكرية تدعو إلى الإعجاب والفخر وقضى على ثلاثة أرباع الجيش الروماني في معركة كاني المشهورة في عام 216ق.م.

ويتساءل المؤرخون عن أسباب عدم استغلال هنيبعل لانتصاره وحصاره لروما. ورأينا هنا هو أنه كان يأمل في التفاوض مع مجلس الشيوخ الروماني إلى أن تصله الإمدادات التي كان بأمس الحاجة إليها من قرطاجة. ولكن شيئاً من هذا لم يحدث. وأخيراً انهارت قواته شيئاً فشيئاً ابتداءً من عام 213ق.م مما دفعه أن يعسكر في منطقة محصنة منتظراً العون من بلاده دون جدوى.

ونقل الرومان مرة أخرى ساحات القتال إلى أفريقيا حيث نزل **شيبيون** بقواته على الساحل الأفريقي في عام 204ق.م وتحالف مع الزعيم الليبي ماسينيسا وحقق انتصارات كبيرة على قرطاجة، التي طلبت من هنيبعل العودة إلى أرض الوطن. وعاد مسرعاً دون أن تعترض طريقه أية عقبة. ولكن قواته كانت قليلة العدد والعدة منهوكة القوى، فأخذ يجند السكان المحليين، الذين كانت تنقصهم الخبرة العسكرية، في الوقت الذي وصلت إلى **شيبيون** إمدادات كبيرة من ماسينيسا لتعزيز صفوف قواته، وقامت معركة زاما الفاصلة في عام 202ق.م، **التي انتصر فيها شيبيون على هنيبعل، واعترف شيبيون نفسه أن هاني بعل بذل في معركة زاما كل ما كان يمكن أن يبذله إنسان للانتصار.**

وأما هنيبعل نفسه فأراد إعادة بناء قواته من جديد. ولكن الأرستوقراطيين الذين كانوا يضعون مصالحهم فوق مصالح قرطاجة نفسها وقفوا ضده ونددوا به، ولم يكتفوا بذلك بل أرادوا تسليمه إلى روما.

ولكنه تمكن من الفرار سراً في الوقت المناسب والوصول إلى سوريا حيث حاول أن يستنفر الملك السلوقي أنطيوخوس لشن حرب عامة على روما. ولكن عندما نقلت روما الحرب إلى الشرق وهزمت أنطيوخوس، طالبت في بنود الهدنة في عام 189ق.م تسليمها هنيبعل. ولكنه أفلت مرة أخرى من قبضة المنتصر، واتجه إلى كريت ومنها إلى أرمينيا وأخيراً فضل تجرع السم على أن يسلم نفسه إلى روما، وكان ذلك في عام 184ق.م.

ثالثاً ـ المدن الثلاث ومملكة نوميديا

لقد شهد عام 264ق.م بداية الصراع بين روما وقرطاجة وهو الصراع الذي يعرف ـ كما ذكرنا آنفاً ـ بالحروب البونية، وانتهى بعد أكثر من قرن بالقضاء على قرطاجة وتثبيت قدم روما في أفريقيا. وبعد انتصار روما على قرطاجة في الحرب البونية الأولى 264/ 241ق.م، إستطاعت قرطاجة أن تعيد بناء قواتها وأن تغزو إيطاليا وتلحق بروما هزائم منكرة وضيقت الخناق عليها حتى صار مصيرها في مهب الرياح ـ كما ذكرنا آنفاً ـ ولكن روما استطاعت هي بدورها أن تصمد، ولم يلبث قائدها إسكيبيو شيبيون أن أنزل قواته على البر الأفريقي وتمكن بمساعدة الزعيم الليبي ماسينيسا Masinissa أن يحرز نصراً حاسماً عام 202ق.م في موقعة زاما الآنفة الذكر. ولما كانت روما مصممة على الوقوف في وجه استعادة قرطاجة قوتها ثانية، فقد فرضت عليها شروط صلح قاسية، واعترفت في الوقت نفسه رسمياً بـ«ماسينيسا» ملكاً على نوميديا (تقابل تقريباً في الوقت الحاضر الجزائر)، وشجعت أطماعه التوسعية على حساب قرطاجة. حقاً لقد سمحت روما لقرطاجة بالاحتفاظ بممتلكاتها الفينيقية، بما في ذلك طرابلس، ولكنها أمرت قرطاجة أن تعيد إلى ماسينيسا كل الممتلكات التي كانت في حوزته وحوزة أجداده. وهذا الشرط المبهم غير المحدود صيغ عمداً هذا على النحو لكي يؤدي إلى اشتباك قرطاجة اشتباكاً مسلحاً مع ماسينيسا، وبذلك تخرق شروط الصلح، التي تحظر على قرطاجة الدخول في أي حرب كانت دون موافقة روما[1]. ولم تأت ستينات القرن الثاني قبل الميلاد (160ق.م)، حتى كان ماسينيسا يتأهب للاستيلاء على المدن الثلاث في طرابلس، حيث طلب من قرطاجة السماح له بدخول طرابلس بحجة مطاردة أحد الثوار، الذي كان قد فر أصلاً إلى قورينائية.

(1) هاينز، نفس المرجع، ص 19.

وعندما رفض طلبه لم يتردد في دخول طرابلس عنوة واحتل سهل الجفارة. ولكن قرطاجة شكته إلى روما، فأرسل مجلس السيناتو الروماني لجنة تحقيق في هذه الأحداث. ولم تتردد روما في تأييد حليفها من جديد، فأمرت قرطاجة بتسليم المدن الثلاث إلى ماسينيسا ودفع غرامة له. وبذلك أصبحت المدن الثلاث جزءاً من مملكة نوميديا[1].

وفي عام 150ق.م. طفح الكيل عندما تحدى ماسينيسا قرطاجة بقصد إرغامها على الاشتباك المسلح مع قواته في حرب يائسة بجيش غير معد إعداداً جيداً، مما أتاح لـ«ماسينيسا» أن يهزمها. وخشيت روما من السياسة التي كانت تنتهجها حتى ذلك الوقت في شمال أفريقيا، إذ قد تقود إلى أن تجعل ماسينيسا منافساً لها لا يقل خطورة عن قرطاجة. لذلك بادرت إلى التدخل فوراً لتحول دون أن يجني ماسينيسا ثمار انتصاره. واعتبرت لجوء قرطاجة إلى الحرب خرقاً لشروط الصلح. وخاضت معها الحرب البونية الثالثة، التي انتهت في عام 146ق.م بهزيمة قرطاجة وتسوية مبانيها بالأرض وتحويل ما كان تبقى لها في تونس إلى ولاية رومانية عرفت باسم «ولاية أفريقيا». وحفر خندق لتثبيت الحدود بين هذه الولاية الجديدة وبين مملكة نوميديا. وفي عام 149ق.م العام الأول لهذه الحرب البونية توفي ماسينيسا وخلفه على عرش نوميديا ابنه «ميكيبا» الذي أقلع عن السير في طريق أطماع أبيه التوسعية ولكنه تابع سياسته في تشجيع الزراعة على أساس الحياة المستقرة بدلاً من حياة التنقل[2].

وفي عهد الملك الجديد تمتعت المدن الثلاث الطرابلسية بقدر كبير من الحرية، حتى أنها كانت تدفع الجزية نفسها التي كانت تدفعها من قبل

---

(1) نفس المرجع الأخير، ص 20.

(2) نفس المرجع، ص 20.

لقرطاجة. ولكنه سمح لها أن تحكم نفسها وفقاً للقوانين والعادات الفينيقية، وأن تخرج من العزلة التي كانت قرطاجة تفرضها عليها. وبذلك أتيح لها إنشاء علاقات مع روما وباقي عالم البحر المتوسط. وبذلك أخذت هذه المدن بالانتعاش والازدهار. وخير دليل على ذلك الاكتشافات الأثرية، التي أكدت أن هذه المدن قد اتسعت اتساعاً ملموساً يرجع إلى هذه الفترة. وعندما مات ميكيبا في عام 118ق.م خلفه ابناه «أذربعل» و «هيمبال» (عبال) وابن أخيه بوجرتا[1].

وكان الأخير رجلاً طموحاً لا ضمير له فقتل هيمبال وطرد أذربعل وسلك مسلكاً أفضى آخر الأمر إلى أن تعلن روما الحرب عليه. ومضت الحرب الطنية إلى أن تمكن الزعيم الروماني «ماريوس» من إنهائها عقب القبض على بوجرتا وإرساله إلى روما حيث لقي حتفه في عام 104ق.م.، وعندئذ أقام الرومان مكانه أخاً غير الشقيق حاود (عوده). وخلال هذا الصراع عملت المدن الطرابلسية على أن تكسب ود القوى فوقعت لبدة مع روما معاهدة صداقة وتحالف. ويحتمل أن تكون روما قد عقدت معاهدة مماثلة مع كل من أويا وصبراتة.

وفي عام 106ق.م طلبت لبدة إلى الرومان أن يرسلوا إليها حامية لتحميها من مؤامرة كان يدبرها بعض أعوان يوجرتا. فاستجاب ماريوس لهذا الطلب، فكان هذا أول عهد إقليم طرابلس باستقرار قوات رومانية فيه. وانسحبت هذه القوات من لبدة عقب الحرب، ولكن معاهدة الصداقة والتحالف بقيت سارية المفعول[2]. واعتباراً من هذا الوقت ارتبط مصير المدن الثلاث بما يجري في العالم الروماني، ودخلت بذلك عصراً جديداً هو العصر الروماني.

---

(1) نفس المرجع الأخير.

(2) نفس المرجع الأخير، ص 21.

الفصل الرابع

العلاقات الليبية اليونانية قبل تأسيس مدينة قوريني عام 631ق.م

الفصل الرابع

العلاقات الليبية اليونانية
قبل تأسيس قوريني عام 631ق.م

إن أقدم نص إغريقي يحدثنا عن ليبيا قبل قيام الثيريين بتأسيس مدينة قوريني هو أوديسة هوميروس، ذلك أن إسم ليبيا ذكر فيها في مناسبتين إحداهما[1] حين يسرد منلاوس البلاد التي زارها خلال مغامراته الخيالية فيقول إنه بعد زيارته بلاد الأثيوبيين والصيداويين والعرب، زار ليبيا حيث تولد صغار الضأن بقرون طويلة وتلد النعاج ثلاث مرات في العام الواحد وحيث الجميع سادة كانوا أم رعاة لا يعوزهم إطلاقاً الجبن أو اللحم أو اللبن الجيد. وثانيتهما[2] حين يروي أوديسيوس مغامراته فيقول إنه وقع أثناء سطوه على الشواطىء المصرية في الأسر لكنه هرب مع فينيقي أخذه أولاً إلى فينيقيا حيث عرض عليه الفينيقي أن يقوما سوياً برحلة إلى ليبيا، لكن سفينتهما

---

(1) Ody. IV, 85 ff.

أنظر أيضاً:

- نصحي، إبراهيم، إنشاء قوريني وشقيقاتها، منشورات الجامعة الليبية، بيروت، مطابع دار الكتب، 1970، ص 24 وما بعدها.

(2) Ody., XIV, 225 ff.

تحطمت بالقرب من كريت.

وإذا أغفلنا ما في هذا النص من مبالغات غير معقولة ولا مقبولة عن طبيعة أغنام ليبيا فلا جدال في أنه يبين أن إغريق عصر هوميروس كانوا يعرفون شهرة ليبيا القديمة بمراعيها وأغنامها، ومن الواضح أن ما جاء في الأوديسة عن ليبيا يدل دلالة واضحة على أن هؤلاء الإغريق كانوا على دراية ومعرفة بليبيا.

كما أننا نجد صدى لرحلة منلاوس الخيالية في إسم إغريقي لميناء على الساحل الليبي وهو ميناء منلاوس (البردية) ذكره هيرودوتس[1] والكتاب المنحول عن الجغرافي سكولاكس[2] وكذلك في إسم منحدر جبلي على الساحل غربي سيدي براني دعاه الإغريق «صخور تينداروس»[3]. ومما يجدر بالملاحظة أن تينداروس كان صهر منلاوس ونستطيع تفسير ذلك بأن الإغريق «تجاراً أو صائدين أو قراصنة» عرفوا بعض الأماكن على شواطىء ليبيا وكانوا يحتمون بها عندما تصادف سفنهم أنواء شديدة أثناء رحلاتهم أو كانت بمثابة مراكز تجارية، وأطلقوا على هذه الأماكن الليبية من الأسماء ما أوحت بها إليهم أسطورة منلاوس. وهذا في حد ذاته دليل يشير إلى معرفة الإغريق بليبيا قبل إنشاء قوريني.

وإذا كانت الدراسات الحديثة قد حددت الوقت الذي صاغ فيه الشاعر هوميروس ملحمتيه الإليادة والأوديسة بحوالي منتصف القرن التاسع ق.م[4]، وأن الشاعر قد وضع ملحمتيه من التراث الشعبي الذي توارثته الأجيال

---

(1) Herodotus IV, 169.

(2) Ps-Scylax, Peripls, 107.

(3) Op. cit., 107.

(4) Abdelwahab, L. Homiros, Cairo, 1968, pp. 35 - 40.

ومنلاوس وأوديسيوس من الملوك الذين اشتركوا في حرب طروادة التي أثبتت الدراسات الأثرية أن أحداثها جرت في بداية القرن الثاني عشر ق.م[1]، بل إن المصادر المصرية قد أكدت شهرة ليبيا بتربية الأغنام قبل أشعار هوميروس بزمن طويل كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، إذاً فمن الواضح أن قصص ليبيا كانت ضمن التراث القديم الذي تحدث عنه الشاعر، وأن معرفة الإغريق بليبيا ترجع لفترة أقدم من الوقت الذي عاش فيه هوميروس. وبذلك كانت قصص منلاوس وأوديسيوس تساعد بوضوح على الإعتقاد بأن الطريق التي سلكتها الهجرات الإغريقية من جزيرة ثيرا عن طريق كريت إلى ليبيا[2] كانت طريقاً تقليدية معروفة منذ أقدم العصور عندما نشأت الصلات الأولى بين القبائل الليبية وسكان جزيرة كريت، خاصة وأن هيرودوتس يحدد ميناء منلاوس إلى الشرق من جزيرة بلاتيا[3] وهي كما نعرف المحطة الأولى التي وصل إليها الإغريق على الساحل الليبي عندما شرعوا بعد ذلك في إنشاء مستعمرتهم الأولى قوريني سنة 631ق.م. وفي هذا الصدد يقول Boardman: كانت الطريق إلى شمال أفريقا أكثر سهولة حيث اتصل به التجار في وقت مبكر قبل تأسيس قوريني[4].

ومن المعروف أن جزيرة كريت تقع في اتجاه محاذ للساحل الليبي الشرقي على مسافة تمتد من الشرق إلى الغرب يبلغ طولها 135 ميلاً. وتتميز سواحلها الجنوبية المطلة على البحر المتوسط بعدد من الموانىء التي لا تبعد كثيراً عن الساحل الليبي؛ إذ أن المسافة بين رأس Krio على شاطىء كريت ودرنة على الشاطىء الليبي هي حوالي 150 ميلاً، كما أن الزوارق الصغيرة

---

(1) Op. cit., p. 27.

(2) Op. cit., IV. 150-157.

(3) Op. cit., IV. 157.

(4) Boardman, J., The Greeks Overseas, 2nd. ed., England, 1973, p. 151.

كانت تبحر إلى وقت قريب من ميناء Komo لصيد الإسفنج على الساحل الليبي حيث يوجد عدد من الموانىء الصغيرة مثل ميناء درنة وخليج بومبة وطبرق وبردية ورأس الهلال وغيرها، وكلها موانىء تقع مباشرة في مواجهة الساحل الجنوبي لجزيرة كريت. ويعتقد Bates أن الملاحة كانت سهلة وميسورة بين كريت وليبيا وذلك منذ عصر الدولة القديمة في مصر[1]، وأن أهم العوامل الطبيعية التي ساعدت على هذا الإتصال المبكر هو تقارب سواحل هذا البحر وكثرة الجزر التي تنتشر في أرجائه التي شكلت نقط ارتكاز ملاحية بين هذه السواحل وكذلك كثرة الإنحناءات والتعاريج التي أدت بدورها إلى وجود موانىء طبيعية وأماكن لحماية السفن، وقد أدى ذلك إلى تشجيع السكان على ركوب البحر منذ وقت مبكر وبالتالي إلى سلسلة من حلقات الاتصال والاحتكاك بين السكان على شواطىء هذا البحر.

ولا شك أن هذه العوامل الطبيعية قد ساعدت على الإلتقاء بين السكان في المنطقتين منذ وقت لم تعرف فيه إلاّ السفن الصغيرة ذات المجاذيف وخوف الإنسان من التعرض للعواصف في عرض البحر بعيداً عن الشواطىء القريبة.

ومنذ أن قدم Bates دراسته عن المقابر الأثرية التي اكتشفت في النوبة التي أطلق عليها إسم المجموعة ج (C. Group)، وجد فيها بعض المتخصصين أساساً انطلقت منه المقابر الدائرية التي اكتشفت في سهل ميسارا في جزيرة كريت.

وكان A. Evans[2] أول من شد انتباه المتخصصين إلى أهمية هذا الترابط بين مقابر ميسارا والمقابر التي انتشرت في شمال أفريقيا، وتبعه عدد آخر من

---

(1) Bates, O., Op. cit., pp. 18-19, n. 1, p. 19.

(2) Evans, Arthur, The Palace of Minos at Knossos, vol. II, New York, 1964, pp. 34-39, fig 17.

العلماء. وبدراسة طريقة الدفن في مقابر النوبة ثبت أنها لا تخص المصريين وإنما تخص شعوباً كانت تتجول في مصر من منطقة إلى أخرى، ومن دراسة تحليلية لجماجم الموتى وعادات الدفن، ثبت أن تلك المقابر كانت تخص جماعات ليبية عاشت في النوبة الوسطى وكانت تنتشر في بلاد النوبة وكل الشمال الإفريقي حتى الجزائر[1]. وينتمي إلى هذا النوع من المقابر مقبرة جزيرة المراكب في خليج بومبة وهي وإن كانت تنتمي إلى نهاية العصر الروماني إلاّ أنها حافظت أيضاً على التقليد الموروث للشكل الدائري بالرغم من وجود بعض الإختلافات عن المجموعة ج مثل عدم وجود قبور محفورة في وسطها، ولعل ذلك راجع إلى طبيعة الأرض الصخرية[2].

وهناك كذلك مقبرة عثر عليها في مسه بالقرب من البيضاء وهي من نوع القبور المنحوتة المغطاة بكومات من الأتربة[3] التي يطلق عليها الإصطلاح الليبي الرجم. ويشير Evans في هذا الصدد إلى أن هذه المقابر كانت الأساس الذي تأثرت به مقابر سهل ميسارا، وقد أيده في هذا الرأي كل من Xanthoudides[4] وPandlebury[5] وAlexiou[6]. إلاّ أن Branigan[7] يشير إلى أن المقابر الليبية لا يجوز أن يطلق عليها الإصطلاح الإغريقي Tholoi أي المقابر الدائرية التي شيدت على شكل حجرات دائرية مكتملة البناء مقببة السقوف والتي ترجع إلى الجزء الأخير من العصر البرونزي.

---

(1) Bates, op. cit., pp. 245-252.

(2) Op. cit., pp. 247-248, fig 93 a-c.

(3) S. Stucchi, S., la tomba a tumulo presso Messa in Cirenaica, Libya Antiqua, vol. 1, 1964, pp. 127-131.

(4) S. Xanthoudides, The vaulted tombs of Messara, 1924, p. 128.

(5) G.D.S., Pandlebury,The Archaeology of Crete, 1939, p. 74.

(6) S. Alexiou, Dinoan civilization, 1973, p. 17.

(7) K. Branigan, The tombs of Messara, 1970, pp. 142-143.

وللرد على Branigan أنه لم يُجزم بعد بصفة قاطعة ومؤكدة اكتمالها حتى يطلق عليها علمياً الإصطلاح Tholoi وهي في شمال أفريقيا لا يمكن وصفها بهذه الكلمة. كما أن Bates[1] لم يصفها كذلك ولكن الذي أضاف هذا الإصطلاح المعماري هو Evans[2] لأنه يرى فيها تقليداً للأكواخ الليبية الدائرية التي وصفها الرومان بالمابالیا Mapalia وكانت في شكل Tholoi[3] كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

ولكن الذي يهمنا هو أوجه الشبه بين هذه المقابر في المنطقتين شمال البحر المتوسط وجنوبه، التي تتركز في أنها جميعاً اتفقت في تخطيطها الدائري طوال عصورها التاريخية، ووجود الحجرات المستطيلة الصغيرة التي بنيت عند المداخل الشرقية أو الجنوبية الشرقية بصفة عامة بغية تقديم القرابين أو تأدية الطقوس الدينية، وكذلك في عادة الوضع الجنيني في الدفن Contracted Position[4].

وفي مقابر سهل ميسارا أمكن التعرف على طريقتين للدفن الأولى الوضع الجنيني في مقبرتي Hagia Triada[5] حيث عثر على جثتين بهذا الوضع ومقبرة Gypsades[6]. والطريقة الثانية في مقبرة Lebena[7] حيث وجدت الجثث في وضع ممدود على الظهر.

وبعد كل ذلك ألا يعني هذا تأثيرات متبادلة وصلات مباشرة على جانبي

---

(1) Bates, pp. 245-47.

(2) Evans, op., cit., pp. 37-39.

(3) Op. cit., p. 39 n. 2.

(4) Bates, op. cit., p. 246.

(5) Xanthoudides, p. XII no. 2.

(6) Branigan, op. cit., p. 86.

(7) Op. cit, pp. 86-88.

البحر المتوسط بين كريت وليبيا؟ بل ربما كانت في الواقع هجرات انتقلت من إحدى المنطقتين إلى الأخرى، حتى أن Higgins[1] أشار بوجود هجرات ليبية إلى جنوب جزيرة كريت أدت إلى الإزدهار السكاني المفاجيء الذي تعكسه مقابر ميسارا. وإلى أن تتضح الرؤية وتكتمل الدراسات الأثرية حول هذا الموضوع لا يحق لنا أن نقول أكثر من وجود اتصال مبكر بين كريت وليبيا وهذا ما يهمنا في هذه الدراسة.

ويذهب بعض الباحثين أبعد من ذلك فيعتقدون أن بعض الإغريق وفدوا على ليبيا قبل قدوم الثيرانيين وتأسيسهم مدينة قوريني؛ فيرى جركي Gercke[2] أن هؤلاء الإغريق قد جاؤوا من تساليا ويرى Malten[3] أنهم جاءوا من البلوبونيز والإثنان يريان أنهم جاءوا هاربين من غزو الدوريين وأقاموا في ليبيا وتزاوجوا من الأهالي الوطنيين فتكونت جالية مختلطة تتحدث الإغريقية، وإنه عندما جاء الثيرانيون في ما بعد إستوعبوا الجالية المختلطة مما ترتب عليه أن دخلت لهجتهم الخاصة بعض الظواهر الغريبة وأنه أدمج في عداد آلهتهم وأبطالهم آلهة القادمين الأوائل وأبطالهم. وهذا الرأي يستند على أدلة بعضها لغوي وبعضها أسطوري؛ فقد لفت نظر Gercke أن اللهجة القورينية تتضمن صيغاً شاذة مألوفة في اللهجة الأيولية فسر وجودها في اللهجة القورينية بأنها بقايا اللهجة الأيولية التي كان يستخدمها القادمون الأوائل[*]. إلاّ أن شامو

---

(1) R. Higgins, Minoan and Mycenaean Art, 1967, p. 17.

(2) Gercke, Die Myrmidonen in Kyrene, Hermes, 41, 1906, pp. 447 ff.

(3) Malten, Kyrene, Phild, Phild. Unters., XX (1911) pp. 146 ff.

(*) وربما أن هذه العناصر الأيولية لم تصل ليبيا مباشرة من تساليا كما يشير إلى ذلك جركي ولكن من لاكونيا وهذا يتفق مع النتيجة التي توصل إليها Kiechle وآخرون وقد أقاموا هناك قبل نزول الدوريين Kiechle, F., Lakonion und Sparts, Munchen, 1963 6.3. K.T. Marriage.

Chamoux[1] لا يأخذ بهذا الرأي ويستند في ذلك على أنه لا توجد مخلفات أثرية تؤيد هذا الزعم وأن هذه الصيغ الشاذة في اللهجة القورينية يمكن تفسيرها على ضوء ما يحدثنا به هيرودوتس[2] من أنه استجابة لدعوة باتوس الثاني وتأييد وحي دلفي لهذه الدعوة، وقد وفد على قوريني من البلوبونيز وكريت ومختلف الجزر الإغريقية مهاجرون كثيرون، ولما كان هؤلاء يضمون عناصر غير دورية فإن ذلك وحده كفيل بأن يفسر وجود تلك الصيغ الشاذة في اللهجة القورينية.

وعلى الرغم من أن هذه الأدلة التي ساقها Chamoux قد تبدو معقولة ومقبولة، إلاّ أننا ما زلنا في حاجة إلى متخصص في فقه اللغة حتى يحدد لنا مدى قوة هذا التأثير اللغوي من ناحية، وكيف ومتى حدث من ناحية أخرى؟ هذا فضلاً عن أن شامو Chamoux نفسه وإن كان ينفي وجود مستعمرة إغريقية في ليبيا قبل قوريني إلاّ أنه لا ينفي وجود اتصال مبكر بين الإغريق والليبيين وهذا ما نسعى إلى إثباته في هذه الدراسة. ويوجد أيضاً احتمال عنصر أيولي في ليبيا لم يأت رأساً من تساليا كما يشير جيركي ولكنه أتى من لاكونيا، يتفق مع النتيجة التي توصل إليها Keichle وآخرون حيث استقر الأيوليون قبل نزول الدوريين[3].

وأما الأدلة الأسطورية فإنها مستمدة من أسطورة الحورية التسالية وملخصها أن أبوللو قد هام حباً بالحورية قوريني Kupnvn إبنة هوبسيوس ملك اللابيثاي عندما رآها تصارع أسداً بيديها عند جبل بليون في تساليا، فحملها في عربته الذهبية إلى ليبيا حيث تزوجها، وأن الشاعر القوريني Callimachus في نشيده إلى أبوللو نقل مسرح الصراع بين الحورية والأسد من

---

(1) Chamoux, pp. 76-77.

(2) Herodotus, IV. 159, 161.

(3) F. Kiechle, Lakonienund Sparta Munchen 19636.3. K.n.

تساليا إلى ليبيا[1]. ويحدثنا Mair[2] أن Akestor يروي في كتابه عن قوريني أنه عندما كان يوروبولوس متربعاً على عرش ليبيا، أحضر أبوللو الحورية قوريني إليها حيث كان أسد يعيث فساداً في أنحاء البلاد مما حدا بالملك إلى أن يعد بإعطاء مملكته لمن يقتل هذا الأسد، وعندما قتلت الحورية الأسد أصبحت ملكة ليبيا وأنجبت ولدين، وأنه وفقاً لما كتبه فولارخوس وفدت الحورية على ليبيا ومعها عدد كبير من الرفاق، وعندما خرجوا للصيد قتلت الحورية الأسد وأصبحت ملكة ليبيا. وأنه وفقاً لما يقوله مناسياس فإن الحورية وفدت على ليبيا تلقائياً ولم يحضرها أبوللو.

ويحدثنا المؤرخ الروماني بوستينوس[3] بأنه عندما وصل Battos ورفاقه إلى موقع مدينة قوريني سمع أسطورة الحورية من الأهالي الوطنيين.

ويحدثنا إيسيدورس أسقف إشبيلية[4] بأن الحورية كانت ملكة ليبيا. وعلى الرغم من أننا لا نستطيع الإعتماد على الأساطير اعتماداً كبيراً في كتابة التاريخ، فإننا لا ننفي أن لهذه الأساطير سنداً من الواقع؛ فهي لم تخلق من فراغ فلا بد من دراسة مستفيضة للأساطير التي تتعلق بليبيا وما أكثرها، لعلنا بعد ذلك نستطيع أن نستنتج منها ما يخدم الغموض الذي يحيط بتاريخ هذا البلد في بعض فتراته التاريخية، ولعل أشهر هذه الأساطير هي أسطورة

---

(1) Callimachus, Hymns and Epigrams, Hymn II, 90-92.

(2) Muller, F.H.G. 111. p. 337; Jacoby, Fr. gr. Historiker 11 A,P. 166, no.16.

أنظر أيضاً:

- نصحي، نفسه، ص 24 وما بعدها.

(3) Justin. XIII. 7.

(4) Isid. Hisp., Etymologiae or Origines, XV, 1. 77.

أنظر أيضاً:

- نصحي، نفسه ص 24.

برسيوس وهرقل وبوسيدون ومنلاوس وأودسيوس وأسطورة يوفموس Euphemus الجد الأعلى الأسطوري لأسرة باتوس، خاصة وأنه مما يؤيد فكرة Malten القائلة بوجود إغريق في ليبيا قبل إنشاء قوريني[1] أنه كانت توجد في قوريني شخصيات كثيرة أسطورية من الآلهة والأبطال ترجع إلى عهد قديم جداً مثل يوروبولوس وزيوس لوكايوس وغيرها.

ولا بد أن نشير في هذا المجال إلى زيوس آمون وعبادته في واحة سيوه إذ لا يوجد حتى الآن أي دليل أثري يثبت متى بدأت عبادة آمون سيوه(**) وإن كان هناك رأي يقول إنها ربما حصلت أثناء فترة الحكام الليبيين لمصر 945 ـ 715ق.م[2] ومن المعروف أن هؤلاء الحكام أبدوا اهتماماً في بعض الواحات مثل شيشنق الأول 945 ـ 924ق.م مؤسس الأسرة الثانية والعشرين الذي أرسل أحد موظفيه كي يعيد تنظيم الأراضي في واحة الداخلة عام 941ق.م[3] وأوسركون الأول 924 ـ 889ق.م وشيشنق الرابع 783 ـ 777ق.م وأوسركون الثالث 777 ـ 749ق.م. جميع هؤلاء أعطوا اهتمامهم للواحات[4] ولكن لم يذكر أنهم قاموا بأية أعمال عمرانية لآمون في هذه المنطقة ويشير رأي آخر أن هذه الديانة وصلت أصلاً من بحر إيجه[5].

وفي عهد بسماتيك الأول Psammetiches 1 664 ـ 610ق.م. بنيت

---

(1) Malten, p. 116.

(**) تقول الدكتورة كارذر أنها توصلت إلى نتيجة وهي أن هذه الديانة وصلت أصلاً من بحر إيجه. وربما مع شعوب البحر ثم اندمجت مع الديانة المحلية.

(2) A. Fakhry, Siwa Oasis, Cairo, 1944, pp. 25-26.

(3) A. Gardiner, JEA, 19 (1933) pp. 19-30; Fakhry, op. cit., p. 25.

(4) K.A., Kitchen, The third International period in Egypt (1100-650 B.C) 1972. p. 290.

(5) Fakhry, op. cit., p. 26.

تحصينات دفاعية في منطقة ممفيس ضد أتباع آمون من الليبيين في الواحات[1] لأنهم أصبحوا يشكلون قوة كبيرة ولهم صلة مع المناطق الجنوبية لوادي النيل وتوسعوا في الصحراء الغربية[2] وتحكموا في طرق القوافل التجارية ولعبوا دوراً كبيراً في تحويل التجارة من الجنوب إلى الشمال عبر الواحات الغربية حيث ازدهرت واحة سيوه في هذه الفترة[3]. وإن أقدم المباني التي اكتشفت في سيوه ترجع إلى الأسرة السادسة والعشرين وقد استطاع Fakhry[4] في بعثته الأثرية 1938 أن يقرأ أن إسم الملك Amasis 570 ـ 526ق.م في المعبد الذي يعرف بمعبد عراف آمون. وكان Amasis أبعد نظراً من سلفه Apris 589 ـ 570ق.م لإدراكه مدى أهمية واحة سيوه كمركز تجاري رئيسي بسبب موقعها الجغرافي وسكانها عبدة آمون. وخلال هذه الفترة اتسعت شهرة آمون في البحر المتوسط وعندما أراد Croesos ملك Lydia حوالي 550ق.م معرفة أحسن العرافين في العالم، اعتبر عراف آمون من بين أحسن العرافين السبعة المشهورين في ذلك الوقت[5].

وفي عهد قمبيز 525 ـ 522ق.م الذي وقف منذ البداية بجانب إغريق

---

(1) Kitchen, op. cit., p. 405.

(2) Bates, op. cit., pp. 101-102.

(3) يقول Milne في مقاله Trade Betw een Greece and Egypt before Alexander the Great, JEA, 25 (1939) p. 177 ff. إن الغزو الآشوري لمصر عام 663ق.م قد عطل النشاط التجاري بين مصر وجنوب القارة الذي تحول نحو الغرب عن طريق الواحات إلى الساحل الليبي وكان ذا أثر فعال على استقرار وتنمية الوجود الأغريقي في ليبيا وتأسيس قورينى عام 631ق.م ويأخذ Fakhry في كتابه Siwa Oasis, p. 2 بهذه النظرية التي يعارضها Chamoux. أنظر: F., Chamoux, op. cit, pp. 60 ff.

(4) Fakhry, op. cit., p. 28; H.W., Parke, The Oracle of Zeus Dodona Olympia Ammon, 1967, p. 197.

(5) Herodotus 1. 46; Fakhry, op. cit., pp. 27, n. 4.

قوريني الذين كانوا على علاقة غير طيبة مع الليبيين، حيث أرسل حملة ضد اتباع آمون من الليبيين وحرق معبدهم في سيوه ولكن الحملة باءت بالفشل[1]. وبعد تحسن العلاقات الليبية اليونانية في عهد باتوس الرابع نتيجة لتحكم القبائل الليبية في طرق التجارة الصحراوية وكذلك سيطرتهم على نبات السلفيوم الذي أصبح احتكاراً ملكياً يشترونه من الليبيين ويبيعونه في أسواق البحر المتوسط[2]. إنتشرت عبادة الإله آمون في قوريني وبدأت صورة الإله تظهر على العملة القورينية وعلى الوجه الآخر من العملة كان نبات السلفيوم[3].

وقد قرن الإغريق هذا الإله بمعبودهم زيوس لوكايوس Zeus Lykaios الذي بنى له معبداً شمال شرق مدينة قوريني على طراز معبد زيوس في أولمبيا في الفترة من 540 ـ 450ق.م[4]

وهكذا انتشرت شهرة آمون سيوه في كل العالم اليوناني فقد اتصل به

---

(1) يقال إن عراف آمون قد تنبأ بأن حكم قمبيز لمصر لن يدوم لمدة طويلة ولهذا السبب أراد قمبيز أن يعاقب الكهنة وفي الوقت نفسه يثبت لأتباع آمون أن عرافهم وكهنته لا قوة ولا قدرة لهم، أنظر: Fakhry, A., The Oasis of Egypt, vol. 1. p. 81.

وحول حملة قمبيز أنظر: Herodotus, 111. 26; Fakhry, Siwa Oasis p. 29.

(2) حول موضوع السلفيوم أنظر: Herodotus, IV. 169; Theophrastus, VI. III; Strabo. xv II, 20-23.

Plinius Secundus v. 5, XIX. 15, XXII. 48-49.

(3) Robinson, E.S.G.A. Catalogue of Greek Coins in Cyrenaica, 1927, pp. XXIII. XIXVII, XXXV, cXIII. ccXXXIII; C. Seltman, Greek Coins, 1960, p. 182.

(4) S., Stucchi, First cutline of history of Cyrenaican architecture during the Greek Period, Libya in History (Historical conference 16-23 March 1968) pp. 208-209; R., Good-child, Cyrene and Apollonia, 1970, pp. 99-100.

Lacodumonius اللاكيديمونيون[1] والأثينيون[2] وألف Pindaros قصيدة على شرف آمون ليبيا وحفرت على لوحة مثلثة ووضعت في معبده في سيوه[3].

وبعد هذا العرض لتاريخ زيوس آمون في سيوه ألا يحق لنا أن نتساءل هل كان هناك إتصال مبكر بين الإغريق وعبدة هذا الإله قبل تأسيس قوريني؟ خاصة وأن هيرودوتس يشير إلى وجود استعمار يوناني في الواحات منذ عصور قديمة ويذكر أن الحملة التي أرسلها قمبيز ضد واحة سيوه رحلت من طيبة واتخذت طريقها حتى وصلت إلى الواحة التي كان يسكنها شعب من الساميين نسبة لجزيرة ساموس على مسيرة سبعة أيام من طيبة وكانت تسمى جزيرة المباركين[4] ثم انقطعت أخبارها.

وعلى العموم سوف يحدد لنا عالم الآثار في يوم ما حقيقة جزيرة المباركين هذه التي نوّه عنها هيرودوتس في كتابه الثالث التي حددها بعض العلماء الأثريين بين واحتي الخارجة أو البحرية[5].

كذلك لا ننسى القصة التي ذكرها هيرودوتس[6] عن أتيارخوس ملك

---

(1) Pausanias, III. 18.3, 21.8.

(2) Plutarch, Kimon, 18.7; Thucydides I, 112.3; Parke, op. cit., p. 21.

(3) Slater, W.J., Lexion to Pindar, 1969, p. 39; Pausanias, IX. 16.1; Parke, op. cit., p. 211.

(4) Herodotus, 111.26.

(5) Chamoux, op. cit., pp. 64-65; Fakhry, A. Bahria Oasis, 1. p. IX.

(6) Herodotus. 11.32.

حول هذه القصة أنظر هيرودوتس 11.32 وملخصها أن بعض أهالي قوريني في أثناء حديثهم مع أتيارخوس خلال زيارتهم لوحي آمون في سيوه أبلغهم أن بعض الناسامونيين سكان خليج سرت الليبيين أخبروه رداً عن سؤاله عما إذا كان باستطاعتهم أن يحدثوه بالمزيد عن أجزاء ليبيا غير المأهولة وقد قام جماعة منهم برحلة داخل الصحراء الكبرى.

الأمونيين في واحة سيوه، ألا يدل ذلك على هذا الإتصال المبكر بين الإغريق والسكان المحليين؟ وأخيراً لا بد من الإشارة إلى ما قاله هيرودوتس عن الإله بوسيدون من أنه كان إله ليبيا.

أما في ما يتعلق بالمخلفات الأثرية التي عثر عليها في إقليم قورينائية، فقد عثر Stucchi في موقع روماني في قوريني على قطعة فخارية من كأس من نوع Kylix وعليه زخرفة أرجعها إلى الفترة التالية من العصر المينوي الحديث ونسبها إلى جزيرة كريت لأنه من خواص الفخار الكريتي في هذه الفترة، إن الكؤوس داخلها كلها ملونة[1]، إلاّ أن بوردمان Boardman[2] لا يأخذ بهذا الرأي ويرى أن هذه القطعة هي جزء من إناء نصف دائري مصدره شرق بلاد اليونان من العصر الأركي.

كما عثر ستوكي في أجورا قوريني على ختم من ختم حجري عليه رسم أخطبوط أرجعه كذلك إلى هذه الفترة حيث كان الناس مغرمون بالأختام المحتوية على نقوش محفورة، وحيث وجدت أختام مشابهة في كريت فمن المعتقد أن ختم قوريني أيضاً أصله من تلك الجزيرة[3]. إلاّ أن Boardman[4] يرى أن هذا الختم مصدره جزيرة ـ ميلوس Melos وذلك لأنه لم يعثر على فخار هذه الجزيرة خارجها إلاّ في توكرة[5] فليس من المستغرب أن يعثر في قوريني على ختم من ميلوس. ولما كانت هذه الجزيرة دورية مثل ثيرا وكريت

---

(1) S. Stucchi, Quaderni Dell'istituto italiano di cultura di Tripoli. 3 (Cirene 1957-1966) Tripoli, 1967, p. 149 fig 153.

(2) J., Boardman, Bronze Age Greece and Libya, BSA, 1 63, 1968, pp. 41-44, fig. 1.

(3) Stucchi, op. cit,, pp. 143-144 fig. 147.

(4) Boardman, op. cit., pp. 41-44, fig 4.

(5) J., Boardman, Excavations at Tocra 1963 - 1965, I, 1966, p. 15-74.

فلا بد أن تكون بينهما مصالح مشتركة، ولكنه يعود فيشير إلى أن هذه الأختام التي تعود إلى تلك الفترة كانت موجودة بالفعل في كريت ونعرف مما عثر عليه من مخلفات في كريت، أن هذه الأختام قد تلاشت بعد عصر البرونز ونتوقع أن نجدها حيث وجد الكريتيون والسلع الكريتية. ونحن لا يهمنا كثيراً في هذا البحث سواء جاءت من كريت أو من ميلوس وكل ما يهمنا أنها جاءت إلى قوريني كما أنها ترجع إلى العصر المينوي المتأخر[1].

كما عثرت البعثة البريطانية في توكرة[2] على جوهرة على هيئة ختم من حجر اليشب الأحمر عليه صورة بقرة وعجل من العصر المينوي الحديث بين مجموعة من النذور تضم بقايا أواني وأشياء برونزية أرجعها Boardman إلى فترة ما بعد عصر البرونز[3].

وهناك إشارة إلى نقش مينوي على حجر[4] عثر عليه شخص كريتي يقيم في مدينة سوسة ولكن لم تلتقط له أية صورة، وهذا ما جعل Boardman[5] لا يجزم بأنه مينوي أو على الأقل نقل إلى هذه المدينة في وقت متأخر.

ولكن الأهم في نظر بوردمان أن أقصر طريق بالبحر من بلاد الإغريق إلى شمال أفريقيا يبدأ من جزيرة كريت إلى نقطة تقع إلى الشرق مباشرة من

---

(1) S., Stucchi, ASAA vol. XXXIX-XL, 1961-1962; Roma, 1963 p. 664; L.A. Stella, La civilta Micenea nei documenti contemporanei, Roma, 1965, p. 217 n. 70.

(2) Boardman, BSA, no. 63 1968, p. 43; Gill, M.A.V., Kadmos, V., Berlin, 1966, p. 8, fig 5, pp. 11-12.

(3) Boardman, A.R. 1965-66, Excavations at Tocra in Libya, 1964-66, p. 25, fig 3.

(4) O., Bates, op. cit., p. 101, n. 5.

(5) Boardman, BSA, no. 63, 1968, p. 44.

قوريني تماماً حيث رأى إغريق ثيرا المهاجرون أرض ليبيا للمرة الأولى.

وهذا الجزء من ساحل قورينائية هو امتداد طبيعي ومنطقي لعالم بحر إيجه، ومن المرجح جداً أنه على هذا الساحل قد نعثر على شواهد أخرى مينوية أو موكينية كما عثر على شواهد من هذا النوع في مكان لا يبعد كثيراً عن كريت وموكيناي مثل مدينة Miletos[1].

ويشير بوردمان[2] كذلك إلى وجود قطعة فخارية في قوريني ترجع إلى القرن الثامن ق.م. وهي عبارة عن كوب موجود في برلين ولكنه لم يجزم بمكان صنعه، وكل ما يهمنا هنا أن هذه القطعة ترجع إلى عصر متوسط بين الحضارة المتأخرة وبين التأسيس التقليدي لمدينة قوريني.

إن هذا الاكتشاف يسمح بافتراض قوي وهو أن طريق كريت - قورينائية لم ينس إنهيار الحضارة المينواوية أو الموكينية ولكنه ظل معروفاً لدى البحارة اليونانيين، الأمر الذي لا يثير أي تعجب من أن الطريق التي سلكها كروبيوس الكريتي الذي استأجره الثيرانيون لكي يقودهم إلى المكان الذي أمر به وحي دلفي لتأسيس مستعمرتهم الجديدة في الأراضي الإفريقية، كيف أن هذا الشخص عرف الطريق التي يجب اتباعها.

كذلك لا بد من الإشارة هنا أن الفينيقيين لم ينشئوا محطات تجارية على الساحل الليبي الشرقي لأن المنطقة مشغولة. وهكذا وبناء على ما قدمناه من أدلة يتضح لنا أن هناك علاقات قديمة بين إقليم قورينائية وبلاد اليونان وخاصة مع جزيرة كريت، ولعل أوضح هذه العلاقة تتركز في المجالات الاجتماعية والاقتصادية. وكان الليبيون في هذه الفترة يعملون وسطاء في تبادل السلع التي كانوا يأتون بها من أواسط أفريقيا أو تأتي إليهم من هناك مع سلع ومنتجات

---

(1) Boardman, op. cit., p. 44.

(2) Boardman, op. cit., 1973, 154.

بحر إيجه، حتى أن Glotz[1] يشير في هذا الصدد إلى أن الذي قاد أهل ثيرا إلى ليبيا هو أحد صانعي أنواع معينة من النسيج ولا بد أنه قد مارس مهنته أو علمها لأهل المنطقة في ليبيا خاصة وأنه استمر يقيم هناك لفترة طويلة، وقد جاء هذا الرجل فيما كان يسوق بضاعته من القماش والأصباغ وغيرها. وأن التجار منذ العصر المينوي كانوا يجلبون التوابل من قورينائية[2] وأن الكريتيين كانوا يصنعون من بيض النعام الذي يأتي إليهم بعض النازات[3]، كما أن السلفيوم قد أخذ طريقه من ليبيا إلى كريت المينوية في هذه الفترة[4].

وعلى الرغم من أن ميناء أبوللونيا يبين نهاية طريق القوافل القادمة من مصر عن طريق واحة سيوه أو من السودان وقرطاجة[5]، إلاّ أننا نرجح أن جزيرة بلاتيا من أهم أماكن التبادل التجاري بين الطرفين؛ فهي المكان الذي نزل فيه إغريق ثيرا أول مرة حيث قادهم كروبيوس كما أنها ما زالت إلى يومنا هذا المكان المحبب لصائدي الإسفنج والأسماك من اليونانيين. كما لا ننسى أن كريت وقورينائية أصبحتا ولاية واحدة في العصر الروماني(***).

---

(1) G., Glotz, Aegean Civilization, London, 1968, p. 177.

(2) Glotz, op. cit., p. 39.

(3) Op. cit., p. 193.

(4) A., Evans, Scripta Minoa, vol. 1, Oxford 1909, p. 215 ff; Bates, op. cit., p. 101, n 5.

(5) P., Leveque, The Greek Adventure (Trans: M. Kochen) London, 1968, p.196.

(* * *) وأن اليونانيين عندما طردوا المسلمين من جزيرة كريت أخذوهم مباشرة إلى مدينة أبوللونيا (سوسة) لأنها أقرب وأنسب مكان لهم.

الفصل الخامس

ليبيا في العصر اليوناني

أولاً: دَوافع الإستعمار الإغريقي لليبيا

ثانياً: ليبيا في عهد أسرة باتوس

ثالثاً: ليبيا في العصر الجمهوري

رابعاً: العلاقة بين الليبيين والإغريق

خامساً: الحياة الاقتصادية في العصر اليوناني

الفصل الخامِس

ليبيا في العصر اليوناني

أولاً: دَوافع الإستعمار الإغريقي لليبيا

إن الاستعمار الإغريقي لإقليم قورينائية اتخذ منذ البداية هيئة الاستعمار الزراعي. فقد كان الباعث أصلاً على إنشاء مستعمرة في ليبيا ضيق جزيرة ثيرا بأهلها، وحلاً لمشكلة الجفاف الذي أصاب جزيرتهم. وهذا واضح على نحو ما جاء في رواية الثيريين أنفسهم عند تأسيس قوريني[1]، وكذلك في قرار الجمعية الشعبية الثيرية الوارد في نقش **لوحة المؤسسين**[2]، الذي يتلخص في طريقة اختيار المبعوثين بالاقتراح من كل مواطني القرى السبع في ثيرا، بحيث يختار واحد من كل أسرة بها أخان اثنان. ويضيف هذا النقش إلى ذلك، أنه إذا نجح المبعوثون في **إقامة مستعمرة**، فإن من ينضم إليهم من مواطنيهم بعد ذلك يتمتع بكل الحقوق المدنية والسياسية، ويمنح إقطاعات من الأراضي،

(1) Herodotus, IV, 150-153.

وانظر إبراهيم نصحي، إنشاء قوريني وشقيقاتها ص 38.

(2) S.E.G., IX, 3, 28-9; A. J. Graham, pp. 94-95; L.H. Jefry, the Pact of the first settlers at Cyrene, J. H. S, vol LXXX, 1960. The Authenticity of Cyrene, Historia X, 19, pp. 139-149.

التي لم يسبق منحها لأحد. وأنه إذا فشل المبعوثون في إقامة مستعمرة في ليبيا خلال خمس سنوات، فإنهم يستطيعون عندئذ العودة إلى ثيرا واستعادة ممتلكاتهم، وحقوقهم السياسية أيضاً. وأنه إذا رفض أحد ممن وقع عليهم الاختيار الذهاب إلى إنشاء المستعمرة، فإنه يكون عرضة للحكم عليه بالإعدام ومصادرة أملاكه، وأن ذلك يكون أيضاً شأن من يأويه[1].

ومن الواضح أن كل ذلك يدل على أن الدولة وضعت من القواعد ما يكفل إنشاء المستعمرة واستمرار مدّها بالثيريين في حال نجاحها، وكذلك ضمان وضع المبعوثين في حال فشلهم في إقامة المستعمرة، وأن المبعوثين اختيروا على قدم المساواة بين كل مواطني ثيرا وليس من فئة بعينها دون أخرى، وأن عودة المبعوثين قبل انقضاء السنوات الخمس المنصوص عليها، كانت تتعارض مع القرار[2].

وإزاء ذلك كله يبدو لنا أن الباعث على تأسيس المستعمرة كان سوء الحالة الاقتصادية في ثيرا[3] بسبب ازدياد عدد سكانها وافتقارها إلى أرض

---

(1) إبراهيم نصحي، نفس المرجع، ص 38.

(2) إبراهيم نصحي، نفس المرجع، ص 40.

(3) يقول Mendes، وكان أحد أبناء مدينة برقة وكتب تاريخاً لليبيا حوالي منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، إن إنشاء قوريني يرجع إلى وقوع اضطرابات سياسية في «ثيرا» من جراء انقسام الثيريين إلى فئتين، وقع بينهما صدام أدى إلى طرد إحداهما، وهي التي كان يتزعمها باتوس B'attoç. فذهبت هذه الفئة إلى وحي دلفي لتسأل المتنبىء عما إذا كان عليها أن تتابع الصراع أم تقوم بإنشاء مستعمرة، وقد نهاها الوحي عن الاتجاه الأول، وفضل الاتجاه الثاني، أنظر:
F. Jacoby, Gr. Hist, III A, pp. 83 ff. Schol, Pindar, Drachmann, II, p. 97.
وللوهلة الأولى يبدو أن هناك أساساً للزعم القائل إن إنشاء قوريني يعود إلى وقوع اضطرابات سياسية في ثيرا، خاصة في ضوء ما أورده هيرودوتس في رواية القورينائيين Herodotus, IV, 154-157 عند الاستقبال غير الودي الذي صادفه =

تعولهم. وأنه قد زاد الحالة سوءاً فترة الجفاف الشديد التي مرت بها الجزيرة خلال هذه الأزمة، كما يشير إلى ذلك هيرودوتس[1]. والجدير بالملاحظة هنا في هذا الصدد أن أفلاطون يذكر في كتابه القوانين[2]، أن الفقر في الأراضي الصالحة للزراعة كان أحد أسباب الإستعمار الاغريقي بوجه عام.

وأيد رأينا أيضاً أنه، لما وصل المستعمرون إلى جزيرة Πλαιέ α، **كانت إقامتهم فيها مؤقتة، ولم يبذلوا جهداً في مصائد الأسماك**، التي اشتهر بها خليج بومبا حتى الوقت الحاضر، **إذ يعتبر المكان المحبب لصائدي الأسماك والإسفنج من اليونانيين، ولو فعلوا ذلك لكان كفيلاً في أن يجزيهم على جهودهم خير جزاء**[3]. **ولكنهم عاشوا عيشة الكفاف، ولم يهدأ لهم بال حتى اقتطعوا لأنفسهم إقليماً صالحاً للزراعة على الهضبة القورينائية، التي كانت تتمتع بمناخ ووضع جغرافي ممتازين، جعل منها الامتداد الطبيعي لحضارة بحر إيجه، إذ لا تبعد عن كريت إلاّ المسافة التي تبعد كريت هذه عن أثينا.**

ولنا في هذا الصدد أن نقبل رواية هيرودوتس[4] عن وصول الإغريق إلى قوريني من أيزيرس Ἄξιρις بعد أن مروا ليلاً عبر أخصب بقعة إلى الشرق من قوريني وهي إيراسا Ἴρασα، حيث دبر الأهالي سير الرحلة ليلاً، عندما عرفوا أن الهدف الأساسي للإغريق كان الحصول على الأراضي الزراعية. وعند

= المستعمرون عند عودتهم من جزيرة بلاتيا. غير أن الأمر الذي يفند هذا الزعم ويبطله من أساسه، الطريقة التي أتبعت في اختيار المبعوثين لتأسيس المستعمرة، والتي أشرنا إليها سابقاً في رواية الثيريين، وقرار الجمعية الشعبية الثيرية، الوارد في نقش لوحة المؤسسين.

(1) إبراهيم نصحي، نفس المرجع، ص 40، وراجع أيضاً: Herodotus, IV, 151.

(2) إبراهيم نصحي، نفس المرجع، وراجع أيضاً: Plat., Leges, 707e ff.

(3) F. Chamoux, op. cit., p. 219.

(4) Herodotus, IV, 158.

وصولهم إلى قوريني قال لهم الأهالي: هنا أيها الإغريق يلائمكم السكن لأنه **يوجد ثقب في السماء**[1]. وفي هذا دلالة أكيدة على كثرة أمطار منطقة قوريني وملاءمتها للزراعة:

'Ανδρες Ελληνες, ενθαυταύμίν

έπιτήδεον όιΚέειν 'Εν θαύτα γάρ όνρανος

Τέτρηται

ويجب ألا ننسى أن Battos الثاني، عندما وجه دعوته للإغريق إلى المجيء إلى قوريني وعد كل مهاجر بقطعة أرض. وكان نص النبؤة هو التالي: **إن من يتوانى في الذهاب إلى ليبيا النضرة، حيث يتم توزيع الأرض عليه، سوف يندم على ذلك بكل تأكيد**[2]

Ός δεΚενές λιβυηS Πολυηρατον

ύαστερον έλθη γασρναδαιο μένας, μειά

Οi ΠοΚα *φαμi μελήσειν"*

وأيضاً عندما أراد أركيسلاوس ApKεσiλεws الثالث تكوين جيش في جزيرة ساموس ليسترد به عرشه، وعد الجند بتوزيع أراض عليهم[3]. وعندما استرد عرشه وانتقم من خصومه في قوريني بادر إلى الريف للقضاء على خصومه فيه، الذين فروا إلى مزارعهم ولاذوا بحمى بيوتها المحصنة، التي هاجمها أيضاً. ومن أمثلة ذلك القصر الحصين، الذي كان يملكه رجل يدعى أجلوماخوس *Άγλωμάχos* والذي كوّم حوله *Αρκεσiλεως* الأخشاب وأحرقه بمن فيه[4]. وهكذا استقرت الجماعات اليونانية المهاجرة في الريف القورينائي

---

(1) Herodotus, IV, 158.

(2) Herodotus, IV, 159.

(3) Herodotus, IV, 160.

(4) Herodotus, IV, 164.

ولعبت الأراضي الزراعية دوراً هاماً في تاريخ الإقليم حتى أن ديموناكس Δημῶναξ حاول في تشريعاته علاج مشكلة الأراضي، وذلك باهتمامه بالمقيمين في الريف "Oi ΠερισiKoi"[1] ووضعهم مع القبيلة الأولى.

ويحسن أن نلقي الضوء على أهمية هذه الأراضي في تاريخ إقليم قورينائية ذاته. فقد كان الإغريق الأوائل الذين وفدوا على الإقليم قليلي العدد، وقد أحسن الليبيون استقبالهم، وسمحوا لهم بالزواج من بينهم. وكانت العلاقة ودية بين الطرفين. ولكنه منذ وصول المستوطنين الجدد، الذين جاؤوا استجابة لدعوة Báttos الثاني واستيلائهم على أراضي الليبيين، توترت العلاقات بين الجانبين، **مما أفضى إلى الحربين اللتين قامتا بينهما، فانتصر**

---

(1) يرى بعض المؤرخين أن هذه الطائفة تمثل الليبيين المتأغرقين، الذين ساهموا في إنشاء مستوطنة قوريني وتعاونوا مع المستعمرين الأوائل في زراعة أراضيهم. وتزوج هؤلاء من بناتهم أو على الأقل أبناء النساء الليبيات من آباء إغريق. ولذلك منحوا حقوق المواطنة، ووضعوا مع القبيلة الأولى، أنظر: A. Jones, Cities of the Eastern Roman provens, Oxford, 1967, p. 353; C.A.H., III, pp. 667-668.

ويرى شامو Chamoux أن طبقة Περιοi – μοι الذين أدخلهم Δημῶναζ مع أهل ثيرا في القبيلة الأولى، كانوا إغريقاً يعيشون في الريف، لأن الإغريق لا يدخلون في عداد مواطنيهم العناصر غير الإغريقية: F.Chamoux, op. cit., p. 221.

ونحن نرجح الرأي الأول، لأن مستوطنة قوريني مستوطنة زراعية، ولعل الإغريق قد استعانوا بالأهالي الذين تعاونوا معهم وتزوجوا من بناتهم وقد وضعهم Δημῶναζ ضمن القبيلة الأولى لتصحيح وضع خاطىء خاصة وأن Δημῶναζ جاء إلى قوريني عقب انتصار أخوة الملك وأنصارهم من الليبيين، وبها أرضى الليبيين من ناحية، واعترف بالأمر الواقع من ناحية أخرى. وقد أشار هيرودوتس إلى وجود ΠερισiKoι ليبيين، كان الإغريق قد استولوا على أراضيهم: Herodotus, IV, 159. ولا ننسَ أيضاً قول هيرودوتس أن قبيلة الأسبوستاي التي ساهمت في إنشاء المستعمرة قد تأغرقت Herodotus, IV, 170 كما أن قوانين بطلميوس الأول، أدخلت في عداد المواطنين، أولئك الذين ولدوا من نساء ليبيات وآباء إغريق أنظر: S.E.G., IX, 1.

الإغريق في الأولى وهي موقعة إيراسا Ιραρα[1]، والليبيون في الثانية وهي موقعة Δεν΄Λωνi ليوكون[2]. ولنا أن نتساءل: هل كان الصدام سيحدث بين الجانبين لو كانت قوريني فعلاً مجرد مستوطنة تجارية؟ لا شك في أن الذي عجل بوقوع الصدام كون قوريني مستوطنة زراعية. والسبب الآخر الذي يرجح هذا الرأي هو عدم محاولة الإغريق الاستعانة بالليبيين في استغلال الريف القورينائي، وفضلوا على ذلك استقدام مستوطنين إغريق جدد إليها. وفي هذا الصدد لا بد أن نشير إلى أن الإغريق خاصة في بداية استيطانهم سواء في قوريني أو في غيرها خلال القرنين السابع والسادس قبل الميلاد، لم يكن يعنيهم ما إذا كان أهل البلاد الأصليين يجيدون حرفة الزراعة أو أية حرفة غيرها، وإنما كان يعينهم حل مشاكلهم في بلادهم الأصلية ألا وهي مشكلة تزايد السكان وقلة مساحة الأراضي هناك. واستناداً إلى ذلك إذا افترضنا أن العدد الصغير الذي جاء إلى ليبيا، قد فكر في الاستعانة بالليبيين في زراعة الأرض، فإنهم يكونون كجماعة من المهاجرين المغامرين، الذين أرادوا أن يثروا ويعيشوا في رفاهية بعيداً عن مشاكل بلادهم الأصلية. ولكني أعتقد أن Báttos الثاني لم يستدع المهاجرين من كل مكان في بلاد اليونان إلاّ وفق مخطط عام، أو مخطط ثيري، يدخل ضمن الاتجاه العام للاستعمار الإغريقي في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد.

وعلى ذلك يمكن القول إن المستعمرين من الأوائل، الذين وفدوا إلى الإقليم، كانوا لا يهدفون إلى الاحتفاظ بالأراضي وحسب، بل وأيضاً إلى الإستيلاء على أراض جديدة لمن سيأتون من المهاجرين إلى قوريني. ونستنتج ذلك في الفقرة 153 عند هيرودوتس، فقد تكوّن المستوطنون الأوائل بأن أخذوا واحداً من بين كل أخين، على أن تمثل كل القبائل السبع في ثيرا خلال

---

(1) Herodotus, IV, 159.

(2) Herodotus, IV, 160.

هذه الحملة الأولى. وهذا دليل على أن أهل ثيرا كانوا يحاولون الربط بين الأسر والقبائل في كل من قوريني وثيرا.

ومن الأمثلة الأخرى على أهمية الأرض في تاريخ قورينائية، أنه في القرن الرابع قبل الميلاد، عندما نشرت قوانين دينية على نصب، نص أحدها على أنه إذا انتشر وباء في الريف فإنه يجب أن تتبع إجراءات التطهير نفسها، عندما ينتشر وباء في المدينة نفسها[1]. ووصية بطلميوس الصغير عام 155ق.م، وهي التي أوصى فيها بالإقليم كله لروما، إذا لم يعقبه ابن ذكر، أوصى الرومان أن يهتموا بالريف شأنه في ذلك شأن المدينة في حال استيلائهم على قورينائية[2].

وتوضح هذه الأمثلة كلها لنا أهمية الأرض في تاريخ قورينائية، وما تجدر ملاحظته هو أن أقدم مدينتين في الإقليم وهما «قوريني» و «برقة» ليستا على الساحل، بل في الداخل وسط إقليم زراعي وأن مينائي هاتين المدينتين، وهما اللتان عرفتا باسم «ابوللونيا» و «بتوليمايس» لم تصبحا مدينتين مستقلتين إلاّ في عهد متأخر.

وأما مدينة **يوسبريدس**، فتقع فعلاً على الساحل، ولكن العنصر الأساسي في رخائها كان مستمداً من أرضها وليس من نشاطها البحري[3].

وكان إقليم قورينائية في هذه الفترة مقسماً إلى ثلاث مدن إغريقية وإلى عدد من القبائل الليبية. وهذه المدن هي «قوريني» و «برقة» و «يوسبريدس». وكان هذا الإقليم يمتد شمالاً حتى البحر المتوسط وغرباً حتى Massa. وقد عثر بالقرب من هذه القرية على معبد للإله إسكليبيوس[4] إله الشفاء، وهو

---

(1) S.E.G, IX, 72, 1; G. Oliverio, DAI II, Cirenaica I, 1933, 7.

(2) S.E.G., IX, 7-4; G. Oliverio, DAI I, Cirenaica, 1932, 11/84.

(3) F. Chamoux, op. cit., pp. 220-221.

(4) Ibid. p. 225.

مشيد بمكان لا بد أنه كان آهلاً باليونانيين. ومن ناحية الشرق حتى قرى المقارنيس Mgarnes[1] ولملودة Lemloda و Gubla. وفي هذه القرى آثار يونانية. وينتهي إقليم قوريني جنوباً عند قرية أسلنطة Slonta التي عثر فيها على رسوم ليبية منحوتة في الصخر، لم تصلها يد الاستعمار اليوناني[2].

وأما إقليم مدينة برقة فكان يقع إلى الغرب من إقليم قوريني، حيث تشرف المدينة على إقليم متسع فسيح يتوسطه حوض مغلق من التربة الخصيبة. ويتصل هذا الإقليم بالساحل ابتداء من نهاية حدود منطقة قوريني الساحلية حتى مدينة توخيرة، التي أشار إليها هيرودوتس أنها تقع في إقليم مدينة برقة[3]، وتعتبر هذه المنطقة من أخصب أراضي قورينائية.

وفي ما يخص إقليم **يوسبريدس**، فإنه يقع إلى الغرب من الإقليمين السابقي الذكر وتفصله عنهما منطقة يقطنها السكان الوطنيون، الذين كانوا غالباً ما يهددون المدينة نفسها[4]. وقد وصف هيرودوتس أراضي يوسبريدس بأنها جيدة، **وهي تغل في السنوات الخصيبة محصولاً يماثل بذره مائة مرة**[5].

وأما ما يتعلق بباقي إقليم قورينائية، فقد كانت تسكنه القبائل الليبية، وهي كما ذكرها هيرودوتس بأسمائها الإغريقية التالية الخارطة 3:

---

(1) تقع على بعد 16 كم شرقي مدينة قوريني، وعثر فيها على نقش تبين منه أنه كان يعيش في هذه القرية إغريق مارسوا نشاطهم الزراعي في هذه البقعة، أنظر: S.E.G. IX, 354.

(2) BλεΠ Ledition, vol.5 σελ 27.

(3) Herodotus, IV, 199.

(4) F. Chamoux, op. cit., p. 228.

(5) Herodotus, IV, 198.

الأدورماخيدي Αδυρμαχίδαί[1] أقرب القبائل الليبية إلى مصر، حيث امتد إقليمها من حدود مصر الغربية مباشرة حتى ميناء بلينوس Πλυνος (سيدي براني)، ثم قبيلة الجيليجاماي Οι Γιλ΄γαμάι التي يمتد إقليمها من سيدي براني حتى جزيرة افرودسياس Αφροδι΄αίδες (كرسه) غربي درنة. وهم الذين نزل الإغريق بأرضهم وقادوهم بعد ذلك من ازيريس Ίζιρις إلى الموقع الذي أسست فيه مدينة قوريني، وإلى الغرب من الجليجاماي وفي أقصى جنوب إقليم قوريني. أقامت قبيلة أسبوستاي Οι΄Ασβθσιαι. ويبدو أن هؤلاء كانوا يسكنون إقليم قوريني، فأبعدهم اليونانيون منه إلى الجنوب. وقد أشار هيرودوتس أنهم اكتسبوا بعض عادات القورينائيين، كما أنهم يستخدمون عربات تجر الواحدة منها أربعة خيول[2]. وتلي الاسبوستاي Αοβθσιαι ناحية الغرب قبيلة الأوسخيساي Οι Αύσχισαι التي قطنت

---

(1) نلاحظ من إسم هذه القبيلة والقبائل الليبية الأخرى انقطاع الصلة بينها وبين أسماء القبائل الليبية في العصر الفرعوني. ويرى بعض المؤرخين، استناداً إلى بعض أوجه الشبه في الملابس وطريقة تصفيف الشعر، إن الأسبت هو الأسبوستاي والبكن هم البكاليس، ومجموعة المشوش هم الماشلويس المقيمة غربي بحيرة تريتونيس مع شيء من التحفظ. وقد حل الأدورماخيدي محل التحنو في المنطقة الواقعة من حدود مصر الغربية حتى ميناء سيدي براني وحلت قبيلة الجيلجاماي محل التمحو، ويكون الأسبوستاي والأوسخيساي والبكاليس قد حلوا في الجبل الأخضر محل الليبو، أنظر: مصطفى عبد العليم، نفس المرجع، ص ص 54 ـ 55 وأيضاً:
F. Chamoux, op. cit., p. 49.

ونحن نؤيد هذا الرأي، إلاّ أننا نختلف فيه من حيث أن الماشلويس كانوا يعيشون غرب بحيرة تريتونيس وقبيلة الأدورماخيداي تعيش في المنطقة الممتدة من حدود مصر سيدي براني، وأن أغلب عاداتهم تماثل العادات المصرية. وهذا يتفق تماماً مع معلوماتنا على المشوش، الذين عرفنا أنهم استقروا في أرض التحنو وانتشرت بينهم العادات المصرية. ولذلك نرجح أن مشوش النصوص المصرية هم أنفسهم أدورماخيداي هيرودوتس، اللهم إذا كان فريق من المشوش قد نزح غرباً وفي وقت غير معروف واستقر غربي بحيرة تريتونيس.

(2) Herodotus, IV, 170.

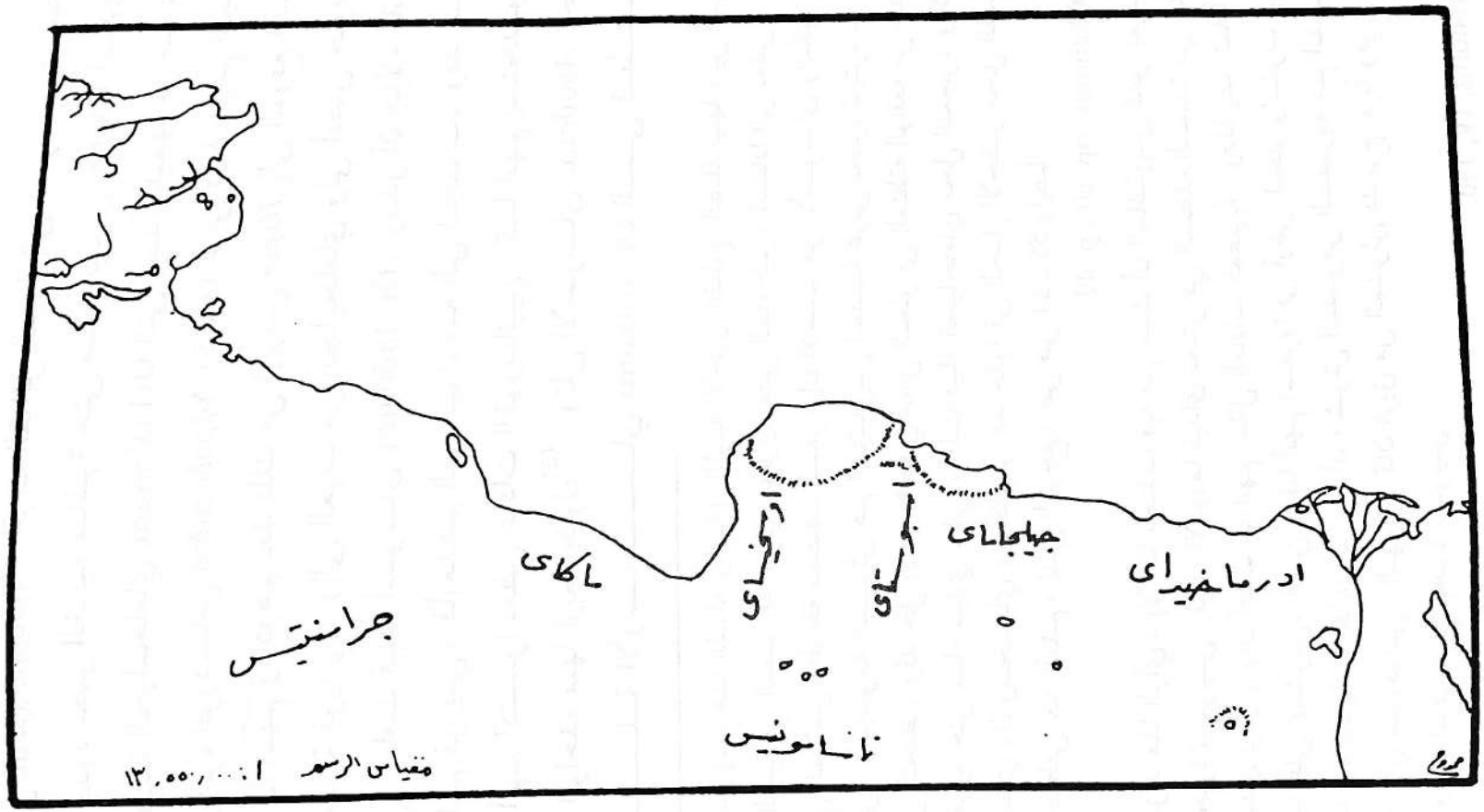

الخارطة 3: توضح القبائل الليبية وفق هيرودوتس

إلى الجنوب من مدينة برقة وفي مناطق المراعي واتصل إقليمها بالبحر بالقرب من مدينة يوسبريدس[1]. وأقامت بجوارها قبيلة البكاليس ΒαΚάλες، التي كانت صغيرة العدد، واتصل إقليمها بالبحر قريباً من توخيرة. ونظراً لقرب مواقع هاتين القبيلتين من مواقع اليونانيين، فقد اكتسبتا منهم العادات الإغريقية.

وأما أشهر القبائل الليبية في إقليم قورينائية وأكثرها عدداً فهي قبيلة الناسامونيس Να σαμωνες، التي كانت تقيم حول خليج سرت. ونستنتج من رواية هيرودوتس، التي يشير فيها إلى أن هذه القبيلة تترك خلال فصل الصيف قطعانها بجوار البحر وترحل إلى واحة أوجلة لجني البلح. إن موطنها لم يقتصر على المنطقة الساحلية فحسب، بل امتد إلى الداخل، حيث كانت تسيطر أيضاً على واحة أوجلة. ويشير إلى ذلك أيضاً قصة الفتية الخمسة من شباب هذه القبيلة، الذين وصلوا إلى نهر النيجر[2]، وتعرض هذه القبيلة للقوافل التجارية وللسفن الراسية[3] وحصارها لمدينة يوسبريدس في عام 414ق.م[4]. ونستنتج من النقش[5]، والذي يفخر فيه خمسة من قادة قوريني العسكريين، أنهم هزموا هذه القبيلة مع جيرانها من قبيلة الماكاي *Οι Μακαι*، أن هذه القبيلة كان لها نشاط تجاري، وأن هذا الصراع سببه المنافسة الاقتصادية بينها وبين العناصر الأجنبية، التي استقرت على الشاطىء الليبي.

وأما المناطق الجنوبية فسيطرت عليها قبيلة الجرامنتس *Οι Γαραμάντες*

---

(1) Herodotus, IV, 171.

(2) Herodotus, II, 32-33.

(3) O. Bates, op. cit., p. 195.

(4) G. Goodchild, Benghazi the story of the city, p. 2.

(5) S.E.G., IV; DAI II, Cirenaica II, 1936, 160.

التي كانت لها علاقات تجارية كبيرة مع القرطاجيين من ناحية ومع الشعوب الأفريقية من ناحية أخرى[1].

ومن هذا العرض الموجز للمواقع التي استولى عليها اليونانيون من ليبيا وللمناطق التي بقيت خاضعة للقبائل الليبية، ندرك بسهولة طبيعة استعمارهم الاستيطاني. لقد استولوا به على الأراضي الخصيبة، بعد أن طردوا أهلها منها، ثم دفعوا بهم إلى المناطق شبه الصحراوية. وكما نعرف أنهم جاؤوا من جزر صخرية صغيرة وعرة، فوجدوا هضبة متسعة خصيبة تمتد عليها حقولها كما راق لهم، وثبتوا أقدامهم باستقدام مستوطنين جدد. ولهذا، وكما يشير الأستاذ Boardman[2]، لم يضيعوا وقتاً كبيراً في الاستيلاء على أغلب المناطق الزراعية، وتأسيس المدن والقرى واستغلال الإقليم إلى أبعد مدى ممكن.

---

(1) أنظر الفصل الخاص باقتصاد القبائل الليبية (الفصل الثاني من هذا الكتاب).

(2) J. Boardman, B.S.A. No. 61, 1966, p. 156.

ثانياً ـ ليبيا في عهد أسرة باتوس

من عام 636 إلى عام 440 ق.م

يروي هيرودوتس في كتابه الرابع عن المرحلة التمهيدية لاستقرار الإغريق في برقة روايتين يستمد إحداهما من الثيريين[1] والأخرى من القورينائيين[2]. وهاتان الروايتان مزيج من الحقيقة والخيال، وواضح من سياقهما أن جزيرة ثيرا[3] كانت حوالي منتصف القرن السابع ق.م تعاني مشاكل اقتصادية واجتماعية حادة من جراء عجز مواردها عن سد حاجة سكانها بعد تزايد عددهم. وأن هذه الأزمة قد تفاقمت عندما مرت الجزيرة بفترة من الجفاف الشديد دامت سبع سنوات. ولم يعد هناك مخرج من هذا المأزق سوى دفع بعض مواطني الجزيرة إلى السعي إلى إنشاء مستوطنة لهم على نحو ما كانت تفعل المدن الإغريقية الأخرى لحل مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية في الفترة ما بين القرن الثامن ومنتصف القرن السادس ق.م... وقد أراد ملوك أسرة باتوس لوحي دلفي[4] أن يلعب دوراً هاماً في استيطان الإغريق في

---

(1) Herodotus, IV, 150/153.

(2) Idem, 154/157.

(3) إسمها القديم جزيرة كاليستي واسمها الحالي جزيرة سانتورين.

(4) يحتل وحي دلفي مكان الصدارة في العصر الكلاسيكي بين مراكز الوحي في بلاد اليونان. وقد كان أبوللون رب هذا الوحي وتمثاله عبارة عن كتلة من الحجر مخروطية الشكل. وكانت كاهنة شابة تدعى بيثيا تلقي إجابات الوحي شعراً وهي في حالة من التوتر العصبي الشديد بعد أن يطرحها عليها كاهن معين. وكثيراً ما صدقت نبوءة الوحي، ولعل مرد ذلك لبراعة الوحي في جمع المعلومات الوفيرة عن زواره. وتعين على الراغبين في **استفسار الوحي أن يتقدموا بالقرابين قبل طرح أسئلتهم ـ أنظر:**
H. W. Parke, The Delphic Oracle, vol. 1, Oxford, 1950. =

برقة بل وسيستمر تاريخ الأسرة وما جرى لها من أحداث مرتبطاً بهذا الوحي. وقد أشار هيرودوتس أنه عندما ذهب وفد من الجزيرة لاستشارة الوحي عن علاج لمشكلتهم أجابتهم الكاهنة أنه يجب أن يؤسسوا مستعمرة في ليبيا ΛιΒύην حيث تكثر الأغنام[1] وأن أحوالهم سوف تتحسن نتيجة لذلك. وقد وصف هيرودوتس رحيل الجماعة الصغيرة العدد لاستكشاف ليبيا في سفينتين من ذوات الخمسين مجذافاً وأنهم أبحروا إلى جزيرة بلاتيا[2] في خليج بومبا قرب الساحل الليبي وكيف أنهم بدافع من اليأس عادوا إلى ثيرا بعد أن مكثوا هناك مدة سنتين لم يطب لهم خلالها العيش إطلاقاً. ولكن أهل ثيرا منعوا

= وكان هذا المركز الديني مصدراً للمعلومات الاستشارية سياسياً وجغرافياً وعسكرياً. إذ يعتبر البعض أن مشورته بإنشاء مدينة قوريني تدل على معلومات جغرافية واقتصادية ممتازة. ولا يزال البحث عن وثائق هذا المركز المتعلقة بالنواحي الجغرافية تحتاج إلى جهد كبير لكشف النقاب عنها .CAH III 629

(1) Herodotus, IV, 155.

(2) إختلف المؤرخون حول التعرف على جزيرة بلاتيا وذلك لوجود ثلاث جزر في خليج بومبا أقربها إلى الشاطىء جزيرة تدعى المراكب أو عجل البحر وهي مستوية السطح وأوسطها جزيرة صخرية وعرة السطح تدعى بومبا أو البردة. وأقصاها شمالاً جزيرة مستوية السطح قريبة من الشاطىء يصلها به جسر رملي وهي تدعى كذلك بومبا. ويرى بيْتسْ O. Bates, op. cit., p. 229 أن جزيرة المراكب هي جزيرة بلاتيا. ويؤيده في ذلك الدكتور نصحي في كتابه إنشاء قوريني وشقيقاتها ص 46، 48 وذلك لاستواء سطح هذه الجزيرة وبعدها عن الشاطىء بعداً كافياً يوفر للوافدين الغرباء الأمن. ويرى شامو ص 116 أن جزيرة البردة هي بلاتيا لأنها أكثر ارتفاعاً واتساعاً ويرى بوردمان.

(Boardman «Evidence for the settlements in Cyrenaica», BSA, No. 61, 1966, p. 150).

أن جزيرة بلاتيا هي الجزيرة التي تدعى الآن بومبا لأنها مستوية السطح وقريبة من الشاطىء حيث يربطها به جسر رملي. فهي تشبه المواقع التي يختارها المستوطنون الإغريق. ونحن رغم أننا نميل إلى ترجيح رأي بوردمان، إلاّ أننا لا نستطيع الجزم برأي قاطع فيه. فلعل الآثار تسعفنا بحل شاف حول هذا الموضوع.

نزولهم بساحل الجزيرة، وهذا يعني إصرار أهل ثيرا على إنشاء مستوطنة قوريني على الرغم من أن لوحة المؤسسين[1] تنص على أنه من حق مواطن ثيرا المهاجر إلى برقة استعادة حقوقه المدنية والمشاركة في ملكية الأسرة إذا ما عاد إليها خلال مدة خمس سنوات إذا فشل المستوطنون في إنشاء المستوطنة أو اضطروا إلى الجلاء عنها. ولكن القرار تضمن النص على أن من تبعث به ثيرا إلى ليبيا ويرفض الإبحار فإنه يُحكم عليه بالإعدام وتؤول ممتلكاته إلى الدولة.

وإذا أخذنا في الاعتبار صيغة القسم الذي ارتبط به نص اللوحة لأدركنا الأهمية التي كانت ثيرا تعلقها على إنشاء قوريني. وبذا قرروا استشارة الوحي مرة أخرى، الذي أكد على أهمية ليبيا الاقتصادية وأنهم لم ينزلوا في ليبيا ذاتها. إذ يذكر هيرودوتس أن مساحة جزيرة بلاتيا لم تزد عن مساحة قوريني في أيامه[2]. فاقتنع المهاجرون بهذه النصيحة وانتقلوا إلى موقع أكثر ملاءمة على الساحل جنوب بلاتيا يدعى آزيريس Aziris[3]. وهناك عاش المستوطنون الإغريق ست سنوات أدركوا خلالها أنه لا زالت هناك مواقع إلى الغرب على

---

(1) S.E.G. IX, 3.

ويرى شامو أن هذا القرار على نحو ما هو وارد في هذا النقش قد زيف في وقت لاحق لإنشاء قوريني. أنظر: F. Chamoux, pp. 110/111 ويرى الدكتور نصحي أن هذا الزيف مقصور على ذكر إسم قوريني وهو الذي لم يكن معروفاً حيث صدر هذا القرار، أنظر: إبراهيم نصحي، قوريني وشقيقاتها، منشورات الجامعة الليبية، 1970، ص ص 38 ـ 39.

(2) Herodotus, IV, 156.

(3) أنظر: إبراهيم نصحي، نفس المرجع السابق، من ص 48 إلى ص 53، ففيه التحليل المنطقي الواضح لهذا الموقع، الذي تؤيده الدراسة الأثرية للفخار التي قام بها الباحثان البريطانيان بوردمان وهايز BSA, op. cit., pp. 149/150. وخلاصته أن أزيريس تقع عند مصب وادي الخليج على مسافة 27 ـ 28 كلم إلى الشرق من دارنيس (درنة الحالية).

الهضبة العالية أكثر ملاءمة. ولما كانت علاقتهم بالسكان المحليين حسنة فقد ساعدوهم في الانتقال[1] إلى الموقع الذي أسست فيه مدينة قوريني[2] Κυρηνη سنة 631ق.م[3] عند مكان أطلق عليه أهل ثيرا إسم نبع أبوللون[4] حيث قالوا لهم: هنا أيها الإغريق تجدون المكان المناسب لإقامتكم لأنه يوجد هنا ثقب في السماء[5]. فسرّهم المنظر الطبيعي العام إذ لم يكن يختلف كثيراً عن بيئة بلادهم الأصلية، بل كان أفضل من مدينة ثيرا المجدبة، فكانت هنا التربة الزراعية المناسبة والمراعي الوفيرة والطقس الملائم. وشاءت ظروفهم الحسنة أن يكون الليبيون على روح من الود والمسالمة معهم. وواضح من هيرودوتس أن ثمة عناصر من كريت ومن جزيرة ساموس أسهمت أو على الأقل ساعدت في إنشاء المستعمرة واستيطان الإغريق في قورينائية، وأدى ذلك إلى تقوية الروابط التجارية بينهما. وهكذا أقام الإغريق مستوطنتهم أو بالأحرى مملكتهم بزعامة المؤسس Oikistes الذي كان يدعى باتوس[6] لمدة ثمانية أجيال يتبادلون

---

(1) إستطاع الليبيون إقناع الإغريق بترك أزيريس إلى المكان الذي أسست فيه قوريني. ويشير هيرودوتس أن الليبيين نظموا سير الرحلة غرباً بحيث لا يمرون إلاّ ليلاً بأخصب بقعة في إقليمهم وتدعى «إيراسا» خشية أن يراها الإغريق في أثناء مرورهم فتغريهم على الإقامة بها .Herodotus, IV, 156. واستناداً إلى هذه الرواية واستنتاجاً من الملاحظة رقم (1)، وتأكيداً للواقع من حيث أن منطقة درنة من أخصب المناطق إلى الغرب من وادي الخليج نرجح أن إيراسا هي منطقة درنة ذاتها.

(2) لعل اسمها مستمد من الإسم الليبي لنبات البروق الذي يسمى في اللهجة الليبية قورا، أنظر إبراهيم نصحي، نفس المرجع السابق ص 59.

(3) أنظر: إبراهيم نصحي، نفس المرجع السابق، من ص 56 إلى ص 78. ففيه التحليل المقنع لتاريخ إنشاء مدينة قوريني.

(4) لعل أهل ثيرا هم الذين أطلقوا عليه هذا الإسم تمجيداً للإله أبوللون، الذي لعب دوراً كبيراً في استيطان الإغريق في هذه المنطقة.

(5) Herodotus, IV, 158.

(6) يشير هيرودوتس أن باتوس كان عيي النطق. وعندما استشار الوحي عن علته أجابته الكاهنة بأنه يجب أن يؤسس مستوطنة في ليبيا. وأن باتوس هذا كان له اسم آخر =

اسمي باتوس وأركسيلاوس تحقيقاً لنبوءة وحي دلفي، التي أشارت «**أنه لثمانية أفراد من أسرة باتوس أربعة منهم يدعون باتوس وأربعة يدعون أركسيلاوس يمنح لوكسياس**[1] Λωξιης ملك قوريني وينصحهم بألا يتجاوزوا ذلك»[2].

حكم باتوس مؤسس مستوطنة قوريني أربعين عاماً[3]. وأشار هيرودوتس أن حكمه كان معتدلاً وقد اتخذت المدينة في عهده تخطيطاً معيناً، إذ أقيم معبد لأبوللون بالقرب من النبع الذي عرف باسمه ومُهد طريق مستقيم. وعندما مات أنشئت بالقرب من قبره السوق العامة Agora[4]. ثم خلفه ابنه أركسيلاوس الأول 599 ـ 583ق.م[5] ويعتبر حكمه امتداداً لحكم والده. أما

= ولكنه لا يذكره. وأن السبب في أن الكاهنة نادته باسم باتوس الذي يعني في اللهجة الليبية «ملك» أنها كانت تعرف أنه سيصبح ملك ليبيا. ومع ذلك فقد ثبت في ما بعد أن تلك النصيحة تضمنت أيضاً استجابة لطلب باتوس لأنه عندما وصل إلى ليبيا صادفه أسد وذعر باتوس فصرخ بصوت عال فشفي من علته تماماً، أنظر: Herodotus, IV, 155. ونستنتج مما أورده بنداروس في البوثية الخامسة أن اسمه أرسطوطاليس ـ أنظر Pinar, The Pythion Odes, V. 87.

(1) أحد ألقاب أبوللون ومعناها الغامض إشارة إلى النبوءات الغامضة التي تصدر عن وحيه.

(2) Herodotus, IV, 163.

(3) وفقاً للتأريخ المتفق عليه من قبل معظم المؤرخين فإن تأسيس قوريني كان سنة 631ق.م ـ أنظر: BSA 61, 1966, p. 152. ووفقاً لما يرويه هيرودوتس من أن المؤسسين قضوا عامين في جزيرة بلاتيا وستة أعوام في أزيريس قبل تأسيس المستعمرة، فإن حكم باتوس يكون قد بدأ سنة 639 إلى 599ق.م وأنظر: إبراهيم نصحي، نفس المرجع، من ص 56 إلى ص 78.

(4) R. Goodchild, Cyrene and Apollonia, 1959, pp. 8/9.
كان يظن إلى عهد قريب أن قبر باتوس كان أحد بنائين دائريين في الشمال الغربي من السوق ولكن ستوكي كشف عن القبر الحقيقي في الجنوب الشرقي، أنظر:
S. Stucchi, Dieci Anni di Missione, Tripoli 1967, p. 52, fig. 8.

(5) Herodotus, IV, 159.

باتوس الثاني 583 - 570ق.م **الملقب بالمبارك** *O Ευδχιμων* فقد وضع حكمه حداً للسلام الذي كان يسود العلاقات الليبية الإغريقية؛ **إذ توافد الإغريق من أنحاء مختلفة من بلاد اليونان بإغراء من وحي دلفي في هجرة جديدة إلى قوريني على وعد بإعادة تقسيم الأراضي، واستولوا على أراضي الليبيين** *Oi Περιοικοι Λιβυες*[1] فناشد زعيمهم أدكران فرعون مصر أبريس 588 - 569ق.م المساعدة وكان هذا الإجراء طبيعياً بسبب العلاقات القديمة بين مصر وليبيا ولا سيما بعد استقرار الكثير من الليبيين في مصر وتأسيسهم للأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين. فأعد أبريس جيشاً كبيراً[2] وسيره ضد قوريني وعند مكان بالقرب من إيراسا يدعى نبع ثيستس Thestes إنتصر الإغريق على المصريين وكان ذلك حوالي عام 570ق.م[3]. وأدى ذلك إلى عزل أبريس وتولية أمازيس مكانه[4].

وهكذا تميز حكم باتوس الثاني بأربع ظواهر رئيسة هي:

أولاً : زيادة عدد القورينائيين زيادة كبيرة دعمت مركز قوريني.

ثانياً : إن القورينايئيين لم يعودوا يتكونون من مواطنين ثيريين فقط.

ثالثاً : إمتداد سيطرة قوريني على معظم إقليم قورينائية.

---

(1) Herodotus, IV, 150.

(2) Idem, IV, 159-II, 167.

(3) R. Goodchild, op. cit., p. 9.

(4) بعد أن خلف أبريس على عرش مصر الملك أمازيس أصبحت العلاقات طيبة بين هذا الملك وبين قوريني، لأنه كان مشايعاً للهلينية، وتزوج من Ladice وهي سيدة من قوريني وأهدى إلى المدينة تمثالاً مطلياً بالذهب للربة أثينا. فضلاً عن أنه جعل من نقراطيس المركز التجاري الوحيد للإغريق في غرب الدلتا، وهذا يعني وجود علاقات طيبة بين تجار هذه المدينة وأهلها من الإغريق وبين قوريني - أنظر: CAH III, p.17.

رابعاً : بداية العداء بين الإغريق والقبائل الليبية.

وحول هذه النقطة الأخيرة لنا أن نتساءل (راجع أيضاً ص ص. 131 وما بعدها 120) لو كانت قوريني مجرد مستوطنة تجارية على الشاطىء فهل كان سيحدث الصدام بين القورينائيين والليبيين؟

إن الذي عجل بالصدام كون قوريني مستوطنة زراعية كما وهذا ما اتضح لنا من الصفحات السابقة.

ثم خلف باتوس الثاني ابنه أركسيلاوس الثاني 570 ـ 550ق.م الملقب $Xa\lambda\varepsilon\pi os$ الصعب. ويحدثنا هيرودوتس بأنه نشب بينه وبين إخوته صراع[1] أفضى إلى نزوح هؤلاء الأخوة من قوريني إلى أخصب بقعة في المنطقة الغربية حيث أسسوا[2] مدينة برقة (المرج). وفي نفس الوقت حرضوا الليبيين على الثورة[3] ضد قوريني فقاد أركسيلاوس جيشاً ضدهم ولكنهم تمكنوا من الانتصار عليه في معركة ليوكن وثأروا من معركة إيراسا وقتلوا سبعة آلاف من جنده ثقيلي العدة Hoplites[4] وهؤلاء في العادة حماة نظام الطغاة ومعظمهم

---

(1) يلاحظ أن الصراع كان يمثل صراعاً بين الملكية متمثلة في شخص الملك وبين الأرستقراطية المتمثلة في إخوته كما سيتضح ذلك من الملاحظة القادمة.

(2) كيف كان يتسنى لإخوة أركسيلاوس إنشاء مدينة لو لم يكن لهم أعوان كثيرون، إزاء ذلك يبدو أن النزاع لم يكن بين الملك وإخوته فحسب، بل أيضاً بينه وبين أرستقراطية قوريني، فخرجوا جميعاً هم وأتباعهم وبذلك استطاعوا إنشاء مدينة برقة. وقد ساد هذا الصراع أكثر المدن الإغريقية في تلك الفترة، وساعدهم في إنشاء المدينة الليبيون الذين كانوا يكنون العداء لأسرة باتوس، التي سلبت أرضهم كما سيتضح ذلك مستقبلاً في عهد أركسيلاوس الثالث. وتشير بعض المراجع من أنهم لم يؤسسوا برقة ولكنها كانت موجودة بالفعل قبل قدومهم ولكنهم طوروها وحصنوها - أنظر: O. Bates, op. cit., P. 230.

(3) قد يكون لهذه الثورة علاقة باحتكار الملك نبات السلفيوم.

(4) Herodotus, IV, p. 160.

من ملاك الأرض. ومهما كانت مبالغة هيرودوتس في العدد إلاّ أن هذه الهزيمة أضعفت من قوة هذه الطبقة. وبعد هذه النكبة مرض الملك، ولم يلبث أن قتل بمؤامرة عائلية وانتهى الأمر بتولية باتوس الثالث 550 ـ 527ق.م، الذي حاول إصلاح الوضع المتدهور. فأحضر مشرعاً يدعى ديموناكس حيث درس الأوضاع في قوريني وقام بوضع دستور أدى إلى استقرار الأوضاع في الإقليم. وتتلخص إصلاحات ديموناكس كما وردت عند هيرودوتس[1] في ما يلي:

1 ـ تقسيم أهالي قوريني إلى ثلاث قبائل التي يفترض أنها حلت محل القبائل الدورية الثلاث القديمة، تضم الأولى المهاجرين من ثيرا والبيري أويكي[2]، وتضم الثانية المهاجرين من البلوبونيز وجزيرة كريت، وتضم

---

(1) Herodotus, IV, p. 161.

(2) في رأي بعض المؤرخين أن هذه الطائفة تمثل الليبيين المتأغرقين الذين ساهموا في إنشاء مستوطنة قوريني وتعاونوا مع المستعمرين الأوائل في زراعة أراضيهم، وتزوج هؤلاء من بناتهم أو على الأقل أبناء النساء الليبيات من آباء إغريق. ولذلك منحوا حقوق المواطنة ووضعوا مع القبيلة الأولى ـ أنظر: A. Jones, Cities of the Eastern Roman Provens Empire, Oxford 1937, p. 353: C.A.H., III, p. 668.

ومصطفى عبد العليم ـ نفس المرجع، ص 132.

ويرى شامو أن طبقة البيري أويكي الذين أدخلهم ديموناكس مع أهل ثيرا في القبيلة الأولى كانوا إغريقاً يعيشون في الريف، لأن الإغريق لا يدخلون في عداد مواطنيهم العناصر غير الإغريقية F. Chamoux, op. cit., p. 221. ونحن نرجح الرأي الأول لأن مستوطنة قوريني مستوطنة زراعية. ولعل الإغريق قد استعانوا بالأهالي من قبيلة الأسبوستاي أو على الأقل عناصر منها في مجال الزراعة، وتركوا لهم الزراعة التقليدية التي يتقنها الليبيون وخاصة زراعة الحبوب، التي اشتهر بها الإقليم حتى قبل قدوم الإغريق. وقد وضعهم ديموناكس ضمن القبيلة الأولى لتصحيح وضع خاطئ، خاصة وأن ديموناكس جاء إلى قوريني عقب انتصار الأرستقراطية المتمثلة في إخوة الملك وحلفائهم الليبيين، وبهذا يُرضي ديموناكس الليبيين من ناحية ويعترف بالأمر الواقع من ناحية أخرى. وقد أشار هيرودوتس إلى وجود بيري أويكي ليبيون =

الثالثة المهاجرين من الجزر الأخرى.

2 - ترك للملك السيطرة على بعض الأراضي المقدسة - لعلها الأراضي التي أشرف عليها الداميورجوي في ما بعد - كما منحه حتى شغل بعض المناصب الدينية.

3 - تركت للشعب[1] عموماً الامتيازات الأخرى التي كان يتمتع بها الملك من قبل واستقرت الأوضاع طيلة حكم باتوس الثالث. ثم تولى بعده ابنه أركسيلاوس الثالث حوالي سنة 527ق.م[2]، الذي لم يشأ الالتزام بقوانين ديموناكس[3] وتجدد الصراع بين الملكية وخصومها واضطر الملك إلى الهرب من البلاد إلى جزيرة ساموس، حيث كوّن جيشاً كبيراً استعاد به عرشه. وبعد أن هزم خصومه في قوريني، ترك لأمه حكم

= Περioikoi Λiβυες كان الإغريق قد استولوا على أراضيهم أنظر: Herodotus, IV, 150 كما أن قوانين بطلميوس أدخلت في عداد المواطنين أولئك الذين ولدوا من سيدات ليبيات وآباء إغريق أنظر: S.E.G., IX, 1.

(1) لعل المقصود هنا الطبقة الأرستقراطية المنتصرة في صراعها مع الملكية وهي الطبقة الاجتماعية الوحيدة، التي تريد الحصول على السلطة السياسية - أنظر: مصطفى عبد العليم - نفس المرجع، ص 134.

(2) I. Noshy, «Arcesilaus III», Libya in History, 1968, p. 77.

(3) الواقع أن الملكية الوراثية في قوريني كانت حكومة طغاة مقنّعة، ولذلك لم تتردد في استخدام العنف مع معارضيها، لأن طبقة أرستقراطية الأرض ترفض مطالب الطبقات الأخرى مهما كانت درجة ثرائها. وهذه بدورها تلجأ إلى شخص قوي متمكن بوسائل العنف أو المكر من الوصول إلى مركز السلطة في المدينة ويزود بسلطات استثنائية. ومن هنا فإن أركسيلاوس الثالث كان ملكاً مخلوعاً استرجع عرشه بوسائل الطغاة واستمر يحكم كما لو كان طاغية وإن كان ذلك في ثوب الملكية. ويتضح ذلك في قرار بعض خصومه وإرساله الأسرى الذين وقعوا بين يديه في سفينة إلى قبرص ومصادرة أراضيهم وحرق حصن أجلوماخوس بمن فيه من أعدائه، أنظر: Herodotus, IV, 164.

المدينة وذهب إلى برقة[1]، التي كانت تعتبر معقل أعداء أسرة باتوس، فقتله نفر من أهلها مع بعض المنفيين من قوريني وهو يتجول في السوق العامة وكذلك قتلوا صهره الأزير[2] Alezeir، الذي كان يحتمي به وذلك حوالي سنة 519ق.م[3]، ففرت أمه فريتيمي إلى أرياندس والي مصر الفارسي (وكان الفرس قد احتلوا مصر سنة 525ق.م) معتمدة على الخدمة الطيبة التي أسداها ابنها إلى قمبيز بن قورش بإعلان خضوعه للفرس حوالي هذه الفترة[4] ودفع الجزية لهم[5] فجهز أرياندس قوات برية وبحرية كبيرة، ويشير هيرودوتس[6] في هذا الصدد بأن الغرض الرئيسي لهذه الحملة ليس الانتقام لمقتل أركسيلاوس الثالث ولكنه كان لإخضاع القبائل الليبية التي كانت كثيرة العدد وغير خاضعة للفرس[7].

وتمكّن الفرس من فتح مدينة برقة التي أصبحت معقلاً لملاك الأرض بعد حصار دام تسعة أشهر، وتمكنت فريتيمي من الانتقام من قاتلي ابنها وتدمير المدينة، ورجع الجيش الفارسي إلى مصر بعد أن ذاق الأمرين لطول الطريق من ناحية، واعتداء القبائل الليبية على مؤخرته من ناحية أخرى[8]. أما

---

(1) في الفترة التي ضعفت فيها قوريني نتيجة الهزيمة التي ألحقها الليبيون بها ونتيجة للأحداث الداخلية التي تتابعت عليها، أخذت برقة مكان الزعامة، وأرادت أن تصل بالاستيطان الإغريقي غرباً إلى خليج سرت وهزمت الفينيقيين في معركة بحرية.

(2) Herodotus, IV, 164.

(3) I. Noshy, op. cit., p. 77.

(4) كان قمبيز يطمح إلى تكوين إمبراطورية أفريقية وأن يدخل فيها قرطاجة، وقد تجنبت قوريني غزوه لليبيا بإعلان أركسيلاوس الثالث خضوعه للفرس.

(5) وألحق الفرس كل من برقة وقوريني بمصر في ولاية واحدة مع إلزامهما بدفع 700 تالنت سنوياً - أنظر Herodotus, III, 89-90.

(6) Herodotus, IV, 167.

(7) أنظر الملاحظة رقم (8).

(8) Herodotus, IV, 203.

فريتيمي فقد عادت مع القوات الفارسية إلى مصر حيث ماتت ميتة شنيعة؛ فقد تقيح جسدها وأخذ ينثر دوداً جزاء ما اقترفته من قسوة على سكان برقة[1]. وبالرغم من كل هذه الأحداث الدامية فقد استمرت الأعمال الفنية في ازدهارها وتطورها ولا تكاد تتوقف كما لم تكن فترة اضمحلال اقتصادي بل شهدت المنطقة فترة ازدهار ورخاء تمثل في العديد من تماثيلها ومعابدها[2].

ثم تولى باتوس الرابع 514 - 470ق.م حكم قوريني التي ازدهرت في عهده وازداد ثراؤها. واليه يعزى إنشاء معبد زيوس، الذي يماثل اتساع معبد البارثنون في أثينا. واقتفى أثر سياسة والده في الحفاظ على علاقات ودية مع جارتيه قرطاجة والإمبراطورية الفارسية فلم يسهم في محاولة داريوس ابن ملك إسبرطة في إنشاء مستعمرة على نهر كينوبس[3] (وادي كعام)، الذي يشير هيرودوتس بأنه من أخصب مناطق العالم[4].

---

(1) هنا ينتهي حديث هيرودوتس عن تاريخ أسرة باتوس في قورينائية، مع أن زيارته لقوريني جاءت بعد تولي أركسيلاوس الرابع، ولعل التفسير الوحيد الذي يبدو لي معقولاً هو أن هيرودوتس كتب الجزء الخاص بالشؤون الليبية في الكتاب الرابع وفق هدف معين كان قد وضعه نصب عينيه، بالإضافة طبعاً لوصفه الحروف الفارسية. وهو أنه كان يريد أن يقدم لنا صورة عن مصير الباتوسيين، الذين لم يلتزموا بخط زعيمهم المؤسس أو بمواثيق البلاد خاصة، وأنه عندما زار قوريني لم تكن عواطف القورينائيين هادئة، فجاءت معلوماته كلها تبرر الثورة ضد الباتوسيين.

(2) يبدو أنه كان لباتوس الرابع سياسة تنبع من الظروف العامة التي يتبعها الحاكم الذي يأتي بعد فترة مضطربة. فمن دراسة المنشآت الأثرية والتماثيل والعملة نستنتج أنه بذل قصارى جهده في الاهتمام بالأحوال الداخلية، هذا فضلاً عن سياسة العلاقة الطيبة مع الجيران. ولذلك يقال إن قوريني، قد عاشت في عهد باتوس الرابع فترة رخاء ونهضة شبيهة بما عاشته أثينا بعد الحرب الميدية. ومن الغريب أن هيرودوتس لم يتحدث عن حكم هذا الملك بالرغم من أنه كان قد مات قبل أن يزور هيرودوتس قوريني سنة 443ق.م. وحول هذه النقطة أنظر الملاحظة السابقة.

(3) R. Goodchild, Cyrene and Apollonia, p. 10.

(4) Herodotus, IV, 198.

ثم خلفه أركسيلاوس الرابع سنة 470ق.م، الذي واجه اضطرابات سياسية في قوريني، لعلها كانت بسبب ضيق الرقعة الزراعية ولعدم مراعاة العدالة في توزيع الأراضي بينهم، وانتهى الأمر بنشوب الثورة في قوريني. وكان أركسيلاوس يعي جيداً خطورة وضع عرشه ويعلم أن تاريخ الأسرة مليء بما يجعله حذراً محتاطاً، وبذلك أعدّ لنفسه ملاذاً يلتجىء إليه إذا ما دعت الأمور إلى ذلك. ومع أن مدينة برقة كانت أقرب المدن إليه، إلاّ أنها كانت فألاً سيئاً بالنسبة للأسرة، بينما كانت يوسبيريدس[1] على بعد كاف نسبياً، الأمر الذي يوفر له الأمان المنشود. وبالفعل أرسل صهره Carrhotes في طلب مستوطنين جدد من أنحاء مختلفة من بلاد اليونان[2] ليعزز مركزه في المدينة. ولكن هذه الإجراءات قُدر لها الفشل، وقُتل آخر ملوك قوريني أثناء ذهابه إلى يوسبيريدس وقُطع رأسه وألقي به في البحر وكان ذلك حوالي عام 440ق.م[3].

---

(1) أشار هيرودوتس في كتابه الرابع إلى يوسبيريدس في الفقرات 171 و 198 و 204، ولكنه لم يشر إلى تاريخ تأسيسها أو من أسسها. ولكننا نستنتج منه أنها كانت موجودة قبل الحملة الفارسية على مدينة برقة، ويرجح الباحثان البريطانيان جونس وولسون أنها ترجع إلى النصف أو الربع الأول من القرن السادس ق.م؛ قارن: BSA, op. cit., pp. 155/156. وأنظر أيضاً: إبراهيم نصحي، إنشاء قوريني وشقيقاتها، من ص110 إلى 123.

(2) R. Goodchild, Benghazi The Story of the City, 1962, p. 1.

(3) A. Goodchild, Cyrene and Apollonia, p. 12.

ثالثاً ـ ليبيا في العصر الجمهوري

من عام 440 إلى عام 323ق.م

إذن انتهت أسرة باتوس وبذلك دخلت قورينائية مرحلة جديدة في تاريخها، هي فترة استقلال مدنها من سيطرة قوريني. ولما كانت مدينة قوريني هي المعقل الأول للملوك ومقرهم الدائم، فإنها كانت تحتل المكانة الأولى بين المدن الإغريقية في إقليم قورينائية. ولكن بعد زوال الملكية فإن هذه المدن تخلصت من تبعيتها لقوريني، وأصبحت في صراع مستمر من أجل السلطة داخل الإقليم[1]. ولا بد أن الأرستقراطية داخل هذه المدن هي التي استأثرت بالسلطة بعد مصرع أركسيلاوس الرابع. وارتبطت هذه المدن في ما بينها بأحلاف كانت في غالبيتها قصيرة الأمد. وكانت المدينتان الأكثر تنافساً على السلطة داخل الإقليم هما مدينتا قوريني وبرقة. ومن خلال دراستنا للعملة في هذه الفترة وجدنا أن هناك نقوداً مشتركة بين مدينتين أو أكثر، وهذا يدل على تحالف هذه المدن. فظهرت نقود تحمل أسماء قوريني - يوسبيريدس[2]، ونقود أخرى تحمل أسماء برقة - توخيرة برقة - قوريني[3]. ويشير روبنسون أن عملات التحالف تحمل إسم الحليف الأقوى وأنه في النقود المشتركة بين برقة وقوريني كانت برقة هي الحليف الأقوى[4]. وهكذا يتضح لنا أن مدينة قوريني

---

(1) A. Rowe, Cyrenaican Expedition of the University of Manchester, 1952, p. 2.

(2) E. Robinson, Catalogue of the Greek Coins of Cyrenaica Bologna, 1965, PL VII, 17, 19.

(3) E. Robinson, op. cit., XIV PL XXXVII, 1; PLXXXVII, 20/22.

(4) E. Robinson, op. cit., p. XIV.

تحالفت مع يوسبيريدس وضمت بطبيعة الحال ميناءها الذي عرف في ما بعد باسم أبولونيا[1]. ونجحت برقة في ضم مدينة توخيرة الساحلية التي أنشئت قبل ذلك في تاريخ غير معروف[2] على وجه ربما عام 620 ق. م. التحديد والتي أشار هيرودوتس[3] أنها تقع في إقليم برقة. ولعل النقود التي سكت بين برقة وقوريني كانت بمناسبة عقد الصلح بينهما[4].

وقد كان العداء مستحكماً داخل هذه المدن، بين الأرستقراطية التي سيطرت على السلطة وبين عامة الشعب، الذين ازداد عددهم على مر الزمن. وأدى ذلك إلى قيام ثورة في قوريني حوالي عام 401ق.م قُتل فيها خمسمائة من الأغنياء وفرّ الكثيرون منهم وانتهى الأمر بقيام نظام ديمقراطي حاول إصلاح الأوضاع[5].

وكانت القبائل الليبية تتحيّن الفرص للانقضاض على المدن الاغريقية. فقد حاصرت قبيلة الناسامونيس مدينة يوسبيريدس[6] سنة 414ق.م ولم ينقذها

---

(1) إن أقدم فخار عثر عليه في أبوللونيا يرجع تاريخه إلى القرن السابع ق.م ويرجع معظمه إلى القرن السادس. وعلى ذلك نرجح أن بعض الإغريق قاموا بتأسيس محلة لهم بعد إنشاء قوريني بوقت قصير وتطورت حتى أصبحت ميناء قوريني. أنظر:
Boardman B.S.A., No. 61, pp. 152, 153;
وإبراهيم نصحي - إنشاء قوريني وشقيقاتها من ص 107 إلى ص 110.

(2) Boardman, op. cit., pp. 153/155.

(3) Herodotus, IV, 171.

(4) E. Robinson, op. cit., p. XIV.

(5) عبد الرحمن بدوي، ليبيا في مؤلفات أرسطو، مجلة كلية الآداب الجامعة الليبية، العدد الثالث 1969؛ ومصطفى عبد العليم، نفس المرجع، ص ص 137، 138.

(6) R. Goodchild, Benghazi the Story of the City, p. 2; A. Jones, The Cities of the Eastern Roman Empire, Oxford, 1937, p. 355.

إلا أسطول إسبرطي كان في طريقه إلى سيراكوزا وعصفت به الرياح صدفة إلى المدينة[1].

ومع بداية القرن الرابع ق.م كانت مدينة برقة هي المتسلطة على الإقليم كله. ولكن مع منتصف هذا القرن ما لبثت قوريني أن استعادت مكانتها السابقة[2] وذلك بفضل ارتباطها الوثيق بالعالم اليوناني وكثرة عدد سكانها ونشاطها التجاري.

وفي هذه الأثناء تمكن الإسكندر من فتح مصر سنة 332ق.م وطرد الفرس منها وأنشأ مدينة الإسكندرية. وفي شتاء سنة 331ق.م قام برحلة إلى واحة سيوة لاستشارة وحي أمون[3]. وسار غرباً إلى براتينيوم (مرسى مطروح) التي كانت نقطة اتصال بين الطريق الساحلي والطريق الذي يتجه جنوباً إلى الصحراء. وهناك استقبل مبعوثين من قوريني[4] بهدايا ثمينة من الخيول والعربات تعبيراً عن فرحتهم بطرد الفرس من مصر واعترافاً بولائهم له وخشية محاولة الإسكندر القيام بغزوهم.

وفي سنة 323ق.م وبينما كان الإسكندر يستعد لملاقاة الفرس مات في بابل، وقُسمت الممالك الهلينستية بين قواده. وكانت مصر من نصيب بطليموس. أما قورينائية فقد جذبت الاضطرابات والصراعات الحزبية داخل مدنها الكثير من المغامرين الذين جاؤوا ينشدون ملكاً خاصاً لهم في هذه المدن. ومن هؤلاء المغامر الإسبرطي ثيبرون، الذي جاء وفي صحبته سبعة آلاف من المرتزقة وعدد من سكان قوريني المنفيين حيث استخدمهم كمرشدين

---

(1) R. Goodchild, op. cit., p. 2.

(2) A. Rowe, Cyrenaican Expedition, p. 2.

(3) إبراهيم نصحي، مصر في عصر البطالمة، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، 1966، ص21.

(4) لا نعرف إن كان الوفد الذي قابل الإسكندر مكوناً من أهل قوريني فحسب، أو إن كان مكوناً من ممثلين عن المدن الأخرى.

في هذه العملية[1]، أو ربما هم الذين استدعوه إلى الإقليم، واشتبك مع القورينائيين في معركة انتصر فيها وقتل منهم أعداداً كبيرة واستولى على أبوللونيا وأرغم السكان على قبول شروطه بدفع 500 تالنت[2] من الفضة ونصف عرباتهم الحربية. وبعد ذلك أنفذ الرسل إلى مدن قورينائية الأخرى يطلب منهم محالفته[3]. ولكن حدث أن اختلف مع قائده الكريتي مناسيكلس بسبب الطريقة غير العادلة التي اتبعها ثيبرون في توزيع الأسلاب، فهرب مناسيكلس إلى القورينائيين وأقنعهم بنقض الاتفاق مع ثيبرون وعدم دفع بقية المبلغ، لأنهم لم يكونوا قد دفعوا سوى ستين تالنتاً فقط. فأثار ذلك ثيبرون، الذي حاول الاستيلاء على المدينة، ولكنه فشل فرجع إلى الميناء الذي تمكن مناسيكلس من احتلاله وأعاد للتجار حاجياتهم[4] وفي هذا إشارة إلى ازدهار التجارة عن طريق هذا الميناء، ففقد ثيبرون رشده نتيجة لخسارته هذا الموقع الممتاز وحاول تعويضه باحتلال مدينة توخيرة[5]. وعندما لاحظت القبائل الليبية تسرب قواته إلى الداخل بحثاً عن الطعام أعدت له كميناً محكماً تمكنت فيه من قتل أعداد كبيرة من قواته وأسر أعداد أخرى وهربت باقي القوات إلى السفن حيث حاولت الإبحار من حيث أتت. ولكن العواصف والأنواء كانت لها بالمرصاد فدمرت بعض السفن ودفعت بالبعض الآخر إلى شواطىء قبرص ومصر[6].

---

(1) Diodorus, XVIII, 19.

(2) «تالنت» كانت وزنة تعادل 25.75 كغ في الوقت الحاضر.

(3) Idem, 19.

ويشير روبنسون أن مدينة يوسبريدس وبرقة انضمتا إلى ثيبرون ضد قوريني وبعد هزيمته استسلمتا لبطلميوس مع بقية مدن قورينائية، راجع،

E, Robinson, op, cit., p. CIXXXIX.

(4) Diodorus, XVIII, 20.

(5) Idem, 20.

(6) Diodorus, XVIII, 20.

وأما ثيبرون، فالبرغم من هذه الصعاب كلها، فإنه أنفذ الرسل إلى بلاد اليونان طالباً إمدادات من المرتزقة. وفي هذه الأثناء أقدم القورينائيون وحلفاؤهم[1] على مهاجمته. ولكن وصول الإمدادات إليه حال دون القضاء عليه، وتمكن من إحراز عدة انتصارات. وحاصر المدينة حصاراً شديداً أدى إلى نقص الغذاء داخلها فثار عامة الناس على الأغنياء - وفي هذا استمرار للصراع ضد الأرستقراطية - وطردوهم فلجأ بعضهم إلى ثيبرون والبعض الآخر إلى مصر يستنجدون بواليها بطليموس في إعادتهم إلى المدينة. فاستجاب لهذا النداء، الذي وجده فرصة لضم هذا الإقليم إلى إمبراطوريته التي كان ينوي تكوينها على أنقاض إمبراطورية الإسكندر. وأرسل معهم قوة برية وبحرية كبيرة بقيادة أوفيلاس. فتحالف مناسيكلس مع ثيبرون ولكن أوفيلاس تمكن من الانتصار عليهما، واستولى بعد ذلك على كل مدن قورينائية وضمها إلى مصر[2].

وهكذا فقدت مدن قورينائية استقلالها وحريتها وأصبحت تابعة لمملكة البطالمة في مصر بعد أن تمتعت بحريتها لفترة تزيد عن القرن.

وفي أواخر سنة 322ق.م جاء بطليموس إلى قورينائية وأقام أوفيلاس حاكماً عليها[3].

---

(1) عندما أدركت القبائل الليبية وقرطاجة خطورة ثيبرون ومطامعه تحالفت مع قوريني لصده، أنظر: Diodorus, XVIII, 21.

(2) Idem, 21.

(3) إبراهيم نصحي، نفس المرجع، ص 57.

رابعاً ـ العلاقة بين الليبيين والإغريق

عرف الليبيون الإغريق كمستوطنين[1] حوالي سنة 637 أي عند نزولهم في آزيريس، فكانت العلاقة بين الطرفين ودية جداً، ولم يحاول الليبيون مضايقتهم وقد كانوا يستطيعون ذلك. وعندما رأت قبيلة الجيلياماي[2] أن

---

(1) لا بد وأن الليبيين عرفوا الإغريق قبل ذلك وتعاملوا معهم تجارياً، وكنا قد أشرنا سابقاً إلى بعض المنتجات التي كانت تصل إلى كريت عن طريقهم. هذا بالإضافة إلى أن هيردوتس أشار في روايته عن تأسيس المستوطنة إلى شخص كريتي كان قد زار ليبيا وقاد الإغريق إلى بلاتيا. ونرجح أن هذا المكان كان المركز الرئيسي للاتصال مع الإغريق خاصة وأنه إلى اليوم يعتبر المكان المحبب لصائدي الإسفنج من اليونان، بالإضافة إلى قربه من كريت، التي لا يبعد عنها إلاّ بالمسافة التي تبعدها كريت عن أثينا.

(2) نلاحظ من إسم هذه القبيلة والقبائل الليبية الأخرى إنقطاع الصلة بينها وبين أسماء القبائل الليبية في العصر الفرعوني. وفي رأي بعض المؤرخين استناداً إلى بعض أوجه الشبه في الملابس وطريقة ترجيل الشعر، إن الاسبت عند الفراعنة هم الأسبوستاي والبكن هم البكاليس ومجموعة المشوش هم الماشلويس المقيمة غربي بحيرة تريتونيس مع شيء من التحفظ. وقد حل الأدورماخيداي محل التحنو في المنطقة الواقعة من حدود مصر الغربية حتى ميناء سيدي براني، وحل قبيلة الجيليجاماي محل التمحو، ويكون الأسبوستاي والبكاليس والأوسخيساي قد حلوا في الجبل الأخضر محل الليبو، أنظر: F. Chamoux, op. cit., p. 49. ومصطفى عبد العليم، نفس المرجع، من ص 54 ـ 55. ونحن نؤيد هذا الرأي إلاّ أننا نختلف معه من حيث أن الماشلويس كانوا يعيشون غربي بحيرة تريتونيس وقبيلة الأدورماخيداي تعيش في منطقة تمتد من الحدود المصرية حتى سيدي براني، وأن أغلب عاداتهم تماثل العادات المصرية. وهذا يتفق تماماً مع معلوماتنا عن المشوش. فقد عرفنا، بعد تخريب أراضي التحنو وإبادتهم، أن المشوش أو على الأقل فريق منهم قد استقر في أراضي التحنو، وانتشرت بينهم العادات المصرية، ولذلك نرجح أن مشوش النصوص المصرية هم أنفسهم أدورماخيداي هيرودوتس، اللهم إلاّ إذا كان فريق من المشوش قد نزح غرباً وفي وقت غير معروف واستقر غربي بحيرة تريتونيس (قارن الخارطتين الثانية والثالثة).

الإغريق نزلوا بمكان لهم فيه خير كثير، أقنعوهم بالرحيل عنه إلى مكان آخر، لعل الليبيين كانوا يعتبرونه أقل نفعاً لهم من ناحية وأكثر ملاءمة للإغريق من ناحية أخرى أو على الأقل لتبعد هذه القبيلة الإغريق من أرضها إلى مكان آخر. فاستجاب الإغريق لنداء هذه القبيلة التي قادتهم إلى المكان الذي أسست فيه مدينة قوريني. وقد رحبت قبيلة الأسبوستاي التي نزل الإغريق بأرضها بهؤلاء القادمين الجدد، وساعدوهم على تأسيس مستوطنتهم. وإلاّ كيف كان يتسنى لهذا العدد القليل، الذي أشار هيرودوتس إلى أنه أتى على سفينتين من ذوات الخمسين مجذافاً[1]، - ومعنى ذلك أنه لم يزد على مائتي شخص - كيف يتسنى له أن يؤسس مستوطنة دون مساعدة السكان المحليين، خاصة إذا نظرنا إلى المنشآت التي أقيمت في عهد باتوس المؤسس (639 - 599ق.م) وفي عهد ابنه أركسيلاوس الأول (599 - 583ق.م)!. ولما كان الإغريق قد وفدوا دون أن يصحبوا معهم نساء، فقد تزوجوا من بنات هذه القبيلة، ويؤيد ذلك ما ذكره هيرودوتس من أن نساء قوريني امتنعن عن أكل لحم البقر مثل النساء الليبيات وتقديس الربة إيزيس بالصيام لها وإقامة الحفلات من أجلها[2]. كما تمثل ذلك أيضاً في عبادة زيوس أمون وظهور صورة هذا المعبود على نقود قوريني[3]. وقد ذكر بنداروس في البوثية التاسعة أن أحد أبناء تيليسكراتيس القوريني قد تقدم إلى ملك الجيليجاماي طالباً يد ابنته، فكان عليه أن يشترك مع غيره من الإغريق والفرسان الليبيين في سباق يحظى الفائز فيه بالفتاة جائزة له. وكان الفائز هو أليكسيداموس الإغريقي وقد حيّاه الفرسان الليبيون تحية النصر والفوز[4].

---

(1) Herodotus, IV, 159.

(2) Idem, IV, 186.

(3) Boardman, Greeks Overseas, p. 173 ff; E. Robinson, op cit., PL III, 1, 2, 3.

(4) مصطفى عبد العليم، نفس المرجع، ص 56. وأنظر: O. Bates, op. cit., p. 232.

ولا شك في أن هذه الأدلة مقنعة على أن العلاقة بين الليبيين والإغريق كانت ودية. وقد ساعد على استمرارها بعض الوقت أن الإغريق كانوا يلتزمون حدودهم ويتعاونون مع السكان المحليين في النشاط الاقتصادي حيث كانت القبائل الليبية تسيطر على نبات السلفيوم، وكان الإغريق في حاجة ماسة إليه. كما كانوا من أمهر مروضي الخيول التي أكسبت قوريني شهرة عالمية. واستمرت العلاقة في هذا الاتجاه طيلة عهد باتوس الأول وابنه أركسيلاوس الأول، أي أكثر من نصف قرن. ولكن عندما عمد باتوس الثاني 583 ـ 570ق.م إلى تدعيم العناصر الإغريقية في المستعمرة وإغرائهم بتوزيع الأراضي عليهم، إنهارت روابط السلام التي كانت قائمة بين الطرفين، إذ لم تكن هذه الأراضي سوى أراضي السكان الأصليين من قبيلة الأسبوستاي والقبائل الأخرى المجاورة[1]. وبذلك كشف المستعمرون الإغريق القناع عن طبيعة استعمارهم الاستيطاني واستنزاف ثروات البلاد الزراعية. وتصدت القبائل الوطنية لهذا الزحف بقوة ولم يستسلموا لضياع أخصب أراضيهم التي استولى عليها الإغريق. فقد أشار هيرودوتس[2] إلى أن الليبيين عندما وجدوا أن القورينائيين يسلبون أراضيهم ويعاملونهم بقسوة استنجد ملكهم ادكران Adexran بملك مصر أبريس Aberis ووضعوا أنفسهم تحت إمرته. ووسط

---

(1) لعل باتوس الثاني لم يستدع المهاجرين من كل مكان في بلاد اليونان إلاّ وفق مخطط إغريقي عام، أو مخطط ثيري يدخل ضمن الاتجاه العام للاستعمار الإغريقي في القرنين السابع والسادس ق.م... وعلى ذلك يمكن القول بأن القورينائيين الأوائل كانوا يهدفون إلى الاحتفاظ بالأرض، والاستيلاء على أرض جديدة لمن سيأتي من المهاجرين إلى قوريني. (وهذا شبيه إلى حد كبير بالاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين في العصور الحديثة). ونستنتج ذلك من فقرة 153 في الكتاب الرابع لهيرودوتس فقد يكون المستوطنون الأوائل أخذوا واحداً من بين كل أخين على أن تمثل كل القبائل السبعة في ثيرا في هذه الحملة. وهذا دليل على أن ثيرا كانوا يحاولون الربط بين الأسر والقبائل في كل من قوريني وثيرا.

(2) Herodotus, IV, 159.

هذه الظروف كان هذا الإجراء طبيعياً بسبب العلاقات القديمة بين مصر وليبيا ولا سيما بعد استقرار الكثير من الليبيين في مصر وتأسيسهم للأسرتين الحاكمتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين. كما كان طبيعياً كذلك أن يستجيب فرعون مصر لهذا النداء ولا سيما وأن فراعنة العصر الصاوي كانوا يعتبرون أنفسهم ملوك ليبيا مع أنهم لم يكن لهم إلاّ إشراف طفيف على واحات الصحراء الليبية، بالإضافة إلى وجود أعداد كبيرة من الليبيين في الجيش المصري. ولعل أبريس اضطر تحت إلحاح الجنود المصريين أن يرسل هذه الحملة إلى قورينائية فقد كانوا حانقين لمحاباة الملك للجنود المرتزقة الإغريق في جيشه وأرادوا أن ينتقموا لذلك في شخصية إغريق قوريني[1]. وعلى كل حال فقد لبى أبريس النداء، إلاّ أنه لم يشأ تعريض نخبة جيشه من المرتزقة الإغريق لمخاطر هذه الحملة البعيدة، لا سيما أنها كانت ضد إغريق مثلهم، لذلك أعدّ جيشاً كبيراً من المصريين وسيره ضد قوريني. وعند مكان يُدعى نبع ـ ثستس ـ لعله عين مارة[2] بالقرب من إيراسا ـ دارت معركة كبيرة بين الطرفين انتصر فيها القورينائيون لأن المصريين كما أشار هيرودوتس[3] لم تكن لهم خبرة في مقاتلة الإغريق. وترتب على ذلك عزل أبريس وتولية أمازيس مكانه. كما ترتب على هزيمة الليبيين وحلفائهم أن ثبت الإغريق أقدامهم في قورينائية واستولوا على أخصب أراضيها.

ولكن العداء بين الطرفين تجدد في عهد أركسيلاوس الثاني (570 ـ 550ق.م)، عندما نشب صراع عنيف بينه وبين إخوته وأعوانه من الأرستقراطية حيث خرجوا جميعاً من قوريني إلى إقليم قبيلة الأوسخيساي[4]

---

(1) CAH III 302.

(2) إبراهيم نصحي، إنشاء قوريني وشقيقاتها، ص 55.

(3) Herodotus, IV, 159.

(4) Herodotus, IV, 171.

وأسسوا بمساعدتهم مدينة برقة (المرج)، إذ كيف يتسنى لهذا العدد الخارج على السلطة في قوريني أن يؤسس مدينة وسط إقليم خصب لولا مساعدة من أصحابه، جماعات هذه القبيلة الليبية؟!. وبالفعل لم يكن من الصعب استمالتها، خاصة وأن القبائل **الليبية ضاقت ذرعاً باحتكار ملوك قوريني الاتجار لنبات السلفيوم، الذي كان الليبيون يشقون كثيراً في جمعه**. وبالاضافة إلى أنهم لم ينسوا بعد ثأر إيراسا فساعدوا المتمردين على إنشاء المدينة. وفي نفس الوقت قاموا بثورة ضد قوريني وكان ذلك كما يشير هيرودوتس[1] بتحريض من أخوة أركسيلاوس الثاني وأعوانهم، الذي قاد جيشاً كبيراً توغل به داخل إقليم الليبيين الذين استدرجوه صوب الغرب حتى مكان يدعى ليوكن Leukon حيث صمموا على مهاجمته واشتبكوا معه في معركة ضارية استطاعوا فيها إنزال الهزيمة بالإغريق وقتلوا منهم حوالي سبعة آلاف من المشاة ثقيلي العدة Hoplies[2]. وبذلك ثأر الليبيون لهزيمة إيراسا وخرَّ أركسيلاوس مريضاً ثم قتل على يد شقيقه لارخوس، الذي أعلن نفسه وصياً على ابن أخيه باتوس الثالث (550 ـ 527ق.م) في ما بعد[3]. ولكن أركسوا أرملة أركسيلاوس إحتالت على لارخوس وقتلته[4]، وكان من نتائج هذه المعركة **أن ضعفت قوريني وبرزت برقة لتأخذ مركز القوة بين مدن قورينائية. كما أن ديموناكس لعله فطن إلى أهمية العنصر الليبي وتأثيره في الوضع في قورينائية** فحاول ضم طبقة البيري أيكوي مع القبيلة الأولى حتى يرضى الليبيون خاصة وأنهم متحالفون مع الفئة المتمردة على السلطة الملكية، وبذلك هدأت الأمور. ولم تشر النصوص إلى وقوع أية مصادمات طيلة عهد باتوس الثالث الذي التزم

---

(1) Idem, IV, 160.

(2) Idem, IV, 160.

(3) A. R. Burn, The Lyric Age of Greece, London, 1960, p. 139.

(4) Herodotus, IV, 160.

بإصلاحات ديموناكس.

ونتيجة لعدم التزام أركسيلاوس الثالث (527 ـ 519ق.م) بإصلاحات ديموناكس، لأنه أراد استرداد الإمتيازات، التي كان يتمتع بها أجداده، غُلب على أمره وفر إلى ساموس. وكانت برقة بطبيعة الحال هي مركز خصومه. وعند رجوعه وبعد أن قبض على زمام الأمور فيها، ذهب إلى برقة للتنكيل بخصومه، ولكنه لقي مصرعه، فاستنجدت أمه فريتيمي بالفرس الذين وجدوا في هذه الدعوة فرصة لإخضاع القبائل الليبية، التي رفضت الخضوع للفرس. ووصلت الحملة الفارسية إلى مدينة يوسبيريدس ولكن يبدو أنها لم تستطع إخضاع هذه القبائل، التي هاجمت مؤخرة الجيش الفارسي في أثناء رجوعه إلى مصر، وتمكنت من الاستيلاء على بعض أسلحته وقتلت منه أعداداً أخرى. واستمر الحال على هذا المنوال حتى دخول الفرس للأراضي المصرية[1]. ولعل ذلك يدل على اتفاق هذه القبائل في عدم الخضوع للإغريق أو للفرس. **ولعل هذا الصراع ضد الإغريق أدى بالليبيين إلى التقرب من قرطاجة، فقد كانت هذه القبائل تتعاون معها في التجارة كما أشرنا إلى ذلك سابقاً. ولا يوجد ما يمنع من استمرار هذا التعاون خاصة بالقرب من شواطىء سرت التي لم يسيطر عليها الإغريق.**

وقد أشار سترابون[2] بوجود تجارة سرية بين القرطاجيين وتجار من منطقة قورينائية لعلهم **ليبيون حيث كانوا يهربون السلفيوم ويستبدلونه بالخمر كمظهر من مظاهر العداء للإغريق.**

كما أن الليبيين كانوا قد **تحالفوا[3] مع قرطاجة ضد دوريوس ابن ملك**

---

(1) Herodotus, IV, 203.

(2) Strabo, XVII, 20.

(3) G. Goodchild, Cyrene and Apollonia, p. 10.

إسبرطة - الذي حاول إنشاء مستعمرة على نهر كينوبس عام 514ق.م - للقضاء على هذه المستعمرة خلال العام الثالث من إنشائها. وذلك لعدم رغبة قرطاجة في أي تسلل إغريقي إلى مناطق نفوذها ولمظاهر العداء بين الليبيين والإغريق.

وإلى هذه الفترة يُعزى إنشاء الحدود بين منطقة نفوذ قرطاجة وقوريني أو على الأقل التفكير الجدي في إنشاء هذه الحدود والذي تم بواسطة رياضيين لا سياسيين[1]. وقد استقرت هذه الحدود إبان العصر الجمهوري.

وفي عهد الملك الفارسي أرتاخشاشا الأول (464 - 424ق.م)، قام إيناروس وهو من أسرة ليبية بثورة[2] على الفرس عام 454ق.م في غرب الدلتا حيث كان يحكم تلك المنطقة. وقام بتحالف مع بعض الأمراء المحليين وطرد جباة الضرائب الفرس وجند فرقاً من المرتزقة. ولم تلبث تلك الثورة أن عمت مصر بأكملها واستطاع أن يهزم الفرس في معركة بحرية ثم حاصر ممفيس، ولكنه لم يتمكن من فتحها. وأخيراً وقع في الأسر وأحضر إلى سوسا عاصمة الفرس حيث أعدم.

وبعد نهاية مملكة باتوس حوالي عام 440ق.م وتنازع المدن الإغريقية حول السلطة، إنتهزت القبائل الليبية الفرصة وأخذت تثير المتاعب لهذه المدن. فقد قامت قبيلة الناسامونيس بحصار مدينة يوسبيريدس حوالي عام 414ق.م، ولم ينقذها إلاّ القائد الإسبرطي جوليبوس، الذي كان في طريقه إلى سيراكوزا حيث عصفت به الرياح صدفة إلى المدينة وتمكن من فك حصارها[3].

ولعل أحد الأسباب التي دعت الإغريق إلى نقل مدينة يوسبيريدس من

---

(1) Sallust, Belum Lugurthinum, 79.

(2) O. Bates, op. cit., p. 231.

(3) G. Goodchild, Benghazi the story of the city, p. 2.

مكانها السابق إلى مكان آخر بالقرب من البحر أكثر مناعة من مكانها السباق هو كثرة مضايقة هذه القبائل لها. ولهذا نقلت المدينة على الشريط الساحلي بين البحر والمستنقع الكبير لحمايتها من هذه القبائل.

وعندما جاء المغامر الإسبرطي ثيبرون إلى قورينائية ينشد إقامة مملكة خاصة له في ليبيا، لم تتدخل القبائل الليبية في صراعه مع قوريني. ولكنه بعد أن تمكن من احتلال مدينة توخيرة وأخذت بعض قواته تتسرب إلى الداخل بحثاً عن المؤن أدركت هذه القبائل خطورة هذا التسرب الذي كان يهدف إلى سلب خيرات البلاد، وأعدت لهذه القوات كميناً محكماً[1] أدى إلى قتل عدد كبير من هذه القوات وأسر أعداد أخرى. وهربت باقي القوات إلى السفن حيث حاولت الإبحار من حيث أتت. وتحالفت[2] هذه القبائل مع سكان قوريني ومع قرطاجة لصد هذا الخطر الذي أخذ يهدد الجميع، حتى انتهى الأمر أخيراً بالقضاء على ثيبرون ودخول البلاد إلى الحظيرة البطلمية.

ويفهم من نقش وجد في الإقليم ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث ق.م أن الإغريق كانوا يحاربون الناسامونيس والماكاي وأن خمسة من قادتهم قدموا للإله أبوللون عشر ما غنموه من هاتين القبيلتين[3].

وفي سنة 274ق.م أعلن ماجاس نائب الملك البطلمي على قورينائية استقلاله بالأقاليم. وحالف أنطيوخوس الأول وحاول غزو مصر. ولكن أرسينوي زوجة وأخت بطليموس الثاني استطاعت أن تؤلب قبائل المارماريداي على مؤخرة جيش ماجاس فاضطر إلى العودة سريعاً إلى قورينائية دون أن يحقق هدفه في غزو مصر وحتى لا يفقد عرشه في قوريني.

---

(1) Diodorus Seculus, VIII, 20.

(2) Idem, XVIII, 21.

(3) S.E.G. IX, 77.

والحقيقة هي أن هذه القبائل استمرت تناصب البطالمة العداء لأنهم، في ما يبدو، استمروا يحتكرون السلفيوم وينافسونهم في إقامة علاقات تجارية سواء مع قرطاجة أو مع المدن اليونانية، وربما أيضاً في داخل أفريقيا، لأن البطالمة كانت دولتهم قائمة على استغلال كل ما يمكن استغلاله سواء في مجال الزراعة أو التجارة أو الصناعة.

وفي فترة الصراع بين بطلميوس السادس وبطلميوس الصغير، حاول هذا الأخير إقناع روما بضم قبرص إليه. وعسكر على مقربة من الحدود المصرية متحيناً الفرصة للاستيلاء على قبرص. وعين شخصاً ليبياً يُدعى سومبيتيسس نائباً عنه في حكم قورينائية، فانتهز هذا الأخير فرصة غياب بطلميوس الصغير وقام بثورة[1] ضده حالفته فيها مدينة قوريني والمدن الإغريقية الأخرى بالإضافة إلى القبائل الليبية الكثيرة العدد مما اضطر بطلميوس إلى العودة مسرعاً عن طريق البحر لإستعادة الإقليم لأنه بدلاً من أن يضم قبرص كاد أن يفقد قورينائية التي فتحها بعد جهد كبير[2].

ووصية بطلميوس الصغير في عام 155ق.م والتي أوصى فيها بإقليم قورينائية لروما إذا لم يعقبه نسل ذكر ويستحلف الرومان بأن يتدخلوا في الاعتداء على الريف على نحو ما يجب أن يفعلوه في حالة الاعتداء على المدن. ولهذه الوصية دلالتان كبيرتان إحداهما تبين مدى أهمية الريف والأخرى تبين استمرار العداء بين الليبيين والإغريق. وهكذا استمر العداء بين الطرفين الذي كان سببه الأساسي استيلاء الإغريق على أراضي الليبيين واحتكارهم لنبات السلفيوم وطردهم لهذه القبائل إلى المناطق شبه الصحراوية حيث استمر في العهد الروماني والبيزنطي، وانتهى أخيراً بدخول البلاد إلى الإسلام في القرن السابع الميلادي.

---

(1) مصطفى عبد العليم، نفس المرجع، ص 76.

(2) إبراهيم نصحي، مصر في عصر البطالمة، الجزء الأول، ص 199 وما يليها.

خامساً ـ النشاط الاقتصادي في العصر اليُوناني

بعد أن استقر المستوطنون الإغريق في قوريني والمدن الأخرى والريف القورينائي اتضح لنا نشاطهم في أكثر من مجال من مجالات النشاط الاقتصادي وسنحاول في هذا الفصل توضيح ذلك.

أولاً ـ الزراعة

ولمعرفة أنواع المحاصيل الزراعية التي ينتجها الإقليم نرجع إلى الكتاب القدامى والنقوش، التي عثر عليها في الإقليم وإلى العملة التي صُورت عليها بعض المنتجات الزراعية كالقمح والسلفيوم. ويشير سكولاكس[1] الذي يصف حديقة الهسبريدس بأنها مليئة بالأشجار المتشابكة الأغصان وهي أشجار التفاح[2] *Μηλεαι* والرمان *Poαι* والكمثرى *Απιος* والفراولة *Μιναικυλα* والتوت *Συκαμινα* والعنب *Αμπελοι*. كما يشير إلى أشجار اللوز من مختلف الأنواع *Καρυαι αμυγδαλοi* والزيتون *Ελαια* واللوتس *Λωτος*. ويقول هيرودوتس[3] إن قوريني تمتاز بأن لها **ثلاثة مواسم للحصاد** وتعليل ذلك تدرج ارتفاع المنطقة. كما يشير أن منطقة يوسبيريدس تنتج في السنوات الخصبة محصولاً من القمح يماثل بذره مائة مرة، وأن المنطقة الممتدة من جزيرة بلاتيا وحتى خليج سرت تنتج السلفيوم[4] *Σιλφιον*. أما

---

(1) Scylax, 108.

(2) وجد غصن التفاح منقوشاً على قطع العملة وهو رمز عملة بوسبيردس ـ أنظر:
E. Robinson op. cit., p. CIXXXIX.

(3) Herodotus, IV, 198-199.

(4) أهم منتجات الإقليم مرسومة على أغلب قطع العملة وسنتحدث عنه بإسهاب في نهاية هذا الفصل.

ثيوفراستوس[1] فيذكر اللوتس والسرو *Κυπαρίσσος* والزعفران *Κρokos* والنخيل *Φοινιξ* والزيتون والسلفيوم. ويشيد بالرائحة الذكية للعطور التي تستخرج من أزهارها[2] *Ροδωνις*، التي تنبت في الإقليم. ويقول بليني[3] إن منطقة الزراعة مقسمة إلى ثلاثة أقسام: يمتد القسم الأول على طول شواطىء البحر ويبلغ اتساعه حوالي 16 ميلاً، ويمتد بمحاذاته قسم آخر مساوٍ له في الاتساع، والقسم الثالث يبلغ طوله حوالي 25 ميلاً. وقد اشتهر القسم الأول بخصوبة تربته وبوجود الأشجار. واشتهر القسم الثاني بزراعة الغلال. وأما القسم الأخير فيشتهر بالنباتات الصحراوية. ويتضح مما قاله بليني أن إمكانيات الزراعة تختلف بين منطقة وأخرى في الإقليم. فالمناطق القريبة من الساحل تنتج الأشجار وتليها منطقة إنتاج الحبوب ثم منطقة المراعي.

وأما ديودورس الصقلي[4] فيشير إلى إنتاج الحبوب في المناطق القريبة من قوريني وإلى أشجار الزيتون والكروم والغابات الطبيعية. ويؤكد سترابون[5] على خصوبة الإقليم وإنتاجه للفواكه والسلفيوم والنخيل.

هذا ما دوّنه الكتّاب القدامى عن أهمية الإقليم من الناحية الزراعية. وإذا اتجهنا إلى النقوش لنعرف منها منتجات الإقليم الزراعية، نجد أكثر من ثلاثين نقشاً[6]، هي عبارة عن قوائم كاملة للمنتجات الزراعية دوّنها مجموعة من الموظفين يدعون الداميورجوي *Οι δαμιοργοι* وترجع هذه النقوش إلى القرن

---

(1) Theophrastus, IV, III-VI, III.

(2) Theophrastus, VI, VI.

(3) Plinius Secondus, 5, 33.

(4) Diodorus, III, 50.

(5) Strabo, XVII, 21, 22.

(6) G. Oliverio, Documenti Antichi Dell'frica Italiana, vol 1, Fascicolo II, Roma, 1933 10-43 Supplementum Epigraphicum Graecum, vol. IX, 11-44.

الخامس والرابع والثالث والثاني ق.م. وقبل البحث في هذه القوائم هناك العديد من الأسئلة التي تحتاج إلى إجابة حتى نلقي الضوء حول طبيعة هذه القوائم. وهذه الأسئلة هي: من هم هؤلاء الداميورجوي؟ وما هي طبيعة وظيفتهم؟ ومتى أنشئت هذه الوظيفة؟ وما هي دلالة الأسعار؟ وعلى أي المنشآت أو المؤسسات كانت تنفق؟. وقد حاولت، قدر جهدي من المصادر المتوافرة لدي، الإجابة عن هذه الأسئلة، وبالتالي إلقاء الضوء على هذه المجموعة التي كان لها شأن كبير في قوريني.

تعني كلمة الداميورجوي الشخص الذي يعمل من أجل الشعب[1]، ويشير أوليفيريو[2] أن لهذا الإسم معنيين؛ الأول مهني ويعني الشخص الذي يقدم للشعب متطلباته، والمعنى الثاني إداري يتعلق بالإدارة العامة. ويرى شامو[3] أن هذه الوظيفة قد أنشئت بعد سقوط الملكية في قوريني، حيث إن إصلاحات ديموناكس كانت قد خصصت الملك ببعض الوظائف الدينية كما خصصت له بعض الأراضي ليجني منها الإيرادات التي تسمح له بالصرف اللازم على هذه الشعائر الدينية. وبعد سقوط الملكية آلت هذه الأراضي إلى المسؤولين من رجال الحكومة، المكلفين بتحصيل الإيرادات اللازمة لتغطية مصروفات الكهنوت المقدس.

ونحن نؤيد رأي شامو في أن هذه الوظيفة في إقليم قورينائية تعني مدير الأموال المقدسة أو المحاسب الذي يقوم بإدارة إيرادات الأراضي المقدسة. وأن هذا الموظف يستمد هذا اللقب وهذه السلطة من الشعب. إذ إن هذا النظام قد أنشيء أصلاً بعد سقوط الملكية حوالي 440ق.م. ومما يؤيد هذا

---

(1) Liddell and Scott, A Greek-English Lexicon; G. Chiantore, «Demiurgi in Creta», Rivista Fiologia, Anno IX, 1930, p. 54.

(2) G. Oliverio, op. cit., p. 101.

(3) F. Chamoux, op. cit., pp. 217, 218.

الرأي أيضاً أن النقوش الخاصة بالداميورجوي يرجع أقدمها إلى القرن الخامس ق.م لعلها بعد سنة 440ق.م، وأن هذا النظام قد اتخذ أيضاً في آرجوس بعد سقوط الملكية فيها[1].

ونرى أن هذه القوائم هي عبارة عن المنتجات الزراعية التي تنتجها الأراضي المقدسة والأسعار التي بيعت بها وأنها تصرف على الشعائر الدينية. ولحسن الحظ هناك نقش من هذه النقوش يرجع إلى القرن الرابع نستطيع أن نتبين منه المصاريف المتعلقة بالأعمال المقدسة سنتعرض إليه لاحقاً. ومن الجدير بالذكر أن مجمع الداميورجوي في قوريني يتكون من ثلاثة أشخاص[2] يتجدد تعيينهم سنوياً[3]، ويضاف إليهم كاهن أبوللون[4]. وقد عثر على هذه النقوش سنة 1915م في حفريات معبد ديمترس في السوق العامة لمدينة قوريني[5]. وكانت منتجات الأراضي الزراعية التي يشرف عليها الداميورجوي تباع لكل الشعب في السوق العامة[6].

ولما كانت نقوش القرن الخامس غير واضحة تماماً، فإننا نقتصر في هذه الفترة على دراسة نقوش القرن الرابع ق.م، ونترك نقوش القرن الثالث والثاني ق.م لندرسها في الفصل الخاص بالاقتصاد في العصر الهلينستي. ومن نقوش القرن الرابع ق.م نستطيع أن نلقي الضوء على أهم المنتجات التي كان يشرف على بيعها الداميورجوي ومتوسط الدخل السنوي الذي يتسلمونه نقداً[7] عن كل محصول.

---

(1) G. Oliverio, D. A. I., p. 101.

(2) يختلف عددهم من مكان إلى آخر فمثلاً في كريت واحد فقط - أنظر: G. Chiantore, op. cit., p. 54 ff; G. Oliverio, op. cit., p. 101.

(3) F. Chamoux, op. cit., p. 117.

(4) G. Oliverio, op. cit., 10, 43; S.E.G. IX, 11 - 44.

(5) G. Oliverio, op. cit., p. 85.

(6) S. Ferri, «Tre Anne de Lavoro di Cirene», Aegyptus, IV, 1923, p. 180.

(7) G. Oliverio, op. cit., p. 115.

وقبل البحث في هذه النقوش لا بد من الإشارة إلى وحدات الكيل والوزن التي تقدر بها المنتجات الزراعية[1] وهي: الميدمني *O Μεδίμνος*، الذي يُستخدم في كيل القمح والشعير والفول والحمص والكمون. والتالينت *Ταλαντον* يستخدم في وزن التين والزبيب والثوم والبصل. والمتريت *iΜετρητης*، الذي يستخدم في كيل السوائل كالزيت والنبيذ. وكان الخرطان يقدر بعربة صغيرة *Αμαξα* والتبن يقدر بشبكة من الحبال *Pitos*[2]، ومن نقوش القرن الرابع[3] نتبين المنتجات الآتية: الشعير *Κριθαι* والقمح *Σπυροι* والحمّص *Οσπρια* والكمون *Κυμινον* والخرطان المزروع *Καλφη ημρα*، والحشائش البرية *Καλφη αγρια*، وشباك التبن *Αχυρων ρίπος*، ودقيق القمح *Σπυραμίνα* والعنب مبكّر النضج *Σταφυλα* والعنب الأسود *Σταφυλα Μελάινα*، والتين *Συκα* والزبيب *Σταφis*، والزيتون *Ελαιαι*، والزيت *Ελαιον*. وأمام كل سلعة يوجد السعر الذي بيعت به بالدراخما، ثم مجموع الدخل السنوي *ΤοΠαν Εσιων των ενιαυτως*، ويمثل المبالغ التي تم الحصول عليها من البيع الشامل خلال السنة لهذه المنتجات. كما وردت في هذه النقوش أيضاً المبالغ المنفقة خلال السنة. ومن أحد النقوش[4] نعرف أن النفقات *Εξιον* تمثل المصاريف المتعلقة بالأعمال المقدسة كالتضحيات والتغذية من أجل طقوس النذور المقدسة، ومصاريف طبية من أجل الجوقات

---

(1) G. Oliverio, D. A. I., P. 105 ff.

(2) الميدمني = 43.488 لتراً
التالنت = 25.75 كيلو غراماً
متريت الزيت = 32.6 لتراً
متريت النبيذ = 21.75 ليتراً. وأنظر: G. Oliverio, D. A. I., p. 141.

(3) S.E.G. IX, 11, 12, 13, 14, 15, 18, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 27, 28, 29, 30, G. Oliverio, D.A.I. 10, 11, 12, 13, 14, 17, 18, 19, 20, 21, 22, 23, ff.

(4) S.E.G. IX, 13; Oliverio, D.A.I. 12.

وملابس وأغذية للمنشدين والمنادين وكذلك لعازفي الناي والكاتب والصرّاف والطاهي وإلى المشرفين على مصابيح الطقوس وإلى طبيب النساء وإلى المشرفين أو المفتشين، ثم يرد الباقي λοιπον ويمثل صافي الدخل السنوي للمنتجات الزراعية للأراضي المقدسة بعد طرح المصروف السنوي سواء على هذه الأراضي أو على الاحتفالات الدينية كما أشرنا. وأخيراً وردت عبارة حصيلة ما هو بطرف الداميورجوي παραρεγμα δαμισργοις وهي تمثل في أغلب النقوش 300 دراخما، وهي منحة تُعطى لهم نظير اشتراكهم في هذا العمل.

وهكذا وبعد سرد أقوال الكتّاب القدامى وإشارات النقوش عن النشاط الزراعي في الإقليم، نستطيع أن نذكر أهم المنتجات الزراعية وأكثرها تأثيراً في اقتصاد هذا الإقليم، والتي من أهمها الشعير والقمح[1]، الذي ورد ذكره عند الكتّاب القدامى. ونجده يتصدر قائمة المنتجات الزراعية في حسابات الداميورجوي. وقد وُصف إقليم قورينائية بأنه أحد مخازن العالم القديم لتصدير القمح[2]. ومما يؤيد ذلك، النقش[3] الذي عثر عليه في الإقليم ويرجعه الكتّاب[4]، إلى النصف الثاني من القرن الرابع ق.م، وبالتحديد إلى الفترة من 330 ق.م إلى 326 ق.م وهي الفترة التي حدثت فيها المجاعة في بلاد الإغريق حيث يشير هذا النقش إلى أن مدينة قوريني قدمت[5] إلى أكثر من

---

(1) CAH, III, p. 633.

(2) C.H. Coster, The Economic Position of Cyrenaica in classical Ages, in Studies in Roman Economic and social history in honor of Allan Chester Johnson, 1951, p. 16.

(3) M.N. Tod, A selection of Greek Historical inscription vol II, 196, Oxford, 1962, p. 273; S.E.G. IX, 2.

(4) C.H. Coster, op. cit., p. 16; M.N. Tod, op. Cit., p. 275.

(5) يشير تود إلى أن هذه الكمية لم تكن هبة وإنما بيعت بسعر منخفض.

40 مدينة إغريقية حوالي 805 آلاف ميدمني من القمح منها 100 ألف ميدمني لأثينا وحدها.

ولا شك في أن هذا النقش يدل على وفرة القمح بشكل كبير في قوريني، مع الأخذ في الاعتبار أن سكان المنطقة لا بد لهم أن يدخروا شيئاً منه لقوتهم الخاص، وكذلك احتمال بيع كميات أخرى منه في أسواق أخرى. ويشير بعض الكتّاب[1]، إلى أن السفن التي كانت تحمل القمح من ليبيا إلى شبه جزيرة البلوبونيز كانت تصل إلى جزيرة كوثيرا. ولذلك فإن نكياس القائد الأثيني في حرب البلوبونيز هاجم هذه الجزيرة.

وقد اشتهر إقليم قورينائية كذلك بإنتاج الفواكه والخضروات. وقد ذكرها الكتّاب القدامى، وأشير إليها في حسابات الداميورجوي، ومن أهمها الكروم حيث ينتج الإقليم عدة أنواع من العنب منها: العنب مبكّر النضج والعنب الأسود الذي يستعمل نبيذاً والعنب الجاف (الزبيب) والتين. كما اشتهر الإقليم أيضاً بزراعة الزيتون. وأشاد ثيوفراستوس[2] بجودته ووفرة زيته ونسمع الكثير عن تصديره[3]. وينتج الإقليم أيضاً اللوتس[4] والزعفران *Κροκον* ذا الرائحة العطرة وكان يصدره[5] أيضاً. وأشاد كل من ثيوفراستوس[6] وأثينايوس[7] بزهور قوريني من حيث تنوعها وجودة عطورها الزكية. وتظهر هذه الزهور في

---

(1) J. Hasebroek, Trade and Polities in Ancient Greece, 1965, p. 140.

(2) Theophrastus, IV, III.

(3) G. Grote, A history of Greece vol. IV, 19-6. H. Coster, op. cit., p. 19.

(4) تتميز أشجارها بقامتها الجميلة تشبه في طولها أشجار الكمثرى وأوراقها مقسمة وأخشابها سوداء. وأشجار اللوتس كثيرة جداً وتنتج فاكهة لذيذة يصنع منها الخمر وقد اعتمد عليها جيش أوفيلاس الكثير العدد في أثناء محاولته السير نحو قرطاجة. Theophrastus, IV, III; C. H. Coster, op. cit., p. 17.

(5) Theophrastus, VI, VI.

(6) Athenaeus, XV, 682-288.

(7)

فصل الربيع وتزدان بها المعابد، ولا شك في أنها أيضاً كانت تصدّر[1]. واشتهر الإقليم بالأخشاب التي كانت من أهم العالم القديم وكانت متوافرة بكميات كبيرة، ومن أهمها السرو والأرز واللوتس والصنوبر والطلح والثويا[2].

وقد أشاد ثيوفراستوس بأخشاب الإقليم ووصفها بأنها من النوع الجيد[3]. ويشير شامو[4] أنه ظهرت في قوريني في القرن الرابع ق.م سقوف بعض المنازل من خشب الثويا يرجع تاريخ إقامتها إلى السنين الأولى من الاستيطان الإغريقي. وإلى يومنا هذا لا زالت مناطق الجبل الأخضر مشجرة بالصنوبر والطلح والأرز وغيرها. هذا بالإضافة إلى النخيل الذي يكثر في الإقليم وذكره أغلب المؤرخين القدامى.

ولا شك في أن كثيراً من نباتات البحر المتوسط كانت تنمو في الإقليم، بالرغم من عدم وجود إشارات خاصة وصلت إلينا عن هذه النباتات. وقد كان بنداروس على حق عندما أنشد قائلاً عن قوريني إنها جنة زيوس المختارة[5].

ثانياً ـ الرعي

وإذا انتقلنا إلى الثروة الحيوانية وجدنا أن الإقليم كان غنياً بها[6]. لقد ذكرها أغلب الكتّاب القدامى وصورتها النقود[7]. وليس هذا بغريب ما دامت

---

(1) C. H. Coster, op. cit., p. 17.

(2) أنظر الفصل الخاص بالجغرافية الاقتصادية.

(3) Theophrastus, IV, III.

(4) F. Chamoux, op. cit., p. 233.

(5) Pythian Odes, IX.

(6) C. A. H., III, 633.

(7) ظهرت صورة الخيول على عملة قوريني، أنظر:

= E. Robinson, op. cit., PL XIV, 14-15.

الظروف مؤاتية لإقليم فسيح غني بمراعيه الواسعة. وقد ورد في نقوش الداميورجوي ذكر الخرطان والحشائش البرية والتبن، حيث أنها تباع في الأسواق العامة. ولعل في هذا دلالة كافية على أن تربية الحيوانات كانت منتشرة في الاقليم، حيث تجد العلف الكافي لإطعامها. وقد مر بنا في فصل سابق ذكر بعض هذه الحيوانات التي كانت تربّى في الإقليم والتي أشارت إليها النصوص المصرية ومنها الأغنام التي كانت تربيتها سابقة للاستيطان الإغريقي واستمرت بعد إنشاء المستعمرة. وكانت لحومها معروفة بطعمها المتميّز اللذيذ إذ كانت ترعى على نبات السلفيوم. وكانت أصوافها ذات شهرة عالمية وتصدر إلى الخارج[1]. وكذلك الأبقار التي كانت تقدم كقرابين للآلهة وتصدّر بعد ذلك جلودها إلى أثينا[2].

أما أشهر الحيوانات التي لعبت دوراً كبيراً في اقتصاد الإقليم وتمتعت بشهرة كبيرة في العصور القديمة كانت بلا جدال الخيول التي اكتسبت الشهرة لتفوقها في سباق العربات، الذي كان يعشقه الأقدمون. وقد خلدت هذه السباقات إقليم قورينائية كمصدر لهذه الخيول. وقد صورت العربات التي تجر الواحدة منها أربعة خيول على عملة قوريني[3]، وكانت هذه الخيول هي سبب انتصارات أركسيلاوس الرابع في الألعاب البيثية في دلفي عام 462ق.م والألعاب الأولمبية بأولمبيا عام 460ق.م[4]. وقد تغنّى بنداروس[5] في البيثية

= كما ظهرت صورة الخروف، أنظر: S. Ferri, Manualetto, Numismatico per la Cirenaica, Governo della Cirenaica afficio studi, Bengasi 1924, p. 24.

(1) C.H. Coster, op. cit., p. 15; W. Tam, op. cit., p. 256; F. Chamoux, op. cit., p. 241.

(2) Athenaeus, 1, 27e.

(3) E. Robinson PL XIII, 1, 2, 8, 9, 13. PL XIV, 1, 2, 4, 5, ff.

(4) عبد الله المسلمي، نفس المرجع، ص 22.

(5) Pythian Odes, IV, V.

الرابعة والخامسة بهذين الانتصارين ممجداً أركسيلاوس الرابع.

كما أشار سترابون[1] إلى كثرتها وأنها مرغوبة من قبل الملوك ويبلغ عدد مهورها حوالي مائة ألف مهر كل سنة. ولا شك أن روستوفتزف[2] كان على حق في افتراضه أن أعداداً ضخمة من هذه الخيول كانت تصدر إلى مصر.

ثالثاً ـ الصناعة

ومن بين أهم مظاهر النشاط الاقتصادي الآخر لا بد أن نذكر الصناعة، وإن كانت لم تصل إلى المستوى الذي كانت عليه الصناعة في بلاد اليونان. وفي هذا الصدد لا بد أن نرجع إلى حسابات الداميورجوي، التي ورد فيها ذكر الزيت والنبيذ. ومعنى هذا أن الناس قد اشتغلوا بعصر الزيتون والعنب وأن هناك معاصر منتشرة في الإقليم لهذا الغرض وقد صُدّر الزيت إلى الخارج. أما النبيذ فربما لم يكن من الكثرة التي تسمح بتصديره وربما كان كل مزارع يعصر نبيذه لاستهلاكه الخاص.

وقد أقيمت في قوريني دور لسك العملة[3] وقد بدأت في عهد أركسيلاوس الثاني، وظهرت أول عملة فضية لقوريني حوالي سنة 560ق.م[4] لتمويل التجارة الداخلية والخارجية. وكانت قطع العملة الفضية تطابق وحدة العملة الأثينية[5]. وهي قطع ذات أربع درخمات *Τετρδρχμη* ودراخمتين *Δίδραχμη* ودراخما واحدة *Δραχμη* ونصف الدراخما *Ημίδραχμη*. وإن

---

(1) Strabo, XVII, 19.

(2) M. Rostovtzeff, op. cit., pp. 293, 385, 396.

(3) F. Chamoux, op. cit., p. 238.

(4) C. Seltman, Greek Coins, London, 1963, p. 82.

(5) Barcly, V. Head, Historia Numorum, London, 1963, p. 865.

عملية سك العملة على الطريقة الأثينية يدل على علاقة وثيقة تربط بينهما في مجال التجارة. ثم صنعت النقود القورينائية من البرونز والذهب بالإضافة إلى الفضة بكميات كبيرة[1]، ويدل ذلك على ثراء الإقليم وارتباطه بمناطق تجارية مختلفة من العالم القديم.

وكان المعيار المستخدم في قوريني حتى سنة 435ق.م هو المعيار الأتيكي[2]. ولكن انتشار النظام العشري في الوزن والمقياس والمكيال دفع القورينائيين إلى تقسيم عملتهم الفضية من فئة الأربع دراخمات إلى خمس دراخمات وبذلك أصبحت تطابق تماماً قطعة آسيوية كانت مستخدمة بنفس المعيار الآسيوي الذي أخذت به بلاد اليونان منذ الغزو الفارسي لها عام 480ق.م[3]. واستمرت قوريني في إصدار النقود بعد سقوط أسرة باتوس، وكانت على القاعدة الفينيقية والأتيكية[4]. ولا شك في أن ذلك يدل على علاقات تجارية قوية ووثيقة مع أغلب دول العالم القديم.

وفي هذا الصدد لا بد وأن نشير إلى صناعة الفخار التي كانت مزدهرة في هذه الفترة في كل العالم القديم والتي يقال[5] إن إقليم قورينائية قد أصبح أحد مراكزها. ويشير شامو[6] إلى وجود مصنع للفخار في مدينة قوريني يملكه أشخاص مقيمون في بلاد اليونان.

---

(1) E. Robinson, op. cit.

(2) C. Seltman, op. cit., p. 183.

(3) Idem p. 95.

(4) Barclay. V. Head, op. cit., p. 868; C. Seltman op. cit., p. 183.

(5) A. Sadawya, The Greek Settlement in Cyrenaica with notes on pottery disco-vered there, «Libya in History», 1968, p. 95.

(6) F. Chamoux, op. cit., p. 237.

رابعاً ـ التجارة

وفي ما يتعلق بالتجارة الخارجية لإقليم قورينائية في هذه الفترة، فإنه بالرغم من عدم وجود شواهد أثرية كافية إلاّ أننا نستطيع أن نعتمد على ما يمكن استنتاجه من الإشارات القليلة التي بين أيدينا، في تحديد نوع السلع التي كان الإقليم يصدرها ويستوردها والجهات المستوردة والموردة لهذه السلع.

وكان ارتباط إقليم قورينائية بمصر وثيقاً في كل العصور، كما يشهد على ذلك كل تاريخ الإقليم السياسي والفني. وقد عثر في مصر على كميات كبيرة من النقد القوريني[1]، وقد يفسر ذلك بازدهار التجارة بينهما. لقد وصلت إلى قوريني أصداف من البحر الأحمر وآنية بزخارف نباتية وحيوانية في النصف الثاني من القرن السابع ق.م[2]. هذا وقد كانت نقراطيس مركز الاتصال بين بلاد الإغريق ومصر. وربما كانت أيضاً مركز الحياة الاقتصادية لشرق البحر المتوسط. وقد أنشأت هذه المدن مخازن لتخزين السلع. ومن هذه المدن قوريني، التي كانت تصدر مع غيرها سلعاً إلى مصر دون أن تستطيع أن تنافس ميلتوس التي أنشأت نقراطيس[3]. هذا بالإضافة إلى أن مصر تعتبر حلقة وصل بين قورينائية وبلاد المشرق. ولعل أهم السلع التي كانت تصدرها قورينائية إلى مصر كان الصوف والخيول[4] والعطور[5]. وفي هذا الصدد لا بد من الإشارة إلى دور واحة سيوة في التبادل التجاري بين مصر وقورينائية: فمن المرجح أن ظهور عبادة زيوس المفاجىء في قوريني وانتشار عبادته في نهاية القرن السادس

---

(1) Idem, P. 239.

(2) Boardman, Greeks Overseas, p. 91.

(3) J. Hasebroek, op. cit., pp. 60-61.

(4) M. Rostovtzeff, op. cit., pp. 293-285.

(5) C. H. Coster, op. cit., p. 18.

راجع إلى التبادل التجاري عبر الصحراء[1]. وكانت السلع التجارية من واحة سيوة وعلى الأخص الملح (ملح آمون) تجد قبولاً عند القورينائيين[2].

وكانت علاقة الإقليم بجزيرة ساموس قديمة تعود إلى إنشاء المستعمرة. فقد أشار هيرودوتس إلى وجود سفينة من ساموس ساعدت في إنشاء المستعمرة[3]. هذا بالإضافة إلى اشتراك ساموس في الأحداث السياسية في الإقليم في عهد أركسيلاوس الثالث[4]. كما أنه يمكن ملاحظة تأثير فن ساموس على الفن القوريني[5]. وقد اتخذت ساموس من ميناء قوريني نقطة ارتكاز لنشاطها البحري[6]، واستوردت منها السلفيوم والصوف، الذي أصبح عماد إنتاجهم من الأنسجة الصوفية[7]. ولا بد وأن قوريني قد استوردت منها الفخار، ولو أننا لا نملك أدلة على ذلك حتى الآن.

وعلاقة الاقليم مع رودس أكدتها الأواني الفخارية التي عثر عليها في توكرة[8] بكميات كبيرة تدل على علاقة تجارية وثيقة في هذه الفترة. ولا بد أن رودس قد استفادت في تجارتها البحرية مع موقع الإقليم.

وأما عن علاقة الإقليم مع كريت، فإن الكريتيين هم الذين قادوا الإغريق

---

(1) C. H. Coster, op. cit., p. 18.

(2) F. Chamoux, op. cit., p. 240.

(3) Herodotus, IV, 152.

يرفض البعض القصة التي رواها هيرودوتس عن التاجر صاحب السفينة من ساموس، على اعتبار أنها أسطورة من أساطير القرن الخامس صيغت لتعطي تفسيراً تاريخياً للصداقة بين ساموس وقوريني، أنظر: Hasebroek, op. cit., p. 69.

Herodotus, IV, 162/163.

(4) C.A.H., p. 668; J. Boardman, op. cit., p. 172.

(5) F. Chamoux, op. cit., p. 240.

(6) Idem, p. 241.

(7) J. Boardman and J. Hays, Excavations at Tocra, 1963-1965, pp. 14, 152, 162.

(8)

إلى الإقليم[1]. ولا بد أنهم كانوا على علاقات تجارية سابقة مع القبائل الليبية منذ عصر البرونز. وكانوا يستوردون منهم العاج وبيض النعام حيث عثر على هذه الأشياء في كريت وقد وصلتها عن طريق ليبيا[2]. وقد حاول كثير من الباحثين إبراز هذه العلاقة، التي يحتمل أنها كانت قوية في تلك الفترة[3]. كما أن ديموناكس وضعهم ضمن إحدى المجموعات الثلاث التي تشكل السكان في قوريني[4]. وقد عثر على فخار كريتي في توكرة يرجع تاريخه إلى هذه الفترة مما يدل على علاقة تجارية ممتازة[5]. كما أن قرب المسافة بينهما كان من أهم العوامل في تدعيم هذه العلاقة واستمرارها.

وأما عن العلاقات التجارية مع أثينا فيكفي أن نشير أن العملة القورينائية قد سُكّت على القاعدة الأثينية. هذا بالإضافة إلى أن الفخار الأثيني من فترة مبكرة قد عُثر عليه بكميات كبيرة في الإقليم[6]. كما أورد هيرميبوس (وهو من كتّاب الكوميديا) وكان معاصراً لبريكليس، قائمة بالسلع التي كانت تستوردها أثينا من قوريني[7] ومن بينها السلفيوم والجلود. ولعل النقش الذي أشرنا إليه سابقاً، والذي يشير إلى أن قوريني قد أمدت أثينا بما مقداره مائة ألف ميدمني خلال فترة المجاعة (330 ـ 326ق.م) يدل على أن علاقة وثيقة كانت قائمة بينهما. وقد سكت قوريني بهذه المناسبة عملة ذهبية عليها سنبلة القمح تخليداً

---

(1) Herodotus, IV, 151.

(2) J. Hasebroek, op. cit., p. 90.

(3) J. Boardman «Bronze Age Greece and Libya» BSA No. 63, 1968.

(4) Herodotus, IV, 191.

(5) J. Boardman, Excavations at Tocra, p. 14.

(6) S. Stucchi, Cirene, 1957-1966 fig. 168, 169, 170; J. Boardman, op. cit., p.15.

(7) Athenaeus, 6, 27; J. Hasebroek, op. cit., p. 90.

لهذا العمل الذي قامت به قوريني وأنقذت أكثر من أربعين مدينة إغريقية من المجاعة[1]. علماً أن الإثينيين الذين استوردوا القمح في تلك الفترة، لم ينتظروا إلى القرن الرابع ق.م بل لا بد وأنهم قد استوردوه قبل ذلك بكثير[2]. وفي مقابل ذلك كانت قوريني تستورد من أثينا الفخار والرخام الذي صنعت منه أغلب تماثيلها. وبذلك فإننا لا نجد منافساً لأثينا في تبادلها التجاري مع إقليم قورينائية. هذا بالإضافة إلى وضوح الأثر الأثيني في اللغة والفن والفكر القوريني، فإن السفن التي كانت تحمل البضائع كانت أيضاً تحمل الفلاسفة والفنانين إلى قوريني[3].

وبالنسبة لإسبرطة فقد كانت على صلة وثيقة بقوريني حيث كانت تستورد منها السلفيوم[4]. ولعل كأس أركسيلاوس الشهير خير دليل على قوة العلاقة الودية بينهما حيث ثبت[5] أنه ذوق إسبرطي أصيل، يدل على اهتمام صانع الخزف الإسبرطي وتعلقه الشديد بالحياة العامة بمستعمرة قوريني. هذا بالإضافة إلى الأواني الفخارية الكثيرة التي عُثر عليها في جميع حفريات توكرة[6] وتمثال عذراء قوريني، والأسد، وبعض الأدوات البرونزية، والفؤوس ذات الرأسين، التي تشتهر بها إسبرطة[7]، كل هذا يدل على علاقة وثيقة.

---

(1) L. Naville, Les Monnaies d'or de la Cyrenaique de 450 a 250 avant J.C. Génève, 1951, p. 27 N. 32-34.

(2) F. Chamoux, op. cit., p. 242.

(3) F. Chamoux, op. cit., p. 242-3.

(4) C.H. Coster, op. cit., p. 19.

(5) F. Chamoux, op. cit., 243 ff; C.H. Coster, op. cit., p. 19.

(6) J. Boardman, op. cit., p. 14; Idem, The Greeks Overseas, p. 164.
وانظر أيضاً: الدكتور توفيق سليمان، أعمال التنقيب التدريبية عن الآثار لجامعة قاريونس - بنغازي في ليبيا 1974 - 1983م، توكرة، أربعة أجزاء، الجزء الثالث منها (النص والفخار)، 1986م.

(7) Idem, op. cit., p. 14.

ويشير بوردمان أن التأثيرات الفنية المصرية في الفن الإسبرطي وصلت إسبرطة عن طريق قوريني ذات العلاقات الوثيقة معها[1].

ولا بد أن تكون علاقة قوريني بثيرا وثيقة، فهي التي أنشأتها وأن المجتمع القوريني يتكون من مجموعة كبيرة من مواطني ثيرا التي تعتبر بالنسبة لقوريني الوطن الأم بالرغم من عدم وجود أدلة مادية عن هذه العلاقة.

وفي ما يتعلق بقرطاجة، فقد أشار سترابون إلى تبادل تجاري سري بينهما في النبيذ والسلفيوم[2]، كما عثر في قبور قرطاجة وفي الموانىء التي كانت تتاجر معها على بعض التماثيل التي يظن أنها ربما كانت مصنوعة في قوريني[3]، ووجدت فرصتها للإنتشار على يد التجار الفينيقيين. هذا بالإضافة إلى أن كلاً من قوريني وقرطاجة يمثل مخرجاً لداخلية أفريقيا، ولذلك لا يستبعد أن تكون تجارة كل منهما مكملة للأخرى.

وبعد هذا العرض عن العلاقات التجارية بين إقليم قورينائية وبعض المدن اليونانية وقرطاجة لا بد أن نشير إلى أن قوريني كانت تملك أسطولاً تجارياً استطاعت أن تصل به إلى هذه المدن وتحمي تجارتها من القراصنة. وقد أشار بليني إلى أن أهل قوريني هم أول من طور الليمبوس Lembus وهي سفينة حربية صغيرة وسريعة تصلح للاستكشاف والحراسة. وكان هذا النوع من السفن نافعاً جداً لأنه يحمي أسطولهم التجاري من القراصنة.

كما يوجد بالسوق العامة لمدينة قوريني تمثال لربة النصر نيكي فوق

---

(1) J. Boardman, Greeks Overeas, p. 164.

(2) Strabo, XVII, 20.

(3) C.H. Coster, op. cit., p. 19.

سفينة[1]، يشير إلى انتصار قوريني على الأعداء في معركة بحرية. كما أشار ديموستينس الخطيب الأثيني إلى سفينة أسرت في خليج ارجوس (شمال شرق البلوبونيز) وكانت في طريقها إلى ليبيا، ونهبت شحنتها وقتل صاحبها[2].

(1) S. Stucchi, 1957-1966, pp. 90-92, fig. 68-69-70-71.

(2) J. Hasebroek. p. 82.

سادساً ـ الاحتكار الملكي لنبات السلفيوم

كان نبات السلفيوم Σιλφιον من أهم منتجات إقليم قورينائية الاقتصادية طيلة العصرين اليوناني والبطلمي. إلاّ أنه لم يعد له وجود في برقة وبالرغم من ذلك، فقد بذل علماء الآثار وعلماء النبات جهوداً مضنية طوال القرنين الماضيين لمعرفة هذا النبات دون جدوى ولا يزال أمره غامضاً.

وسأحاول في هذا الفصل إلقاء الضوء على هذا النبات الذي غدا أثراً من آثار الماضي.

ورد إسم هذا النبات عند الكتاب القدامى وظهرت صورته على أغلب قطع العملة القورينائية حتى أصبح شعاراً لها[1]. لقد حدثنا عنه هيرودوتس[2] بوصفه نباتاً معروفاً شائع الاستعمال. وأفاض ثيوفراستوس[3] في الكلام عنه، وحدد سترابون[4] مناطق إنتاجه، وأشار بليني[5] إلى أهم فوائده. وذكر سكولاكس[6] إلى أن أول منطقة أنتجت السلفيوم هي المنطقة التي تقع على خليج بوميا. ويذكر ثيوفراستوس[7] أن هذا النبات ظهر قبل إنشاء قوريني بسبع سنوات إثر سقوط أمطار غزيرة، ويؤيده في ذلك بليني[8] وهذا شيء طبيعي، فمنطقة خليج بومبا هي أول منطقة نزل بها الإغريق وفي نفس التاريخ الذي

---

(1) إستخدم السلفيوم كشعار لنقود قورينائية منذ أن بدأت تسك العملة واستمر هذا الشعار للنقود القورينائية طيلة العصرين اليوناني والبطلمي. أنظر: Robinson, op. cit., C. Soltman Greek Coins, p. 44.

(2) Herodotus, IV, 1699.

(3) Theophrastus, VI, III.

(4) Strabo, XVII, 20-21-22-23.

(5) Plinius Secundus (V.5) (XIX, 15) (XXII, 48, 49).

(6) Scylax, 108.

(7) Theophrastus, VI, III.

(8) Plinius Secundus XIX, 15.

حدده ثيوفراستوس وبليني. وكان ذلك أول عهد الإغريق بهذا النبات الذي لعله كان ينمو بهذه المنطقة، قبل ذلك بمدة طويلة، ولكنه لم يعرف كنبات له قيمة كبيرة إلاّ في العصر الإغريقي.

وينمو السلفيوم على الهضبة الداخلية بين الشريط الخصيب والصحراء وذلك ابتداء من منطقة خليج بومبا في الشرق إلى منطقة سرت في الغرب[1]، وخاصة في المنطقة القريبة من يوسبيريدس بمسافة تزيد على خمسمائة ميل[2]. ومعنى ذلك أن هذا النبات كان ينمو في المنطقة التي يسيطر عليها الليبيون، فيقومون بجنيه، وكانوا هم وحدهم الذين يعرفون الموسم المناسب لذلك وينقلونه إلى المدن ومنها يصدر إلى بلاد اليونان.

وقد حاول الإغريق تهجينه وزراعته في بلادهم ولكنهم لم يفلحوا في ذلك لأنه نبات صحراوي بري[3]. وقد وصف سترابون منطقة إنتاج السلفيوم بأنها مستطيلة وجافة ويبلغ عرضها حوالي ثلاثمائة ستيديا[4]. ولم يظهر السلفيوم في حسابات الداميورجوي لأنه لا يباع في أسواق المدن الإغريقية في إقليم قورينائية بل يصدّر مباشرة إلى الخارج. ولنبات السلفيوم جذر سميك طويل يغوص في الأرض وساق يبدأ نموها في فصل الربيع[5] وهي تشبه في حجمها ساق نبات الفيرولا Ferula[6]. وتظهر عليها الأوراق متبادلة على جانبي الساق وأحياناً تكون متقابلة[7] وتسمى: Μασπετον[8]، وهي تشبه إلى

---

(1) Jones, op. cit., p. 356.

(2) Theophrastus, VI, III.

(3) Jones, op. cit., 356; F. Chamoux, op. cit., p. 248.

(4) Strabo, XVII, 23.

(5) Theophrastus, VI, III.

(6) نبات يستخرج منه صمغ طبي، أنظر: Theophrastus, VI, III. F. Chamoux, op. cit., p. 254.

(7) Theophrastus, VI, III.

(8)

صورة رقم 49 (نبات السلفيوم)

حد كبير أوراق البقدونس أو الكرفس[1]. وتنتهي الساق دائماً بباقة من الزهور الصغيرة المستديرة التي تجف في نهاية الموسم وكذلك البذور التي تحتضنها الزهور. (صورة رقم 49) ثم يأتي ريح الجنوب وتنثرها هنا وهناك فوق مساحات واسعة من الأرض[2]. وهكذا يتم بذر محصول العام التالي دون جهد أو عناء بشريين.

وإذا ما دققنا في صور هذا النبات المنقوشة على النقود نجدها مطابقة لما ورد بالنصوص اليونانية القديمة، حيث يمكن الاستدلال على نوعين

(1) Plinius, Secundus, XIX. 15; F. Chamoux, op. cit., p. 254.

(2) Theophrastus, VI, III.

رئيسين من هذه النقود أحدهما يحمل فقط صورة ثمرة النبات بينما يرينا الآخر صورة النبات بالكامل. ويشير روبنسون[1] في هذا الصدد، إلى أن النقود التي تحمل نقش الثمرة هي الأقدم عهداً من تلك التي عليها صورة النبات كاملاً. ويرجع النوع الأول من هذه النقود إلى الفترة ما قبل عام 480ق.م ويعلل ذلك لأسباب فنية.

ولهذا النبات الذي اشتهر في هذه الفترة فوائد عديدة ومن بينها أنه يعتبر علفاً ممتازاً للماشية حيث يسمنها ويجعل لحمها لذيذ الطعم كما قال ثيوفراستوس[2] وبليني[3]. كما كان يعتبر من الخضروات الممتازة التي تظهر في صور مختلفة[4]، وكانت سيقانه تقطع قطعاً صغيرة وتحفظ في الخل عدة أيام فتغدو من أشهر أنواع المخللات[5]. وفي هذا الصدد يشير أثينايوس[6] إلى طريقة لإعداد نوع من السمك يسمى البوربون للأكل باستخدام السلفيوم في أثناء طهيه.

وكان من أهم ذلك كله عصير السلفيوم الذي يستخرج من جذور النبات وسيقانه. وإن كان عصير الجذر أفضل من عصير الساق وكان العصير يخلط

---

(1) النقود التي عليها صورة ثمرة السلفيوم ترجع إلى الفترة ما قبل 480ق.م، أنظر: E. Robinson, op. cit., (PL 1,3,5) (PL II, 1, 4, 6, 8 ff), (PL III, 1, 3) (PLIV, 1, 3, 5, 6).

والنقود التي عليها صورة نبات السلفيوم كاملاً ترجع إلى الفترة ما بعد 480ق.م أنظر: Idem, (PLV, 13, 16, 17, 21), (PL VI, 1, 3, 8, 9 ff); PLVII, 1, 5, 17, 18, 19).

(2) Theophrastus, VI, III.

(3) Plinius Secundus XIX, 15.

(4) Theophrastus, VI, III; Plinius Secundus, XIX, 15.

(5) F. Chamoux, op. cit., p. 250; J. Boardman, Greek Overseas, p. 172.

(6) Athenaeus, XIV, 623.

بالدقيق ويجهز منه عقار طبيٌ يمكن تخزينه مدة طويلة. ويشير ثيوفراستوس[1] إلى أنه لولا هذه الطريقة لتلفت عصارة النبات. ويقول بليني[2] إن أوراقه تستخدم طبياً في توسيع الرحم وإخراج الجنين الميت. وجذوره علاج جيد لالتهابات القصبة الهوائية، ويستخدم مع الزيت لعلاج الكدمات ومع الشمع في علاج أورام داء الخنازير. وأما عصيره فإنه إذا أخذ في شراب فإنه يخفف آلام الأعصاب ويبطل سموم الأسلحة والأفاعي وعضة الكلب. كما أنه يستعمل كمساعد للهضم بالنسبة للمسنين ويستعمل كذلك للسعال وأمراض الأسنان وغير ذلك من الأمراض.

ولا تدع النصوص مجالاً للشك في أن السلفيوم كان يخضع للإشراف الملكي مباشرة وفي أن تجارته كانت احتكاراً ملكياً. فقد كان ملوك باتوس يأخذونه من الليبيين بوصفه جزية عليهم تقديمها لهم. وبعد سقوط أسرة باتوس واستقلال القبائل الليبية في الداخل، كان الإغريق يشترونه منهم[3] شراءً، ولعل ملوك البطالمة بعد ذلك قد أعادوا احتكاره. وهناك عدة أدلة تثبت أن هذا النبات كان احتكاراً ملكياً ومنها الكأس الذي صور عليه أركسيلاوس الثاني وهو يراقب وزن السلفيوم[4] وتعبئته في أكياس[5]. وإشارة سترابون[6]

---

(1) Theophrastus, VI, III.

(2) Plinius Secundus, XXII, 48, 49.

(3) Jones, op. cit., p. 356; F. Chamoux, op. cit., p. 249.

(4) يرى بيوري أن كأس أركسيلاوس يمثل صورة الملك وهو يراقب وزن الصوف وتعبئته خلافاً لما قاله أغلب الكتاب الذين يرون أن هذه الصورة تمثل الملك وهو يراقب وزن السلفيوم، أنظر: J. B. Bury, A history of Greece to the death of Alexander the Great 3rd Oxford, 1963, p. 117 fig. 46.

(5) F. Chamoux, op. cit., p. 249; C. H. Coster op. cit., p. 12.

(6) Strabo, XVII, 20.

إلى وجود تجارة سرية في هذا النبات بين تجار من قوريني لعلهم من الليبيين وبين تجار من قرطاجة حيث كانوا يستبدلونه بالخمر. كما يشير شامو[1] إلى أن أرستوفان الشاعر الكوميدي الأثيني (450 ـ 385ق.م) كان يستعمل في مؤلفاته لفظ سلفيوم باتوس. كما ظهرت صورة النبات على الآثار، كتاج عمود صُوّر عليه الملك باتوس الأول وبجانبه نبات السلفيوم في شكله الكامل، ولعل ذلك يؤكد أنه احتكارٌ ملكيٌ[2] (صورة رقم 50). وكان هذا النبات يباع بما يساوي وزنه فضة[3]، وكانت الكميات المرسلة منه إلى روما تحفظ في الخزانة العامة شأنه في ذلك شأن الذهب والفضة[4] مما يدل على عظمة قيمته. ومن الغريب أن نباتاً له هذه الأهمية الكبيرة وحظي برعاية الملوك قد اختفى بالكامل: فمنذ العصر الروماني أخذ محصول السلفيوم يتضاءل بسرعة، وذكر بليني[5] أن قيصر حين آلت إليه الأمور في أواخر العصر الجمهوري وجد في الخزانة العامة ألفاً وخمسمائة رطل من السلفيوم إلى جانب ما وجده فيها من ذهب وفضة. فلما كان عصر الإمبراطور نيرون بلغت ندرة هذا النبات حداً كبيراً جداً حتى أن هذا الإمبراطور تلقى ساقاً من السلفيوم كهدية عظيمة القدر.

وقد ترددت أسباب كثيرة لاختفائه اختفاء كاملاً، ويعيد سترابون[6] هذا الاختفاء إلى عداء الليبيين للإغريق ورغبتهم في حرمانهم من مورد دخل

---

(1) F. Chamoux, op. cit., p. 249.

(2) تعتبر هذه الصورة الأولى من نوعها في الآثار لأننا لم نشاهد هذا النبات مرسوماً على الآثار إلاّ على هذا العمود المشار إليه ـ أنظر: S. Stucchi, Cirenen, 1957-1966, Tripoli, 1967, p. 114 fig. 91.

(3) Plinius Secundus XIX, 15; C.H. Coster, op. cit., p. 13.

(4) F. Chamoux, op. cit., p. 250.

(5) Plinius Secundus, XIX, 15.

(6) Strabo XVII, 22.

عظيم، فتعمدوا إتلاف جذور السلفيوم أو انتزاعها من الأرض. وأما بليني[1] فيرى أن سبب انقراضه يرجع إلى أن ملتزمي الضرائب Publicani، الذين كانوا يستأجرون المراعي، جردوها منه تماماً برعي الأغنام عليه مدركين أنهم يستفيدون أكثر بتلك الطريقة. وليس هناك تعارض في أن الأغنام كانت تأكل السلفيوم بشراهة.

وقد يفكر البعض بأن أسباب اختفائه تعود إلى تغير المناخ أو إلى أن الأراضي المزروعة قد امتدت جنوباً حتى طغت على أماكن نمو السلفيوم، والرد على هؤلاء أنه ليس هناك دليل على تغير المناخ وأن الظروف المناخية التي سادت في الأقاليم منذ العصر الإغريقي هي بعينها السائدة إلى يومنا هذا[2]، كما أن الأراضي التي ينمو فيه السلفيوم لم تزرع زراعة منتظمة منذ ذلك العصر وإلى يومنا هذا.

ولعل اختفاء نبات السلفيوم يرجع فعلاً إلى شراهة الأغنام، إذ إن منطقة نموه كانت في نفس الوقت منطقة زاخرة بالمراعي، فقد أتت هذه الأغنام على النبات ولم تدع له فرصة التكاثر. كما يرجع أيضاً إلى ازدياد أهمية العصير المستخرج من جذوره فأدى ذلك إلى إتلاف الجذور وبالتالي إلى انقراض النبات. كما أننا لا نستطيع أن نهمل السبب الذي أشار إليه سترابون وذلك بسبب العداء الذي يكنه الليبيون للمستعمرين وفقاً لما مر بنا في فصل سابق.

وقبل الإنتهاء من الكلام عن السلفيوم لا بد من الإشارة إلى أن هذا النبات لم يذكر في النقوش اليونانية، بالرغم من أنه كان احتكاراً ملكياً ولا

---

(1) Plinius Secundus XIX, 15.

(2) نحن نعرف أنه منذ أن آلت قورينائية لروما سنة 96ق.م أصبحت أراضي السلفيوم أراضي عامة تابعة لروما التي فرضت ضرائب على هذا النبات.

أرى سبباً لذلك، إلاّ أن القبال الليبية هي التي تسيطر على هذا النبات وتقوم بجمعه وتحمله إلى الملوك الذين يقومون بتصديره، وبعد زوال الملكية كانوا يبيعونه إلى الحكام.

ولقد ظهرت صورة النبات على الآثار على تاج عمود موجود بالآجورا، صوّر عليه رأس الملك باتوس وبجانبه نبات السلفيوم في شكله الكامل[1]. وبجانب هذه الصورة صورتان لرأس على أحدهما قناع يمثل التراجيديا والآخر قناع يمثل الكوميديا وتحت كل هذه الصور ورق الأكانتوس ولعل هذه الصور تمثل الجانب السيء والجانب المفرح في حياة قوريني، ويوجد هذا التاج في الناحية الغربية من الآجورا (صورة رقم 50).

(1) S. Stucchi, op., p. 113, 114, fig. 91.

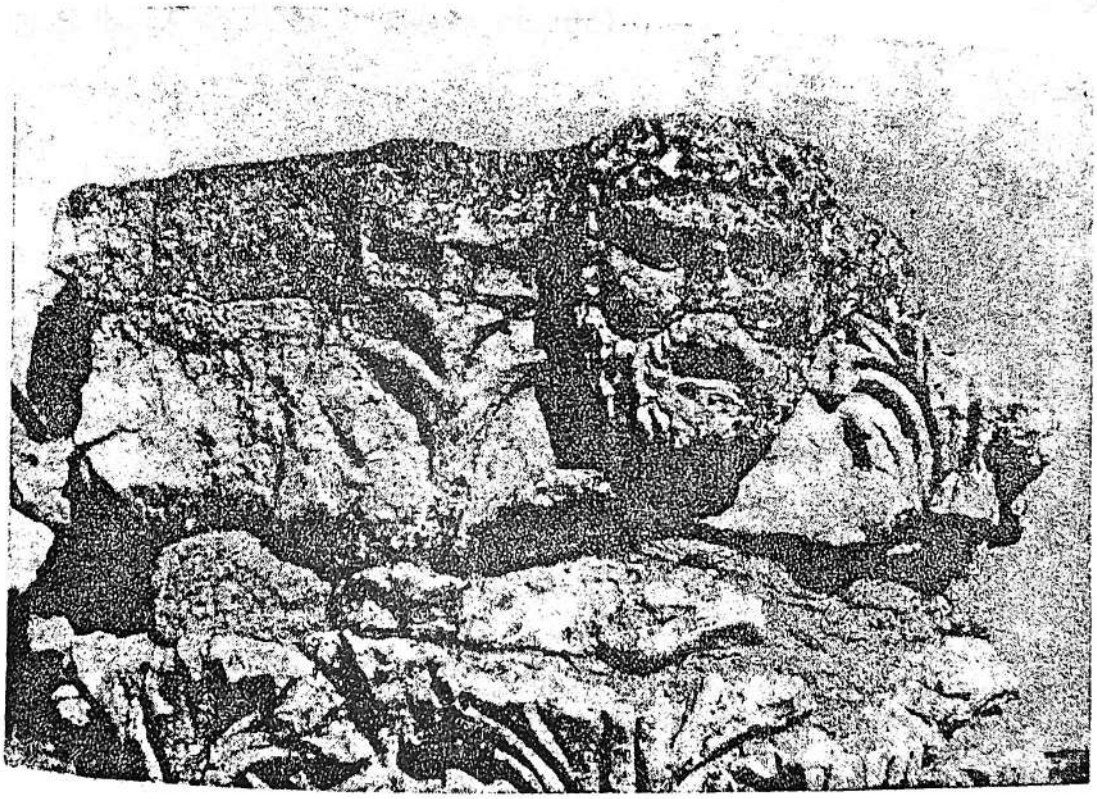

صورة رقم 50 تمثل باتوس الأول وبجانبه نبات السلفيوم

الفصل السادس

ليبيا في عصر البطالمة

منذ 322 ق.م وحتى عام 96 ق.م

أولاً ـ الحياة السياسة

نتبين مما تقدم أنه كان يتنازع على السلطة في قوريني الحزبان الأرستقراطي والديمقراطي، وأنه فيما كان الديمقراطيون يسيطرون على الوضع داخل قوريني حيث تمكنوا من طرد الأرستقراطيين الذين لجأوا إلى بطلميوس عشية توليته أمر مصر بوصفه والياً عليها عام 322 من قبل أسرة الإسكندر، ولم يتردد بطلميوس في إنفاذ حملة برية يقودها أوفيلاس وأسطول يدعم جيشه تمكن به من السيطرة على إقليم قورينائية كله. وواضح من قوانين بطلميوس[1] التي وضعها للإقليم أنه كان يريد للمنفيين العائدين في ركاب قواته مركزاً ممتازاً في قوريني وأنه أراد للمدينة دستوراً يتصف بالطابع الأرستقراطي[2].

وقد أثبتت الأحداث أن ضم قورينائية إلى مصر لم يزد من قوة البطالمة ذلك أنها أصبحت بمثابة شوكة في جانبهم؛ فمن ناحية لم يمتثل أهلها للخضوع لسلطة أجنبية لأنهم اعتادوا على الحرية لأكثر من قرن من الزمان، ومن ناحية أخرى كانت الأطماع الشخصية تغري حكامها على الخروج على طاعة الملك البطلمي وقد ساعد على ذلك بعد الإقليم من ناحية وما كان يقوم به خصوم البطالمة من العمل على تشجيع هذه الأطماع من ناحية أخرى[3].

---

(1) أنظر S. E. G., IX, I حيث تنص المادة الثانية من الدستور أن هيئة المواطنين Politeuma تتكون من عشرة آلاف وتشمل الذين لجأوا إلى بطلميوس والذين يملكون نصاباً مالياً ثابتاً.

(2) عن دستور بطلميوس أنظر A. Jones, Cities of the Eastern Roman Provinces, p. 357.

(3) إبراهيم نصحي، مصر في عهد البطالمة جـ 1، ص 80.

ففي عام 313ق.م قامت قورينى بثورة[1] على حاكمها أوفيلاس مطالبة بحقها في الحرية ولكن بطلميوس أنفذ إليها حملة تأديبية تمكنت من القضاء على الثورة وأسندت مقاليد الأمور ثانية إلى أوفيلاس[2]. ولكن أوفيلاس انتهز في سنة 312 فرصة الهزائم التي نزلت ببطلميوس الأول في سوريا، وأعلن استقلاله بالإقليم محاولاً إقامة ملكاً خاصاً به في قورينى[3] تقليداً لبقية قادة الإسكندر وبوصفه واحداً منهم. ولتحقيق ذلك تحالف مع آجاثوكلس طاغية سيراكوزا الذي كان مشتبكاً في حرب مع قرطاجة ووعد أوفيلاس بأن يتنازل له عن الفتوحات التي يحرزانها معاً في أفريقيا بشرط مساعدته في إخضاع قرطاجة[4]. فوافق أوفيلاس على أساس أن الأقاليم الأفريقية بعد الانتصار على قرطاجة ستزيد من قوة قورينى. وأعد حملة كبيرة ساعد في تكوينها وفود أعداد كبيرة من أثينا نتيجة ازدياد أسعار القمح واللحوم فيها، مما اضطر فقراء أثينا إلى الهجرة إلى قورينى التي كانت كانت تتمتع بمكانة اقتصادية مرموقة في هذه الفترة[5]، حيث استخدمهم أوفيلاس كجند مرتزقة وعبر خليج سرت، غير أن الظروف جاءت في صالح بطلميوس إذ اختلف أوفيلاس مع آجاثوكليس حيث تمكن الأخير من قتله سنة 308ق.م وفي هذا الصدد يقول ديودورس الصقلي أن آجاثوكليس قد اتهم حليفه بخيانة التحالف[6]، ويشير البعض[7] أن بطلميوس

---

(1) لعل السبب الرئيسي في هذه الثورة هو إعلان Polyperchon الوصي على الملك المقدوني حرية الإغريق ليوطد مركزه في مقدونيا. M. Rostovtzeff, Social and Economic History of the Hellenistic World, Oxford, 1967, vol. 1, p. 8.

(2) إبراهيم نصحي - نفس المرجع - الجزء الأول - ص ص 80، 81.

(3) J. P. Mahaffy, History of Egypt Under the Ptolemaic Dynasty, London, 1914 vol. IV, p. 46; Rostovtzeff, op. cit, p. 12.

(4) Diodorus, XX, 40.

(5) W. S. Ferguson, Hellenistic Athens, New York, 1969, p. 67.

(6) أنظر: Diodorus, XX, 42.

(7) J. P. Mahaffy, op. cit, p. 47.

كانت له اليد الطولى في ذلك، ويؤكد روستوفتزف أن هناك صداقة بين البطالمة في مصر وسيراكوزا[1]. ولعل هذه الظروف جميعها هي التي أدت إلى القضاء على أوفيلاس. وفي عام 308[2] نجح بطلميوس في استعادة الإقليم بفضل ماجاس ابن زوجته برينيكي، فأقامه نائباً عنه في حكمه[3]. وفي عام 301 اضطر إلى غزو الإقليم مرة أخرى وهذا يرجح قيام ثورة من قبل العناصر الديمقراطية، خاصة وأن روبنسون[4] ينسب إلى هذه الفترة النقود التي نقشت عليها عبارة قوريني للشعب (Kyranion damo) وذلك تمييزاً لها عن النقود التي نقشت عليها عبارة قوريني بطلميوس (Kyranion ptolemaio). وبعد إخماد هذه الثورة هدأت الأحوال في قوريني إلى أن مات بطلميوس الأول سنة 285ق.م.

وفي عهد بطلميوس الثاني 285 ـ 246ق.م (Philadelphos) احتدم النزاع بينه وبين الملك السلوقي أنطيوخوس الأول حيث عمد الأخير إلى كسب ود ماجاس لاستخدامه ضد غريمه بطلميوس، فزوجه ابنته أباما وشجعه على الاستقلال بقورينائية وإعلان نفسه ملكاً عليها[5]، ويهاجم مصر في الوقت

---

(1) M. Rostovtzeff, op. cit., p. 395.

(2) يرجح البعض أن قورينائية بعد مصرع أوفيلاس ظلت مستقلة حتى عام 301 عندما فرغ بطلميوس الأول من حروبه وانتصاره مع حلفائه على أنتيجونوس في موقعة أبسوس سنة 301 وبعدها كان في وسعه إرسال جيش يستعيد قورينائية ـ وأرجح هذا الرأي. أنظر: F. Chamoux Sur quelques Inscriptions Grecques Trouvées à Apollonia de Cyrenaique», Lybia in History 1968, p. 47.

(3) إبراهيم نصحي ـ نفس المرجع ـ الجزء الأول ص 81 J. P. Mahaffy; op. cit, p. 47.

(4) E. Robinson, op. cit., pp. IXXXIII-IXXXVII.

(5) يشير بيركلي إلى أنه في أثناء حكم بطلميوس الثاني سك النقود في قوريني وعليها إسم فيلادلفوس وخلال ثورة ماجاس محي إسم فيلادلفوس وحل محله إسم ماجاس باعتباره ملكاً على الإقليم Barclay, V. Head, Historia Numorum, London 1963, p. 871.

ويشير شامو أنه عثر على نقش في مدينة سوسة وصف فيه ماجاس بلقب ملك F. Chamoux, op. cit., p. 47.

الذي يهاجم فيه أنطيوخوس جوف سوريا. ولعل الذي سهل على أنطيوخوس إغراء ماجاس بإعلان نفسه ملكاً على قورينائية. أن ماجاس كان يعتبر نفسه أخاً للإسكندر الأكبر وذلك استناداً لما شاع من أن برينيكي كانت عشيقة لفيليب وأنجبته منه، ثم تزوجت برينيكي من بطلميوس الأول وأنجبت منه بطلميوس فيلادلفوس. وبالفعل في سنة 274ق.م أعلن ماجاس استقلاله عن مصر وزحف بقواته حتى كاد أن يصل إلى الإسكندرية، ولكن أرسينوي الثانية زوجة وأخت بطلميوس الثاني استطاعت تأليب قبائل المارمارياداي الليبية على مؤخرة جيش ماجاس فاضطر إلى الرجوع سريعاً إلى قورينائية[1].

وإزاء الانتصارات التي أحرزها بطلميوس الثاني على أنطيوخوس الأول التي انتهت بعقد الصلح بينهما سنة 272ق.م، اضطر ماجاس أن يدين بالطاعة لأخيه بطلميوس[2]. ونتيجة لانشغال بطلميوس بسوريا ومقدونيا دعم ماجاس مركزه في قورينائية وخطب ابنته برينيكي لولي عهد مصر الذي أصبح في ما بعد بطلميوس الثالث، ولعله بذلك يضمن لابنته لا حكم قورينائية فحسب بل وأيضاً حكم مصر ولينهي الخصومة بينه وبين أخيه. وبعد وفاة ماجاس عام 258ق.م[3] تنازع في قوريني حزبان حزب تزعمته أباما وكان هدفه الاستمرار في تحقيق ما بدأه ماجاس من محاولة الاستقلال بالإقليم، واضطر إلى التخلي عن هذه المحاولة وكان هذا الحزب في ما يبدو حريصاً على أن يرتبط بالسلوقيين. وأما الحزب الآخر فيرى الارتباط بالبطالمة ولعله لم يجد صعوبة في إقناع برينيكي ابنة ماجاس في تولي زعامته. ومن هنا كان

---

(1) إبراهيم نصحي - نفس المرجع - الجزء الأول، ص 106.

(2) إبراهيم نصحي - نفس المرجع ص 106 - ويشير كاري أن ماجاس تولى حكم قوريني سنة 308 وكانت وفاته بين سنة 258 - 255ق.م M. Cary, A history of Greek World, 223-146 B.C. London 1968, p. 394.

(3) إبراهيم نصحي - نفس المرجع ص 116.

تحديها لأمها عندما أرادت هذه الأم زواجها من ديمتريوس وهو أخ غير شقيق لأنتيجونوس جوناتوس ملك مقدونيا الذي كان متحالفاً مع أنطيوخوس ضد بطلميوس.

وتروى قصة عن غرام حدثت بين الأم وبين ديمتريوس انتهت بمصرع الأمير المقدوني[1]. ولعل المعقول أن يكون الصدام قد حدث بين الحزبين وانتهى بانتصار حزب برينيكي وزواجها من ولي عهد عرش البطالمة والذي كان أبوها قد خطبها إليه[2]. وهكذا سيطرت برينيكي على السلطة في قورينائية سنة 255ق.م. وفي سنة 247/ 246ق.م - وبعد وفاة بطلميوس الثاني - إرتقى عرش مصر بطلميوس الثالث يورجيتس الأول Euergetes 246 - 221ق.م وبذلك أدمجت قورينائية في مملكة البطالمة[3].

واحتفالاً بهذه المناسبة وضع كاليماخوس القوريني نشيده الثاني إلى أبوللون[4] وخلع بطلميوس إسم زوجته برينيكي على مدينة يوسبريدس أو على الأصح على المدينة الجديدة التي أنشئت غربي مدينة يوسبريدس القديمة[5]. وإلى هذه الفترة أيضاً يعزى إطلاق إسم أرسينوي على مدينة توخيرة[6] وإسم

---

(1) إبراهيم نصحي - نفس المرجع ص 116.

(2) P. Jouguet, Macedonian Imperialism, London, 1928, p. 192.

(3) P. P. Mahaffy op. cit., p. 99. 117 إبراهيم نصحي - نفس المرجع ص

(4) إبراهيم نصحي «كاليماخوس القوريني» مجلة كلية الآداب - الجامعة الليبية 1969 - العدد الثالث - ص 22 وما يليها - وأنظر نص النشيد في كتاب عبد الله المسلمي «كاليماخوس القوريني» منشورات الجامعة الليبية 1973 ص 131 وما يليها.

(5) A. Rowe, A history of Ancient Cyrenaica, p. 38.

(6) يرى الدكتور نصحي أن ماجاس هو الذي أطلق هذا الإسم على مدينة توخيرة تكريماً لأرسينوي الثانية زوجة وأخت بطلميوس الثاني ليثبت له حسن نواياه ويشاركه عواطفه نحو فقيدته التي توفيت سنة 270ق.م - أنظر إبراهيم نصحي - إنشاء قوريني وشقيقاتها ص 83 وما بعدها.

بطوليمايس على ميناء مدينة برقة نسبة إلى البطالمة[1].

ومنذ هذا التاريخ وحتى سنة 163ق.م كانت قورينائية جزءاً من مملكة البطالمة وارتبطت معها بعملة واحدة[2]. وطيلة عهد بطلميوس الرابع فيلوباتور (Philopator) 221 ـ 203ق.م ساد الهدوء إقليم قورينائية. ونقرأ عند بوليبيوس[3] عن حدوث صراع بينه وبين أخيه ماجاس ويبدو أن أمهما برينيكي قد انحازت إلى جانب ماجاس وتمكن فيلوباتور من القضاء عليهما معاً. لعله أراد أن يحول دون قيام حركة انفصالية في قورينائية. ولم تحدث كذلك أية أحداث يفهم منها إضطراب الأحوال في الإقليم في عهد ابنة بطلميوس الخامس (أبيفانس) 203 ـ 181ق.م. ومن الواضح أنه طوال العصر البطلمي كان يحكم مناطق قورينائية حاكم عام يحمل لقب: Libyarches[4] وتوثقت الصلة بين مدن الإقليم وبين مصر البطلمية، ويتضح ذلك من كثرة عدد الجنود الذين قدموا إلى مصر من مدن قورينائية المختلفة وإن عددهم فاق بكثير العناصر العسكرية الأخرى التي وفدت إلى مصر من مختلف مناطق العالم

---

(1) ويعزى إنشاء بطوليماليس إلى بطلميوس الأول وليس بطلميوس الثالث كما يشير كريلج ـ أنظر إبراهيم نصحي ـ نفس المرجع من ص 88 إلى ص 106,H. Kraeling. Ptolemais City of the Libyan Pentapolis, Chicago, 1962.

كما يعزى إلى هذه الفترة أيضاً فصل أبوللونيا وكسبها صفة المدينة ـ نصحي ـ نفس المرجع ـ ص 106.

(2) Barclay, V. Head, op. cit, p. 871.

(3) Polybius, XV, 25.

(4) أنظر مصطفى عبد العليم ـ «ليبيون وإغريق من برقة في أوراق البردى المصرية» في مجلد ليبيا في التاريخ ـ الجامعة الليبية 1968 ـ ص 101 و A. Rowe, op. cit, p. 41.

ومن قوانين بطلميوس التي سنها لقورينائية نجد هناك عدة وظائف أخرى أهمها: عمال الإحصاء Timeteres الذين يقدرون ثروة المواطنين وعددهم ستون عاملاً ـ ووظيفة Strategos وهم القواد وعددهم خمسة والنوموفولاكس وعددهم تسعة ـ والإيفوروي وعددهم خمسة S.E.G. IXm.

الإغريقي الأخرى[1].

وفي عهد بطلميوس السادس فيلوماتور تنازع مع أخيه بطلميوس الصغير الذي عيّن من قبل أهالي الإسكندرية ملكاً تحت اسم يورجيتيس الثاني، فأصبح على عرش البطالمة ملكان[2]. فتدخلت روما تحت ستار التوفيق بين الأخوين وعقد اتفاق بينهما سنة 163ق.م تقرر بمقتضاه تقسيم المملكة بين الأخوين بحيث تكون مصر وقبرص من نصيب بطلميوس السادس وقورينائية من نصيب بطلميوس الصغير[3] الذي حاول ضم قبرص أيضاً ووافقه على ذلك مجلس الشيوخ الروماني[4]. فجهز جيشاً خرج به من قورينائية وعسكر على حدود مصر متحيناً الفرصة لغزو قبرص، وفي هذه الأثناء ثارت[5] عليه قوريني والمدن الإغريقية الأخرى بزعامة نائب الملك وهو ليبي يدعى Sympetesis كان قد كلفه بطلميوس الصغير بتسيير أمور البلاد في أثناء فترة غيابه فاتخذ إسماً إغريقياً وهو بطلميوس وحاول الاستقلال بالإقليم. ويبدو أن قوة الليبيين في قورينائية كانت في تزايد مستمر، فاضطر بطلميوس الصغير إلى العودة إلى قوريني، وبدلاً من أن يضم قبرص كاد أن يفقد قورينائية التي دخلها بحراً بعد مقاومة عنيفة[6] من قبل سكان الإقليم الذين انضم إليهم الليبيون من الذين ضاقوا ذرعاً من حكام البطالمة الذين لا هم لهم إلاّ التنازع على السلطة.

وفي عام 155ق.م أوصى بطلميوس الصغير بقورينائية للشعب الروماني إذا لم يعقبه وارث ذكر، وقد عثر على نقش هذه الوصية في الإقليم[7]. ويهمنا

---

(1) مصطفى عبد العليم ـ نفس المرجع السابق ـ من ص 99 إلى ص 116.

(2) W.W. Tarn, Hellenistic Civilisation, London, 1959, p. 35.

(3) إبراهيم نصحي ـ مصر في عصر البطالمة ـ الجزء الأول ـ ص 198.

(4) Polybius, XXXI, 18.

(5) Polybius, XXXI, 26.

(6) R. Goodchild, Cyrene, and Apollonia, p. 17.

(7) S. E. G. IX, 7.

من هذه الوصية ما ورد فيها بأن الملك بطلميوس أصغير عهد إلى الرومان بحماية مصالحه مناشداً إياهم باسم جميع الآلهة وبشرفهم أن يقدموا المساعدة بكل قواهم إذا اعتدى أحد على مدن مملكته أو أراضيها[1]. وبقيت هذه الوصية سراً لم يذع حتى أن المؤرخ بوليبيوس لم يكن يعلم بها. ولم تنفذ هذه الوصية بطبيعة الحال لأن يورجيتس الثاني كان قد أنجب وهذا أعفى الرومان من مسؤولية لم يكونوا يرحبون بها لظروف الحرب الأهلية في روما.

وفي عام 145ق.م[2] توفي بطلميوس السادس واعتلى بطلميوس الصغير عرش مصر للمرة الثانية بمساعدة روما فتخلصت قورينائية منه لانشغاله بالنزاع مع زوجته كليوبترا الثانية[3] وتثبيت ملكه. وبعد وفاته عام 116ق.م آل حكم قورينائية إلى ابنه غير الشرعي بطلميوس أبيون الذي حكمها نائباً عن الملك بطلميوس التاسع سوتير الثاني، ويفهم من نقش[4] عثر عليه في الإقليم أنه قد

---

(1) عبد اللطيف أحمد علي - مصر والإمبراطورية الرومانية - القاهرة 1960 ص 10 والمراجع حاشية رقم 1.

(2) M. Cary, op. cit., p. 224.

(3) M. Rostovtzeff, op. cit., p. 873.

(4) عثر على بقايا نقش يرجع إلى عهد سوتر الثاني وزوجته كليوباترا سيليني 109 - 108 تضمن نسخاً لأربعة نصوص متفرقة ولكنها تتعلق بقرار عفو أصدره الملك وزوجته. والنص الأول عبارة عن قرار أصدرته مدينة قوريني ويحدد تفاصيل حفل ديني أقيم اعراباً عن مشاعر المدينة بالشكر لصدور قرار العفو. والنص الثاني قرار يستخلص منه أنه قد وجهت اتهامات خطيرة إلى بعض رجال قوريني إلاّ أن العدالة ستأخذ مجراها ولن تصادر ممتلكاتهم بل سوف تؤول إلى ورثتهم. والنص الثالث عبارة عن خطاب موجه من الحكام إلى مواطني قوريني وخطاب آخر موجه من الحكام إلى موظفي الحكومة، والنص الرابع يشير إلى نوعين من الأراضي إحداهما التي انتقلت ملكيتها إلى التاج والنوع الآخر لا يزال أمرها معلقاً لأن أصحابها كانوا لا يزالون رهن المحاكمة. ويوضح النص أنه لا يجوز الحجز عليها أو اعتقال عبيد ملاكها إلاّ بإجراء قضائي - أنظر S. E. G., IX, 5. وتعليق روستونترف Rostovtzeff, op. cit., pp. 332-1542.

وقعت في هذه الفترة اضطربات شديدة في قورينى نتيجة لمغالاة الموظفين في استخدام سلطتهم أدت إلى اعتقال بعض الشخصيات البارزة ومصادرة أملاك البعض الآخر مما حدا بالملك إلى إصدار العفو أملاً في وضع الأمور في نصابها. فهل كان لأبيون يد في هذه الأحداث ليستغلها في الاستغلال بقورينائية؟ هذا ما يتعذر علينا الإجابة عنه في ضوء معلوماتنا الحالية.

وفي عام 107ق.م استغل بطلميوس أبيون الصراع بين بطلميوس التاسع وكليوباترا الثالثة الذي أفضى إلى طرد بطلميوس التاسع، فأعلن استقلاله بقورينائية ولكي يفوز بتأييد روما اقتفى أثر والده فأوصى بالإقليم لروما بعد وفاته. ولذلك عندما توفي عام 96ق.م انتقلت ملكية الإقليم إلى الشعب الروماني تنفيذاً لوصيته. واكتفى مجلس الشيوخ الروماني بوضع يده على الأراضي الملكية (γη Βασιλικη)[1] وفرض ضريبة على نبات السلفيوم[2]. وفي سنة 74ق.م ضمت قورينائية إلى كريت وأصبحتا تؤلفان ولاية رومانية واحدة[3] وبذلك دخلت قورينائية عصراً جديداً.

وهكذا وبعد هذا العرض لتاريخ قورينائية السياسي في هذه الفترة يتضح لنا أن علاقتها بمصر لم تكن على وتيرة واحدة بل إن طابعها متغير وذلك على النحو التالي:

1 ـ من عام 322ق.م حتى عام 246ق.م كان يحكمها نائب عن ملك مصر.

2 ـ من عام 246ق.م حتى عام 163ق.م كانت تحت حكم الملك البطلمي

---

(1) يشير روستونتزف نقلاً عن شيشرون أن الأراضي الملكية تحولت بعد تنفيذ وصية أبيون لأن تكون أراضي عامة للشعب الروماني Ager Publicus Populi Romani
أنظر Bostovtzeff, op. cit., p. 851.

(2) إبراهيم نصحي ـ نفس المرجع ـ ص 235.

(3) Strabo, XV II, 21.

مباشرة وتعتبر جزءاً من مملكة البطالمة.

3 ـ من عام 163ق.م حتى عام 145ق.م كانت مملكة مستقلة.

4 ـ من عام 145ق.م حتى عام 107ق.م أصبحت ثانية تابعة لمصر ويحكمها نائب عن الملك البطلمي.

5 ـ من عام 107ق.م حتى عام 96ق.م أصبحت من جديد مملكة مستقلة تحت حكم بطلميوس أبيون.

ثانياً ـ الحالة الاقتصادية

عندما تدخل بطليموس في الصراع القائم في إقليم قورينائية وأرسل قائده أوفيلاس الذي استولى على الإقليم، كان يعي تماماً أهمية هذا الإقليم من الناحية الاقتصادية لإمبراطوريته، التي كان يعد العدة لتكوينها على أنقاض إمبراطورية الإسكندر.

ونحن نعرف أن قوريني، وربما مدن قورينائية الأخرى، قد أعلنت ولاءها للإسكندر الذي كان في طريقه إلى معبد آمون في واحة سيوة. إذ قدم وفد من الإقليم إلى براتينيوم يحمل هدايا ثمينة إلى الإسكندر كاعتراف بتعيينهم له. كما تحدثنا في السابق عن أهمية الإقليم من الناحية الاقتصادية، فهو أحد مخازن الغلال في العالم القديم، وموطن من أهم المواطن لتربية الخيول، التي كان البطالمة في حاجة ملحة إليها. كما أنه يكاد يكون الإقليم الوحيد المصدّر للسلفيوم[1]، الذي كان من أهم السلع الرائجة في تلك الفترة. كما وأن الإقليم كان يعتبر من أهم المراكز التجارية لموقعه الممتاز بين البحر المتوسط وأواسط أفريقيا من ناحية، وبين مصر وقرطاجة من ناحية أخرى. هذا فضلاً عن ثروته الزراعية الهائلة التي تحدثنا عنها في الفصل السابق.

وعلى هذا الأساس فلا بد أن هذا الإقليم قد مثّل جانباً أساسياً من إمبراطورية البطالمة. ولكن معلوماتنا ليست كثيرة عن العلاقات الاقتصادية التي كانت قائمة بين البطالمة وممتلكاتهم الأجنبية. وكان يهمنا بصفة خاصة إلى أي حد طبّق البطالمة أسس اقتصادهم الموجه في مصر في هذه الإمبراطورية، وخاصة في إقليم قورينائية، الذي كان يحتل مكاناً مميزاً، لأنه كان بمثابة امتداد لمصر ويحكمه أحد أمراء البيت البطلمي[2].

(1) P. M. Fraser, Ptolemaic Alexandria, Oxford 1972, p. 151.

(2) Rostovtzeff, op. cit., p. 333.

والحقيقة فإن نفس المراجع الخاصة بإقليم قورينائية في هذا الموضوع تجعلنا نعتمد على الاستنتاج وعلى دراسة معاملة البطالمة للأقاليم الأخرى التي سيطروا عليها.

الزراعة

ونعرف في مجال الزراعة أن قورينائية كانت إقليماً زراعياً مثلما هو الحال في مصر. ولما كان البطالمة قد حاولوا استغلال الأراضي الزراعية في مصر إلى أقصى حد ممكن وذلك باستصلاح أراضٍ جديدة في منطقة الفيوم والدلتا[1] لمنح إقطاعات منها لجنودهم ولسد حاجة السكان من المواد الزراعية وتصدير الفائض، فلا يستبعد أن يكون البطالمة قد عملوا نفس الشيء بالنسبة لإقليم قورينائية. لأن سترابون[2] وهو يتحدث عن عصر «سلا» قسّم سكان قوريني إلى عناصر كان من بينها عنصر Georgoi. وهؤلاء ربما كانوا يزرعون أرض المدينة أو أرض الملك، وربما شملت طبقة الزراعيين هذه جنوداً مرتزقة استقروا في ريف قورينائية بوصفهم أصحاب إقطاعات، كما كان الحال في مصر خلال عصر البطالمة[3]. وربما كان أيضاً من بين الـ Georgoi ملاك للأرض، والبعض الآخر مستأجرين لأرض الملك الذي كان واحداً من كبار الملاك[4].

ومن الطبيعي أن يصحب استصلاح الأراضي إنشاء قرى جديدة. وهناك نقش[5] عثر عليه في الإقليم يتحدث عن القرية القورينائية باعتبارها وحدة

---

(1) إبراهيم نصحي، مصر في عصر البطالمة ـ الجزء الثالث، ص 4.

(2) Rostovtzeff, op. cit., p. 333.

(3) Rostovtzeff, op. cit., p. 333.

(4) Idem, p. 310.

(5) S. E. G. IX, 354.

إدارية، لها نظامها الإداري، وتمتلك مخزناً للغلال خاصاً بها. وبصفة عامة فقد كانت قورينائية بلداً مكوناً من عدة قرى وقليل من المدن طيلة العصر الهلينستي واستمرت هكذا حتى العصر البيزنطي[1].

ومن أقوال الكتّاب القدامى ونقوش الداميورجوي، التي أشرنا إليها سابقاً، والنقش الخاص بمنح قوريني لأكثر من أربعين مدينة يونانية أكثر من 800 ألف ميدمني من القمح أثناء فترة المجاعة في بلاد اليونان (330 ـ 326ق.م)[2]، نعرف شهرة إقليم قورينائية في إنتاج القمح. هذا فضلاً عن شهرته في زراعة الشعير وعلف الماشية والزيتون والبقول والفواكه وغيرها من المواد الغذائية. ولما كان البطالمة قد حاولوا زيادة إنتاج حاصلاتهم الزراعية في مصر وإدخال أنواع جديدة من الحاصلات[3]، فلا بد أن يكونوا قد فعلوا نفس الشيء بالنسبة لإقليم قورينائية. خاصة أننا أثناء دراستنا لنقوش الداميورجوي لاحظنا وجود بعض المحاصيل الجديدة التي ترجع إلى القرن الثالث ق.م[4] والقرن الثاني ق.م[5] ومنها: البصل *Κρημμυα* والثوم *Σχοραδα* والفول *Κυαμοι* والعدس *Φακοι* والحمص *Ερεβινθοι* واللوز بنوعيه الأخضر واليابس *Αμυγδαλαι σκληραι*.

وتتميز نقوش القرن الثاني ق.م الخاصة بحسابات الداميورجوي بتحديد أسعار كل سلعة بنفس الطريقة التي يحددها في مصر الأويكونومس Oikonomos[6]. ولعل تجاوز سلطات أو اختصاصات الداميورجوي إلى

---

(1) Rostovtzeff, op. cit., p. 333.

(2) P. M. Fraser, op. cit., p. 151.

(3) إبراهيم نصحي، نفس المرجع، جـ 3، ص 12.

(4) S. E. G. IX, 32, 35, Oliverio, PA 1, vol. I, Fas II, 31, 34.

(5) S. E. G. IX, 39, 41, 42, 43; Oliverio, 38, 40, 41, 42.

(6) كان الأويكونومس في مصر مسؤولاً عن كل شؤون الزراعة وتربية الماشية وأراضي المراعي والصناعة والتجارة والنقل. وهو الذي اختار ملتزمي الضرائب وتعاقد معهم =

تحديد أسعار السلع، التي لم نصادفها في نقوش القرن الخامس والرابع والثالث ق.م، يدل على التوسع في اختصاصاتهم وعلى وجود تشابه بين السياسة البطلمية الاقتصادية في كل من مصر وقورينائية. ولعله يحسن في هذا المجال ترجمة بعض نقوش القرن الثاني ق.م حيث نتبيّن منها أنواع الحاصلات الزراعية التي كان ينتجها إقليم قورينائية متمثلة في الأراضي التي كان الداميورجوي يقومون بتسجيل حسابات منتجاتها وتحديد أسعار كل سلعة. هذا بالإضافة إلى وحدة الميزان والمكيال المستخدمة في ذلك:

النقش رقم 38[1]

يساوي ميدمني البصل 3 دراخمات.

يساوي متريت الزيت 7 دراخمات.

يساوي ميدمني الزيتون 2 دراخما.

النقش رقم 40[2]

أسعار المواد في الثلاثة أشهر الأولى		في الثلاثة أشهر التالية
القمح يساوي المدمني	5 دراخمات	–
الشعير يساوي الميدمني	2 «1 اوبل»	–
الفول يساوي الميدمني	5 دراخمات	–
البسلة يساوي الميدمني	5 دراخمات	–
العدس يساوي الميدمني	7 دراخمات	–

= وراقب أعمالهم وحاسبهم شهرياً، وكان يراجع كل ما يدفع لحساب الدولة نقداً كان أو نوعاً. وباختصار كان مدير الحياة الاقتصادية المحلي. ثم قُسمت في القرن الثاني اختصاصات الأويكونوس الواحد بين شخصين أحدهما اختص بجمع بموارد الدولة النقدية والآخر بالموارد النوعية، أنظر إبراهيم نصحي، نفس المرجع، جـ 3، من ص 143 ـ 146.

(1) G. Oliverio, D.A. 1, 38. S.E.G. IX, 39.

(2) Idem. 39. Idem. 40.

بقول أخرى يساوي الميدمني	3 دراخمات	3 دراخمات
الكمون يساوي الميدمني	7 دراخمات	8 دراخمات
اللوز الأخضر يساوي الميدمني	15 دراخمات	15 دراخمات
اللوز اليابس يساوي الميدمني	–	6 دراخمات
الزيت يساوي المتريت	–	8 دراخمات
النبيذ يساوي المتريت	–	7 دراخمات
التين يساوي التالنت	–	6 دراخمات
الزيت يساوي التالنت	–	7 دراخمات
الثوم يساوي التالنت	–	8 دراخمات
البصل يساوي التالنت	–	4 دراخمات
الخرطان المزروع تساوي العربة	–	40 درخماً
الخرطان البري تساوي العربة	–	20 درخماً
التبن تساوي الشبكة	–	10 دراخمات[1]

النقش رقم 41[2]

أسعار المواد في الثلاثة أشهر الأولى		في الثلاثة أشهر التالية
القمح يساوي الميدمني	2 دراخما 2 اوبل	–
الشعير يساوي الميدمني	2 دراخما 4 اوبل	–
الفول يساوي الميدمني	4 دراخما 2 اوبل	–
البسلة يساوي الميدمني	7 دراخما 2 اوبل	–
العدس يساوي الميدمني	7 دراخما 7 اوبل	–
بقول أخرى يساوي الميدمني	3 دراخما 6 اوبل	–

نستنتج من هذه والبسلة والعدس واللوز 43.488 لتراً[3]. وإن النقوش أن وحدة وزن تسمى الميدمني الزيت والنبيذ يُقدر القمح والشعير والفول *Msδiμνos* حيث يساوي بوحدة كيل تسمى

(1) A. G. Woodhead, The Study of Greek inscriptions, Cambridge, 1959, pp.109-10-11.

(2) G. Oliverio, D.A. 1, 41, S. E. G. 42.

(3) G. Oliverio, op. cit., pp. 140, 141.

المتريت Μετρητης حيث يساوي متريت الزيت 32.6 لتراً ومتريت النبيذ 21.75 لتراً[1]. وإن التين والزبيب والثوم والبصل يقدر وزنه بالتالنت الذي عادل 25.75 كيلو غرام في حين أن الخرطان كان يقدر بالعربة Αμαξα والتبن بشبكة من الحبال تسمى Πιτος.

كما نستنتج منها أيضاً أن الحاصلات القديمة كالقمح والشعير قد استمر انتاجها، هذا بالإضافة إلى ظهور بعض المنتجات الأخرى التي ترجع للقرن الثاني ق.م... ولعل البطالمة هم الذين أدخلوها إلى الإقليم وتوسعوا في زراعتها. كما نتبين من هذه النقوش أيضاً رخص أسعار المنتجات الزراعية إذا ما قورنت بمثيلاتها في البلاد الأخرى في تلك الفترة[2].

ويشير روستوفتزف[3] أن البطالمة قد سيطروا على تجارة القمح لأنه كانت تحت أيديهم البلاد المنتجة له مثل قبرص وفينيقيا وقورينائية بجانب مصر. وبذلك أتيحت لهم سلطة التحكم في سوق الغلال العالمي، وتوسعوا في زراعة الأراضي التي تنتج قمحاً في مصر. فهل فعل البطالمة نفس الشيء وتوسعوا في إنتاج القمح في إقليم قورينائية؟ ربما كان كذلك لأننا نعلم شهرة الإقليم بإنتاجه عالمياً ومن فترة سابقة للعصر البطلمي، حتى إن الإقليم كان يقدم القمح إلى الملك «دارا» كجزية[4]. هذا بالإضافة إلى النقش المشهور الذي تحدثنا عنه سابقاً، حيث استطاعت قوريني أن تمدّ أكثر من أربعين مدينة يونانية بالقمح خلال فترة المجاعة، كما أن نقوش الداميورجوي توضح لنا كثرة إنتاجه واعتدال أسعاره. وفي هذا الصدد يشير البعض[5] إلى أنه في بداية

---

(1) Idem, pp. 141.

(2) G. Oliverio, op. cit., p. 105.

(3) Rostovtzeff, op. cit., p. 360.

(4) Herodotus. III. 91.

(5) W. S. Ferguson, Hellenistic Athens, New York, 1969, p. 67.

العصر الهلينستي هاجر بعض الناس على شكل جماعات من أثينا إلى قوريني بسبب زيادة أسعار القمح واللحوم إلى ثلاثة أمثال ما كانت عليه، فأدى ذلك إلى هجرة الناس خارج أثينا. ولما كانت قوريني ذات مكانة اقتصادية مرموقة اتجه الناس إليها بأعداد كبيرة حيث جند منهم أوفيلاس فرقاً كثيرة في أثناء حملته ضد قرطاجة[1].

وقد اهتم البطالمة بتربية الحيوانات لأنها تتصل بالزراعة اتصالاً وثيقاً، فهي التي تقوم بالأعمال الزراعية، فضلاً عن حاجة الناس إلى لحومها وأصوافها وألبانها. ولما كان إقليم قورينائية غنياً بمراعيه زاخراً بحيواناته فلا بد وأن يكون محط أنظار البطالمة.

وقد تحدثنا في الفصل السابق عن أهم الحيوانات التي تُربى في الإقليم. وفي هذا الفصل اقتصرنا على عرض اهتمام البطالمة بالأغنام والخيول. فيقول البعض[2] إنه في عصر بطليموس الثاني جلبت أغنام من مليتوس وحضر معها رعاة ملمّون بفن تربيتها. وأحضرت أيضاً أغنام من بلاد العرب وآسيا الصغرى. كل ذلك من أجل أصوافها التي كانت لها أهمية كبيرة لتزويدهم بما يحتاجون إليه من الملابس الصوفية. ولما كنا نعرف شهرة إقليم قورينائية بتصدير الأصواف[3] وقربه بالنسبة إلى مصر، فلا يستبعد أن يكون البطالمة قد جلبوا منه الأغنام. ولعلهم قد أحضروا كذلك بعض الرعاة مثلما فعلوا مع أغنام مليتوس وبلاد العرب وآسيا الصغرى. ومثلما فعل الفراعنة عندما جلبوا الأبقار من الإقليم وأحضروا معها بعض الرعاة من قبائل المشوش حيث أشرنا إلى ذلك سابقاً. وهنا يحسن الإشارة إلى أنه عُثر في مدينة بطوليمايس على ميزان من البرونز كان يستخدم في تقدير وزن الصوف المغزول[4].

---

(1) Idem p. 67.

(2) إبراهيم نصحي، نفس المرجع السابق، جـ 3، ص 21.

(3) F. Chamoux, op. cit., p. 241; W. Tam, Hellenistic Civilizations, p 256.

(4) H. Kraeling, op. cit., p. 271.

وبالنسبة للخيول فإن الخيول القورينائية لا تضارعها خيول في العالم القديم، حيث اشتهرت بسرعتها الفائقة في الألعاب الرياضية وكانت محط أنظار الملوك[1]. وكان الليبيون من أشهر الناس في تربيتها، فلا بد وأن يكون البطالمة قد تهافتوا على اقتنائها لاستخدامها في النقل والصيد وبوجه خاص في حروبهم الكثيرة. حيث يؤكد المؤرخون هذه الحقيقة[2] حتى إن روستوفتزف[3] يظن أنه كان للبطالمة إصطبلات لتربية الخيول في الإقليم. ولعل الليبيين هم الذين أشرفوا عليها لدرايتهم بفن تربيتها.

الصناعة

ومن الطبيعي أن تقوم في إقليم غني بحاصلاته الزراعية بعض الصناعات التي تعتمد أساساً على هذه الحاصلات، ومن أشهرها صناعة الزيت خاصة، لأن الإقليم اشتهر بكثرة أشجار الزيتون، التي أشار ثيوفراستوس[4] بأنها من النوع الذي يعطي زيتاً كثيراً. كما أن حسابات الداميورجوي[5] تشير إلى كثرة الزيت الذي يباع في الأسواق العامة. ولما كان البطالمة قد اهتموا بهذه الصناعة في مصر اهتماماً كبيراً إلى حد احتكارها[6] فلا يستبعد أن يكونوا قد فعلوا الشيء نفسه بالنسبة لإقليم قورينائية.

---

(1) Strabo, XVII, 19.

(2) إبراهيم نصحي، نفس المرجع، جـ 3، من ص 19 ـ 42، وأنظر أيضاً: Rostovtzeff, op. cit., pp. 293, 381, 385, 396.

(3) Rostovtzeff, op. cit., p. 385.

(4) Theophrastus, IV, III.

(5) S. E. G. IX, 11, 12, 13, 14, 15. Oliverio, DA 1, vol. I Fas II, 10, 11, 12, 13, 14.

(6) إبراهيم نصحي، نفس المرجع، جـ 3، ص 31.

وقد أشرنا سابقاً إلى كثرة الأشجار التي نمت في الإقليم إلى حد أنه اشتهر بالأخشاب، فلا بد أن صناعة للأخشاب قد قامت فيه، وساعد عليها رواج التجارة. ويرى البعض[1] أن الإقليم كان يصدر هذه الأخشاب إلى مصر وخاصة الخشب المعروف باسم الثويا. كما اشتهر الإقليم بزراعة الكروم وحسابات الداميورجوي فيها الدليل على كثرته وتعدد أنواعه حيث قامت عليه صناعة النبيذ، ويرى شامو[2] أنه من النوع الجيد. هذا بالإضافة إلى صناعة طحن الحبوب، حيث اشتهر الإقليم بكثرة انتاجه منها وخاصة القمح. وقد أشير إلى دقيق القمح *Σπυραμίνα* في حسابات الداميورجوي[3] وذلك لخبز العيش.

ويشيد البعض[4] بلحوم قورينائية. ونحن نعرف شهرة الإقليم بتربية الحيوانات وأن لحومها من النوع اللذيذ لأنه تغذى على السلفيوم، الذي يُكسب اللحم طعماً مميزاً لذيذاً. ولكننا لا نعرف الطريقة التي كان تتبع في حفظ هذه اللحوم.

وهناك صناعة العطور، لأن الإقليم اشتهر بكثرة أزهاره، وأشاد ثيوفراستوس[5] برائحة عطورها الزكية، ولا شك في أنها مرغوبة في العالم الهلينستي. وإلى جانب هذه الصناعات لا بد من وجود صناعة الأواني الفخارية، التي تحفظ فيها الحبوب والخمور والعطور وغيرها. ويرى روستوفتزف[6] بوجود مصانع محلية في قوريني لصناعة الأواني الفخارية

---

(1) إبراهيم نصحي، نفس المرجع، جـ 3، ص 32.

(2) F. Chamoux, op. cit., p. 232.

(3) S. E. G. IX, 13. Oliverio, D. A. I., vol. I, Fas 11, 12.

(4) إبراهيم نصحي، نفس المرجع، جـ 3، ص 32.

(5) Theophrastus, VI, VI.

(6) Rostovizeff, op. cit., p. 616.

والتماثيل الصغيرة. وبدأت هذه المصانع بإنتاج نماذج تقلد فيها الصناعات اليونانية ونماذج من جنوب إيطاليا، وما لبثت أن استخدمت نماذج خاصة بها. ويشير فريرز[1] أن مجموعة بيناكي تضم خمسة مقابض لأواني فخارية مصنوعة من فخار متميز وتحمل إسم Καρνηδας ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث/ الثاني ق.م... وهذه الحروف تعني القورينائي وهو إسم شاع في إقليم قورينائية لعلها مصنوعة في قوريني.

هذا بالإضافة إلى تماثيل الطين المشوي Terra Cotta، التي كانت موجودة في كل المدن اليونانية أو المناطق الريفية ومنها بطبيعة الحال قورينائية[2].

وفي هذا المجال لا بد من الإشارة إلى سك العملة، لأنها تعتبر من الصناعات ذات الأهمية الاقتصادية الكبيرة، فضلاً عن أنها تمدنا بمعلومات وافية عن مدى رخاء الإقليم وأهميته بالنسبة للعالم. فنحن نعرف أن الإقليم كان على اتصال وثيق ببلاد اليونان في الوقت الذي كان فيه على اتصال مستمر مع مصر. وكانت هذه المناطق تتعامل تجارياً عن طريق العملة، ولهذا سكت المدن القورينائية نقودها من معادن مختلفة وبكميات كبيرة من الذهب والفضة والبرونز. ويدل ذلك على تقدم اقتصادي كبير. وقد أشرنا سابقاً إلى أن العملة ظهرت لأول مرة في الإقليم حوالي سنة 560ق.م[3]، وأن المعدن الذي سُكت منه كانت تستورده لعدم وجود معادن في الإقليم. كما أشرنا إلى أن الرمز الذي فضل للعملة هو نبات السلفيوم، وإن كانت هناك رموز أخرى أضيفت إليه مثل العربات التي تجرها الخيول ورأس زيوس أمون وغيرها[4].

---

(1) P. M. Fraser, op. cit., p. 172.

(2) Rostovtzeff, op. cit., p. 212.

(3) C. Seltman, Greek Coins, London, 1963, p. 82.

(4) E. S. G. Robinson, op. cit.

وسنحاول في ما يلي أخذ نبذة موجزة عن النقود في العصر البطلمي، التي سكّت في الإقليم، لأن دراسة النقود التي سكّها البطالمة في إمبراطوريتهم خارجة عن موضوعنا هذا. كما أننا لا ندخل في التفاصيل الفنية لهذه النقود لأن الأمر يحتاج إلى مزيد من البحث، والذي له أطر أخرى:

ففي عصر بطليموس الأول سُكت في الإقليم نقودٌ من البرونز والذهب. وكانت النقود البرونزية تُستخدم بصفة خاصة للاستعمال المحلي[1]. وكان بطليموس يحمل لقب ملك *Basilsus*[2]. إلاّ أنه عُثر على قطعة برونزية تحمل إسم بطلميوس مجرد من لقبه الملكي[3]. وكانت هذه النقود على القاعدة الفينيقية[4] لتسهيل التجارة مع المدن الفينيقية. وبعد غزو ماجاس للإقليم سنة 308ق.م. سُكت النقود في مدينة قوريني وربما في مدن قورينائية الأخر من الفضة والبرونز[5]، وتحمل إسم بطليموس وبرينيكي بألقابهما الملكية ومعهما إسم ماجاس[6].

وحوالي عام 300ق.م طبقت قرطاجة القاعدة البطلمية للنقود التي

---

(1) Idem. p. CXIVII.

(2) Idem.

(3) PL. XXVIII. 18.

(4) P. CXI.

ويقول روستوفتزف أن البطالمة قد فرضوا طرازاً معيناً من العملة على مستعمراتهم وهو الطراز الفينيقي، ويعلل سبب ذلك أنه يرجع إلى تجارة القوافل التي كانت في يد الفينيقيين التي وجدت لها سوقاً ممتازاً في قرطاجة.

(5) Robinson, op. cit., p. CXXXIX.

(6) يرى بعض الباحثين أن هذه النقود سكت في الإقليم في السنوات التي تلت غزو ماجاس بين سنة 301 ـ 298 وتكون الملكة هي برينيكي الأولى، وماجاس ابنها. بينما يرى البعض الآخر أنها ترجع إلى 283 ـ 247 وتكون الملكة هي برينيكي الثانية وماجاس أبوها. إلاّ أن روبنسون يرجح الرأي الأول، أنظر: Robinson p. CIII.

أخذت في سكها، وساد في قبرص ومصر وفلسطين وقورينائية وقرطاجة نظام موحد لوزن النقود[1]. ويدل ذلك على علاقات تجارية قوية بين هذه المناطق، ولعل هذا النظام قد انتقل إلى قرطاجة عن طريق قورينائية.

واستمرت مدن قورينائية تسك عملتها طيلة العصر البطلمي وخاصة قوريني. أما مدينة برقة فيبدو أنها توقفت عن سك العملة في القرن الثالث[2]، وانتقلت هذه الصناعة إلى مدينة بطوليمايس التي حلت محلها وازدهرت في هذا العصر[3]، وأخذت مكان برقة في الأهمية الاقتصادية بسبب موقعها الممتاز بين مصر وقرطاجة. وقد عثر على نقود ترجع إلى القرن الثاني لعلها سكت في هذه المدينة[4]. أما مدينة يوسبيريدس فقد سكت نقودها على نمط نقود قوريني وبرقة وبعدها بطوليمايس. وزاد نشاط السك في هذه الفترة، ولعل ذلك راجع إلى ازدهار التجارة بين مصر وقرطاجة عن طريقها، وكان رمز العملة فيها هو غصن التفاح[5].

التجارة

وفي مجال التجارة فقد أشرنا في الفصل السابق إلى أن الإقليم كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً مع بلاد اليونان ومصر وآسيا حيث كان يصدر إليها السلفيوم والخيول والقمح والأخشاب والصوف وجلود الحيوانات، ويستورد منها الفخار والرخام والمعادن.

وليس هناك ما يمنع من استمرار الإقليم في علاقته التجارية مع هذه

---

(1) C. Seltman op. cit., p. 249.

(2) Robinson, op. cit., p. CIXVI.

(3) أنظر إبراهيم نصحي، إنشاء قوريني وشقيقاتها، ص 93 وما بعدها.

(4) Robinson, op. cit., p. CIVVII.

(5) Idem. p. CIXXXIX, PLXXXVIII, 6.

المناطق، خلال العصر البطلمي، خاصة وأننا نعلم اهتمام البطالمة بالتجارة الخارجية وتدعيمها، وقد ساعدهم في ذلك الاحتفاظ بجيش وأسطول قويين[1]. فقد صُدّر السلفيوم إلى أغلب أنحاء العالم الهلينستي، والخيول والأخشاب إلى مصر، والقمح إلى بلاد اليونان، والصوف إلى ساموس ومصر، وجلود الحيوانات إلى أثينا. واستورد الفخار من بلاد اليونان والرخام من جزر السكلاديس وأثينا[2]. أما بالنسبة للمعادن فربما استوردها الإقليم من إسبانيا وقبرص عن طريق مصر وقرطاجة. فقد كانت إسبانيا تنتج الذهب[3] والفضة[4]، وكانت قبرص تنتج النحاس[5]. ولعل الإقليم لم يقتصر على تصدير واستيراد هذه المواد من تلك المناطق وإليها فحسب، بل لعل هناك مناطق أخرى تعامل معها تجارياً، إذ ليس هناك ما يمنع من وجود هذه العلاقة.

وفي ما يتعلق بالعلاقات التجارية بين الإقليم ومصر في هذه الفترة فمعلوماتنا عنها قليلة جداً، فلا نعرف كيف كانت تنظم التجارة بينهما. وكيف ضمن البطالمة إستيراد منتجات الإقليم من سلع أساسية كالأخشاب والخيل والقمح عندما تحتاج إليه مصر.

ويشير روستوفتزف[6] أن القمح لعله يأتي من الأراضي الملكية! ونحن

---

(1) إبراهيم نصحي ـ مصر في عصر البطالمة ـ جـ 3 ـ ص 42.
هذه الفترة سابقة للعصر الهلينستي وليس هناك ما يمنع من استمرار العلاقة التجارية في العصر الهلينستي.

(2) F. Chamoux, op. cit., p. 375.

(3) W. Tam, op. cit., p. 252.

(4) W. Tam, op. cit., p. 252; Rostovtzeff, op. cit., p. 396.

(5) Rostovtzeff, op. cit., p. 381.

(6) Rostovtzeff, op. cit., p. 385.

نتساءل: هل الأراضي الملكية أصلاً هي أراضي ملوك باتوس؟ والتي أشرف على منتجاتها الداميورجوي؟ ربما أشير إلى الأراضي الملكية في العصر الروماني، التي تحولت بعد وصية بطلميوس أبيون لأن تكون أراضي عامة للشعب الروماني[1].

ويشير روستوفتزف كذلك إلى أن الغابات في ولاياتهم كانت ملكيتهم الخاصة، وكانوا يديرونها إدارة مباشرة[2]. وأن لهم في الإقليم إصطبلات خيول[3] ولكن ذلك لا يخرج عن تخمين إذ ليس هناك ما يقطع بصحته.

أما بالنسبة لعلاقة الإقليم بالبلاد الأجنبية فقد كان التجار لهم يد طليقة في هذه العلاقة بعكس العلاقة مع مصر، حيث كانوا يخضعون لقيود نظراً لسياسة البطالمة المبنية على الإحتكار[4].

ورغم أن العلاقة بين قورينائية ومصر كانت في هذه الفترة وثيقة، حيث كان الإقليم من الناحية السياسية تابعاً للبطالمة معظم فترات العصر البطلمي[5] وحتى في فترات الانفصال، فلم يتأثر الاتصال بينهما بشكل كبير. وبالرغم من كثرة منتجات الإقليم، التي كانت تصدر إلى الخارج وكثرة صادرات مصر، إلاّ أن الإشارات إلى السلع القورينائية في مصر نادرة جداً. وفي الوقت نفسه فإن الإشارات للسلع المصرية في قورينائية طفيفة. ويبدو أن السلع المصرية الوحيدة[6] التي عثر عليها في الإقليم هو ذلك الإناء الخزفي Faience ذو اللون

---

(1) Idem. p. 815.

(2) Idem. p. 385.

(3) Idem, p. 385.

(4) Idem, p. 385.

(5) P. M. Fraser, op. cit., p. 151.

(6) يقرر فريزر في تعليقه على كتاب A. Rowe, New Lighton Aegypt - Cyrenaen relations.

من ص 62 إلى ص 76 بأن تفسير Rowe للنقوش الهيروغليفية خطأ، ويقول إن =

الأخضر الضارب إلى الزرقة. وقد عثر عليه في بنغازي وتظهر عليه الملكة برينيكي الثانية وهي تلبس تاجاً ملكياً وتحمل في يدها اليسرى قرن الخصب Cornu-Copia مليئاً بالفاكهة وسنابل القمح. ويرى روستوفتزف[1] أن هذا النوع كان يباع في مصر وممتلكات البطالمة في المعابد. وبعد استخدامها كانت تؤخذ إلى المنازل للذكرى. ويشير فريزر[2] أن هذا الإناء مصري صُدّر إلى قورينائية. ويعلل أسباب قلة التجارة بين مصر وقورينائية إلى أن إقليم قورينائية بأراضيه الزراعية المتسعة لا بد وأنه حقق لنفسه كفاية ذاتية على الأقل في السلع المصرية. وهذا هو السبب في عدم كثرة السلع المصرية في قورينائية[3]. والحقيقة أن كلام فريزر صحيح إلى حد كبير وخاصة في ما يتعلق بالمنتجات الزراعية، لأن الظروف المناخية تكاد تكون واحدة. ونحن يمكن أن نضيف أن كل منتجات قوريني كانت حكراً للبطالمة ولعل هذا هو السر الذي كان كامناً وراء رغبة كل ملك بطلمي تطحنه المنازعات أن يرضى بأيلولة قورينائية إلى روما وهو ما نفهمه من وصية بطلميوس آبيون، الذي أراد أن ينتقم من خصومه. ويشير البعض[4] إلى أن قوريني عانت من منافسة الإسكندرية التي كانت في موقع أفضل أكثر من قوريني باعتبارها منفذاً لتجارة وسط أفريقيا. ولا بد وأن تكون قوريني عانت من هذه المنافسة طالما أن هناك اتصالاً مع وادي النيل. وقد خلفت الإسكندرية نقراطيس، ولكن الحال لم يكن كذلك بالنسبة لداخلية قوريني. وبالرغم من هذه المنافسة إلاّ أن اقتصاد قوريني لم يتأثر بشكل كبير لأنه نبع من إقليمها الخصب هذا فضلاً عن موقع

= التمثالين ربما كانا زخارف في معبد أو قصر من العصر الروماني، أنظر: ملاحظة فريزر رقم 163 ص 264 الجزء الثاني نفس المرجع.

(1) لوحة رقم XXXVI ص 271 .Rostovtzeff, op. cit., p. 368

(2) P. M. Fraser, op. cit., p. 151.

(3) Idem p. 152.

(4) C. H. Coster, op. cit., p. 23.

الإقليم في مواجهة بلاد اليونان، ولسهولة الإتصال البحري بين قوريني ومناطق جنوب البحر المتوسط. ومن الطبيعي أن يكون لموانىء الإقليم دور كبير في ارتباطه التجاري بمناطق العالم الهلينستي الأخرى. ولا بد أن البطالمة قد شعروا بأهمية هذه الموانىء، خاصة وأن مصر كانت أول دولة هلينستية أنشأت علاقات مع روما في عهد بطلميوس فيلادلفوس[1]. وكانت العلاقات مع قرطاجة قوية جداً، حتى أن قرطاجة اتخذت نظام النقد البطلمي عندما استخدمت العملة[2]. وقد أدى ذلك إلى قيام علاقات تجارية كبيرة بين مصر وهذه الدول. ولا بد أن موانىء قورينائية قد لعبت دوراً كبيراً في هذه التجارة، لأنها تقع في موقع متوسط بين مصر وهذه الدول. وقد استفادت كثيراً إذ وجدت منتجاتها أسواقاً أخرى. ولعلها استوردت منتجات هذه الدول عن طريق هذه الموانىء، وأدى ذلك إلى ازدهار المدن الساحلية وخاصة مدينتي برينيكي (بنغازي) وبطوليمايس. وقد أشرنا سابقاً إلى أن المدينة الأولى ازدهرت كثيراً في هذه الفترة وزادت من سك عملتها[3]. أما مدينة بطوليمايس فقد كانت تُعرف باسم ميناء برقة، ومن المحتمل أن موقعها قد بدأ يعمر وينمو بمجرد أن بدأت برقة نشاطها التجاري. ونعرف خصوبة سهل برقة في إنتاج القمح هذا فضلاً عن إسهامها في نقل السلفيوم مع قوريني[4]. وكان ميناء بطوليمايس هو المنفذ لداخلية المناطق التي تسيطر على مدينة برقة. وفي العصر البطلمي إزدادت أهمية بطوليمايس لأنها تقع على الساحل حيث تقدم تسهيلات لعملية التبادل التجاري في إمبراطورية تجارية كان البطالمة يعملون على نموها وازدهارها[5]. ولعل إنشاء بطوليماس كمدينة يعود إلى بداية عصر

---

(1) إبراهيم نصحي، نفس المرجع، جـ 3، ص 45.

(2) Seltman, op. cit., p. 249.

(3) Robinsonm op. cit., p. CIXXXIX.

(4) H. Kraeling, op. cit., p. 2.

(5) Idem, p. 5.

بطلميوس الثالث عندما توحّدت قورينائية مع مصر بزواج هذا الملك من برينيكي الثانية إبنة ماجاس. ومن ثم كانت هناك مناسبة لإسباغ بعض التكريم الخاص على مسقط رأس الملكة[1]. وقد ازدادت أهمية المدينة حتى أنها سكت العملة بنفسها[2]. وتدل بقايا منشآت مينائها[3] على أنه قد لعب دوراً كبيراً في تجارة البطالمة. وفي هذا الصدد يشير البعض[4] إلى أن بطوليمايس قدمت للتجارة العالمية ما قدمته قورينائية ككل، حيث كانت تأتي إلى المدينة منتجات سهل برقة التي من أهمها القمح فضلاً عن ثمار المنطقة الساحلية. بالإضافة إلى أنها على اتصال بمنطقة إنتاج السلفيوم، وكانت تتولى توزيعه. ولعلها كانت أيضاً محطة لنقل السلع التجارية بين قرطاجة وروما من ناحية ومصر وبقية العالم الهلينستي من ناحية أخرى. وهكذا ازداد ثراء المدينة حيث كانت خطوط الدفاع عنها كافية والأسواق في شرقي البحر المتوسط مفتوحة، وأدى ذلك كله إلى رخائها. ويتضح ذلك من كثرة الآثار التي لا تزال ظاهرة واتساع مينائها وزيادة عدد سكانها الذين كانوا يتألفون من عنصري ملاك الأرض والتجار[5]. وقد عملوا في نقل تجارة الصادر والوراد وربما كان من بينهم الوكلاء للشركات التي كانت تعمل في المراكز التجارية المهمة في البحر المتوسط. هذا بالإضافة إلى الأعداد المتزايدة من العمال الوطنيين الذين كانوا يعملون في نقل السلع وشحن السفن وتفريغها إلى المخازن التجارية. وكذلك البحارة وقادة السفن والركاب الذين يسافرون من ميناء إلى ميناء. وأخيراً طبقة

---

(1) يرى نصحي أنها نشأت في عصر بطلميوس (1) وأنظر أيضاً: H. Kraeling, op. cit., p. 6.

(2) Robinson, op. cit., p. CIXVI.

(3) H. Kraeling, op. cit., pp. 49-51.

(4) Idem. pp. 9-10.

(5) Idem. p. 8.

صغيرة ولكنها ممتازة تضم ممثلي الحكومة البطلمية في مصر وهذه لا بد أنها كانت تضم حامية عسكرية وقائدها وممثلي الملك في إدارة المدينة والموظفين الماليين[1]. وهكذا ظلت مدينة بطوليمايس مدينة تجارية في أساسها، ولذلك لم تبرز كمركز حضاري أو قاعدة عسكرية.

وفي أواخر العصر الهلينستي، عندما بدأت مصر تفقد مركزها كقوة مسيطرة في شرق البحر المتوسط وزيادة نشاط الملاحين الرومان في نقل المتاجر الرومانية إلى أسواق البحر الإيجي، فإن بطوليمايس لا بد وأن تكون قد تدهورت هي الأخرى في تلك الفترة.

الضرائب

لم يقتصر البطالمة في مواردهم على الزراعة والصناعة والتجارة، بل فرضوا ضرائب شتى على الأقاليم الخاضعة لهم، ومنها بطبيعة الحال إقليم قورينائية. إلاّ أن نقص المراجع الخاصة بالإقليم حول هذا الموضوع يجعلنا نعتمد على القياس بما فعله البطالمة بالنسبة لمصر وعلى دراسة معاملة البطالمة للأقاليم الأخرى التي سيطروا عليها.

لقد فرض البطالمة ضرائب على المدن وأخرى على المناطق الريفية، وكان على مواطني المدن أن يدفعوا الضرائب لحكومة المدينة[2]. كما عين البطالمة موظفاً يدعى Oixovouos، وهو مدير الحياة الاقتصادية المحلي الذي أشرف على كل ما يدفع لحساب الدولة نقداً كان أو عيناً[3]، حيث كانت الضرائب تؤخذ بطريقتين؛ فقد كان التجار والصناع يدفعون الضرائب نقداً

---

(1) Idem.

(2) M. Rostovtzeff, op. cit., p. 334.

(3) إبراهيم نصحي، مصر في عصر البطالمة، جـ 3، ص 143.

وكان الفلاحون يدفعونها عيناً من المحصول كما هو الحال في مصر[1].

وقد ورد في نقش[2] عثر عليه في الإقليم، ذكر وجود مخازن الحبوب لعلها كانت لتخزين حصيلة الضرائب. ومن أهم الضرائب التي أخذها البطالمة من الإقليم تتمثل كما هو الحال في مصر في ضرائب المباني، فقد كان يوجد في مصر ملتزمون لهذه الضريبة. ولكننا لا نستطيع أن نحدد طبيعتها وقيمتها، لأنها في مصر نفسها لم يزل موضوعها غامضاً[3]. كما أخذت ضرائب على العبيد لأن المجتمع القوريني كان يتكون من بعض الطبقات المترفة التي تستخدم العبيد. وقد ورد ذكر العبيد في نقش[4] عثر عليه في الإقليم يشير إلى أنهم لا يتعرضون للمصادرة مع أرض أسيادهم الذين لا يزالون رهن التحقيق حتى تنتهي المحكمة من إصدار حكمها. ولعل هذه المصادرات كانت لها علاقة بالضرائب، هذا بالإضافة إلى الضرائب التي كان البطالمة يأخذونها على السلع التي يحتاجها البطالمة من الإقليم مثل الخيول والأغنام والصوف والأخشاب. وقد أشرنا سابقاً إلى أن البطالمة قد استوردوا هذه الأشياء من الإقليم ولكننا لا نعرف مقدار هذه الضرائب.

أما بالنسبة للسلفيوم فلعل البطالمة قد احتكروا تجارته مثلما كان سائداً في الإقليم في عصر ملوك أسرة باتوس كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

وربما فرض البطالمة أيضاً ضرائب جمركية على السلع التي تصل إلى الإقليم خاصة أنه مزدهر تجارياً. وقد كانت هذه الضرائب تؤخذ في مصر[5]، فربما اتبعوا نفس الشيء بالنسبة لقورينائية. وكذلك الحال بالنسبة للضرائب

---

(1) W. Tam, op. cit., p. 196.

(2) S. E. G. IX, 354.

(3) إبراهيم نصحي، نفس المرجع، جـ 3، ص 348.

(4) S. E. G. IX, 5.

(5) M. Rostovtzeff, op. cit., p. 337.

على الحاصلات الزراعية كالقمح والعنب والنبيذ. وقد اتبع البطالمة في مصر نظام الالتزام في جمع الضرائب لكي يضمنوا الحصول على دخل منتظم من الضرائب النقدية[1] حيث كان حق جمع الضرائب يعلن في مزاد علني لمدة عشرة أيام ويرسو المزاد على من يعرض أكبر مبلغ[2]. ولعل البطالمة طبقوا هذا النظام في قورينائية أيضاً وكان الأويكونوموس هم الذين يشرفون على ملتزمي الضرائب ويراقبون أعمالهم ويحاسبونهم شهرياً[3]، كما كانوا يشرفون على مخازن الحبوب[4].

وهكذا ومن هذا العرض لتاريخ الإقليم الاقتصادي في عصر البطالمة اتضح لنا أنه لعب دوراً كبيراً وأسهم مساهمة فعالة في نمو الاقتصاد إمبراطورية البطالمة. وعندما بدأ الضعف يدب في هذه الإمبراطورية في أواخر العصر الهلينستي لا بد وأن إقليم قورينائية قد تأثر بهذا الوضع وبدأ في التدهور.

---

(1) إبراهيم نصحي، نفس المرجع، جـ 3، ص 388.

(2) نفسه، ص 143.

(3) نفسه، ص 143.

(4) M. Rostovtzeff, op. cit., p. 385.

الفصل السابع

ليبيا في العصر الروماني(*)

(*) معظمه عن موضوع برقة في العصر الروماني، أنظر، 1 ـ إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، جزءان، منشورات الجامعة الليبية، 1971م. 2 ـ عبد الكريم الميار، برقة في العصر الروماني، 1973م.

أولاً - برقة «قورينائية» في العصر الروماني

أولاً - الفترة الأولى
من عام 96ق.م إلى عام 27ق.م

مرّ بنا أنه بوفاة بطليموس أبيون في عام 96ق.م آلت ملكية برقة إلى روما بمقتضى وصية هذا الملك. والواقع أن دخول برقة إلى حظيرة الإمبراطورية الرومانية كان أمراً متوقعاً. فقد تدخلت روما في النزاع بين بطلميوس السادس وأخيه الصغير، وأوصى الأخير ببرقة إلى روما، إذا لم يعقبه وريث ذكر للعرش.

وبعد وفاة بطلميوس في عام 96ق.م لم تبادر روما إلى مباشرة حكم برقة، وإنما اكتفت بالاستيلاء على أملاك التاج، وهي المعروفة بأرض الملك، وبفرض ضريبة على نبات السلفيوم، وسمحت لمدن برقة الخمس أن تتولى بنفسها إدارة شؤونها.

ومعلوماتنا عن هذه الفترة شحيحة، ولكننا نستطيع أن نعرف منها التالي:

أ - لقد أعقب زوال السلطة المركزية، بوفاة بطلميوس أبيون، أحداث تماثل تلك التي أعقبت سقوط أسرة باتوس، أو بعبارة أخرى صراع الديموقراطية والأرستوقراطية. وقد وجدت فيه القبائل الليبية فرصة سانحة للانقضاض على المدن الإغريقية. ووجد فيه أيضاً أحد المغامرين فرصة لإقامة نفسه طاغية على قوريني. ويحدثنا بلوتارخ أن سيدة من قوريني تُدعى آربتافيلا استعانت بزعيم قبيلة ليبية يدعى أنابوس Anabus لاغتيال الطاغية نيكوكراتس المتسلط على مدينة قوريني.

ب ـ إنه في عام 87 ـ 68ق.م، حين كان «سلا» مشتبكاً مع قوات متردات في بلاد الإغريق، زار لوكوللوس مساعد سلا، مصر وقوريني، وطلب منهما المساعدة. وهذا في حد ذاته دليل على إمكانيات قوريني البحرية. ولكن اضطراب الأحوال في الإقليم استرعى إنتباه لوكوللوس، فحاول وضع حد للفوضى التي عمّت البلاد، ولكن جهوده ذهبت أدراج الرياح.

جـ ـ إزاء استفحال خطر القراصنة في البحر المتوسط، الذين كانوا يتخذون من إقليم قورينائية قاعدة لهم، قررت روما في عام 74ق.م تحويل الإقليم هذا إلى ولاية رومانية، ووضعت فيه حامية عسكرية. وكان ماركلينيوس أول حاكم روماني أقيم على قورينائية. ولكن انشغال روما بالاضطرابات الداخلية وبمكافحة القراصنة وتجدد صراعها مع متردات لم تركز اهتمامها على الإقليم وتنظيم شؤونه، مما أدى إلى عدم تحسن أحواله عما كانت عليه من قبل.

د ـ وفي عام 67ق.م، وبعد استيلاء روما على كريت، تقرر دمج برقة وكريت في ولاية واحدة. وركزت روما اهتمامها على استرجاع أملاك التاج، التي كان بعض الأفراد قد وضعوا أيديهم عليها، وكذلك على جمع الضرائب، التي لم تكن تدفع بانتظام.

هـ ـ وعندما نشبت الحرب الأهلية بين بومبي والسيناتو واتباعهما وتقهقرت قوات السيناتو في موقعة فارسالومس عام 48ق.م، تجمع في قوريني عشرة آلاف من أنصار بومبي بقيادة كاتو، ثم قرروا الإبحار إلى ولاية أفريقيا للانضمام إلى باقي أنصار بومبي، الذين كانوا يتجمعون هناك. ولكن الأنواء عصفت بسفنهم إلى شواطىء بيرنيكي. فقرروا العدول عن ركوب البحر والذهاب براً. ولذلك اتخذوا طريق خليج سرت الساحلي كما فعل ذلك من قبل القائد البطلمي أوفيلاس. واستعانوا بأدلاء ليبيين

واستخدموا الحمير لنقل أمتعتهم لأن الجمال كانت لا تزال قليلة عندئذ في ليبيا.

و ـ عندما قتل قيصر وأعقبه الصراع بين قتلته وأنصاره، إنقسم العالم الروماني بين أكتافيوس (أغسطس) وأنطونيوس، وكانت برقة ضمن نصيب أنطونيوس. وأقام أنطونيوس في الإسكندرية حفلاً قسّم فيه الولايات الرومانية في الشرق بين كليوباترا وأبنائها. أقام فيه كليوباترا سليني، وهي التي كانت قد أنجبتها له كليوباترا السابعة، وكانت عندئذ في السادسة من عمرها، أقامها ملكة على برقة في عام 34ق.م، ولا يجوز أن يُفهم من ذلك أن برقة أصبحت عندئذ مملكة مستقلة على نحو ما كانت في عهد بطلميوس الصغير، أو في الشطر الثاني من بطلميوس أبيون، لأنه حين نادى أنطونيوس بكليوباترا ملكة على برقة، نادى أيضاً بأمها كليوباترا السابعة ملكة الملوك، وبأخيها قيصرون ابن كليوباترا قيصر ملك الملوك على سوريا ومصر وقبرص. وتمتد سيادتهما إلى ممالك أبناء كليوباترا الآخرين ومنهم بطبيعة الحال كليوباترا سليني. وفضلاً عن ذلك فإن كل هؤلاء الملوك كانوا تحت سيادة صانعهم أنطونيوس نفسه.

ز ـ عندما بدأ الصراع المسلح بين أنطونيوس وأكتافيوس، وضع أنطونيوس في برقة قوات لتراقب تحركات أكتافيوس في الغرب. وبعد انتصار أكتافيوس في موقعة أكتيوم عهام 31ق.م. انضمت هذه القوات إليه، وانتهت فترة إنفصال قورينائية. واستطاع أغسطس (أكتافيوس) أن يتفاخر باسترداده هذه الولاية لروما.

ح ـ نعرف من قرارات أغسطس المشهورة الخاصة بإقليم قورينائية، أن كلاً من يوليوس قيصر وأغسطس منح بعض مواطني المدن الإغريقية في برقة حقوق المواطنية الرومانية، وأنه كان يستقر في برقة فريق من الرومان كان له شأن في حياتها. وأنه قد كان من جراء الاضطرابات التي كانت برقة

مسرحاً لها، أن ساءت أحوالها الاقتصادية. وقد أسهم في ذلك أن نبات السلفيوم، الذي كان أحد موارد برقة الأساسية، بدأ يقل، وخلفه في العالمية المعروفة آنذاك سلفيوم آسيا.

ثانياً ـ الفترة الثانية
من عام 27 ق.م إلى عام 138م

وبعد أن استتب الأمر لأغسطس وأصبح سيد الإمبراطورية الرومانية، وجّه عنايته إلى وضع أمور الإمبراطورية في نصابها. وتقرر في عام 27ق.م تقسيم ولايات الإمبراطورية إلى قسمين: أحدهما تحت إشراف الإمبراطور والآخر تحت إشراف السيناتو. وأعيد في هذا الاطار دمج برقة وكريت في ولاية واحدة تحت إشراف السيناتو. وقد جاء في تنظيم شؤون الولايات إقامة حكومة مركزية في برقة، وكذلك حامية فيها. وكانت النتيجة الطبيعية أن شاركت برقة باقي الولايات الرومانية الهدوء والسلام، فازدهرت الحياة الاقتصادية فيها. وخير شاهد على ما نعمت به برقة من الهدوء والازدهار لمدة قرن من الزمن هو المنشآت العامة، التي أقيمت في مختلف أرجاء البلاد، ولا سيما في قوريني. ولعل السبب الرئيس في هذا الازدهار الاقتصادي هو نجاح روما في معالجة مشاكل هذه الولاية المزمنة التي من أهمها:

أ ـ **غارات القبائل الليبية على المدن الإغريقية**: وقد واجهت الإدارة الرومانية هذا الخطر بدعم أسوار قوريني وترميمها في عهد أغسطس وإخضاع قبائل المارمارياداي ولو مؤقتاً عام 2م. أما قبائل الناسامونيس فإنها تابعت غاراتها بين الحين والآخر، إلى أن نجح القائد فيلاكاس في كسر شوكتها في عام 85 ـ 86م. ثم غارات الليبيين على المدن في برقة الذي قد يدل عليها ذلك العدد الذي لا يكاد يحصى على المنشآت الدفاعية الصغيرة على طول حافة الجبل الأخضر، وكذلك من المرج إلى اجدابيا.

ب ـ **في أداء الخدمات الإلزامية بالنسبة للمواطنين الإغريق، الذين منحوا حق المواطنة الرومانية**: لقد اكتشفت في الآجورا في مدينة قوريني لوحة من الرخام نقشت عليها خمسة قرارات مشهورة أصدرها أغسطس، وكل هذه القرارات تقضي أن الذين مُنحوا حقوق المواطنة الرومانية في برقة، يجب أن يؤدوا الخدمات الإلزامية الشخصية المفروضة على المواطنين الإغريق تجاه مدنهم. ويُستثنى من ذلك، الذين أعفوا بقرار من يوليوس قيصر أو بمقتضى قرار من مجلس الشيوخ بإعفائهم من الإلزام بأداء هذه الخدمات عند منحهم حقوق المواطنة. وحتى بالنسبة لهؤلاء لا يطبق هذا الإعفاء إلاّ على ممتلكاتهم التي كانت في حوزتهم عند حصولهم على هذا القرار بالإعفاء. وأما ما أضافوه إلى تلك الممتلكات بعد ذلك فتؤدى عنها الالتزامات العادية المفروضة على الممتلكات. ويبدو أن هؤلاء المواطنين كانوا من أبرز مواطني قورينائية وأكثرهم ثراء. وأن إعفاءهم من الخدمات نحو مدنهم، كان يثقل كاهل ثروتهم ويؤخر في قدرتها على النهوض بأعبائها، مما يؤثر تبعاً لذلك في رخاء المدن وازدهارها. ولذلك فإن أغسطس بادر إلى وضع حد لتهرب هؤلاء المواطنين من تبعاتهم حتى في حالة منحهم حق المواطنة.

جـ ـ **تنظيم تصريف العدالة**: وفي هذا الخصوص أصدر أغسطس قرارين، قضى أحدهما في القضايا التي يكون فيها أحد طرفي النزاع فيها رومانياً، والطرف الآخر إغريقياً، باختيار نصف المحلفين من الإغريق، والنصف الآخر من الرومان، إلاّ إذا طلب المدعى عليه أن يكون المحلفون جميعاً من الرومان. ويجب أن يمتلك كل محلف سواء كان إغريقياً أم رومانياً النصاب المالي ومقداره $\frac{1}{40}$ من النصاب المالي المقرر في روما.

وتقرر كذلك أن لا يسمح لروماني بإقامة الدعوى ضد إغريقي أو إغريقية، إلاّ إذا كان يتمتع بحقوق المواطنة الرومانية، وأنه في القضايا التي يكون طرفاً النزاع فيها من الإغريق، في ما عدا القضايا التي يصدر

فيها الحكم بالإعدام، يجب اختيار المحلفين جميعاً من الإغريق، على ألاَّ يكونوا جميعاً من مدينة المدعي أو المدعى عليه. هذا ما لم يطلب المدعى عليه أن يكون المحلفون من الرومان. أما القضايا التي يصدر الحكم فيها بالإعدام فإن النظر في ما يكون من اختصاص القائد العام.

د ـ **تحسين نظام الطرق في عهد الإمبراطور كلوديوس 41 ـ 54م وخلفائه:** ففي عهد هذا الإمبراطور اعتنى الرومان باستصلاح الطرق وصيانتها وإقامة شواهد حجرية للمسافات على الطرق الرئيسة. ويبدو أن الحاجة لم تتطلب بوجه عام إنشاء طرق جديدة، لأنه في خلال العهد الإغريقي، الذي دام قرابة ستة قرون كانت قد أنشئت شبكة واسعة من الطرق، قدر لها أن تظل مستخدمة حتى الفتح العربي. ولكن كان لا بد من العمل باستمرار على صيانة هذه الطرق واستصلاح ما كانت أتلفته السيول والأمطار. وتدل النقوش على أن الرومان كانوا يلجأون أحياناً إلى استخدام وحدات من الجيش للقيام بالعمل تخفيفاً من عبء النفقات.

هـ ـ **مسح أراضي قورينائية:** وكان من أهم ما عنيت به السلطات الرومانية في خلال هذه الفترة إجراء مسح تفصيلي للأرض بقصد تحديد العقارات التي ورثتها الدولة الرومانية عن البطالمة وصارت ملكاً لها. وكذلك تحديد الأراضي، التي كان الأفراد يملكونها، وذلك لتسترد الدولة أراضيها التي كان الأفراد قد اغتصبوها.

ولما كان الإمبراطور كلوديوس يعمل جاهداً لزيادة موارد الدولة، فإنه أوفد إلى برقة مبعوثاً خاصاً ليمسح الأراضي ويضع الأمور في نصابها دون الرجوع إلى السيناتو. وقد باشر هذا المبعوث عمله وهمته بنشاط أثار احتجاج المواطنين. وفي عام 59م أرسلت بعثة إلى روما لتتظلم إلى السيناتو والإمبراطور نيرون 54 ـ 68 من تصرفات المبعوث الروماني. وترك السيناتو الأمر للإمبراطور، الذي قضى بإلغاء أوامر كلوديوس وإعادة الأمور

إلى ما كانت عليه. ولكنه عندما ارتقى فسباسيانوس 70 ـ 96م العرش طبق قرار كلوديوس دون هوادة، بل وأقيمت في الأراضي التي كانت قد اغتصبت، نصب حجرية ضخمة نقشت عليها باليونانية واللاتينية، أن هذه الأراضي قد استولى عليها الأفراد وأعيدت للشعب الروماني.

و ـ **اليهود**: واستقر اليهود في قورينائية منذ العصر البطلمي، وكونوا جاليات في مختلف مدن الإقليم القورينائي وبخاصة في قوريني وبطوليمايس وبرنيكي وتوخيرة (توكرة). وأصدر أوغسطس قراراً يبيح لليهود الحرية في مباشرة عاداتهم طبقاً لشريعة آبائهم. ويتوعد بمعاقبة كل من يعتدي عليهم بمصادرة أملاكه. وعندما اندلعت ثورة اليهود في فلسطين عام 66م ونكل بهم الرومان، هرب بعضهم إلى قوريني وأخذوا ينشرون الاضطرابات في أرجاء الإقليم بزعامة شخص كان اسمه يوناتان. وتمكنت السلطات الرومانية من إلقاء القبض عليه وإرساله إلى روما حيث أعدم فيها.

وفرضت العزلة على اليهود كما فرضت عليهم دفع ضريبة سنوية، فانتهز اليهود في قوريني فرصة انشغال الإمبراطور تراجان 98 ـ 117م في حروب ضد بارتيا فقاموا بثورتهم الكبرى في عام 115م بزعامة شخص يدعى أندرياس وسيطروا على المدينة ودمروا مبانيها وفتكوا بالإغريق والرومان معاً. ويقدر عدد الذين قتلهم اليهود خلال ذلك بحوالي اثنين وعشرين ألفاً من البشر. ويتبين من المخلفات الأثرية[1] والمصادر القديمة أن الثورة امتدت إلى مصر وقبرص، وأخمدت في عام 117م. وعندئذ تعرض اليهود لحملة انتقامية. وقد عني الامبراطور هادريان 117 ـ 138م بإصلاح ما أفسده اليهود ودمروه، وذلك

(1) راجع الدكتور توفيق سليمان: أعمال التنقيب التدريبية عن الآثار لجامعة قاريونس ـ بنغازي في ليبيا 1974 ـ 1983م، توكرة، برئاسة الدكتور توفيق سليمان وعضوية الدكتور جمال الحرامي وآخرين (أربعة أجزاء)، دار أماني للطباعة والنشر والتوزيع ـ دار دمشق، سوريا، الجزء الثاني ص 219. وهنا كشفت بعثة التنقيب التدريبية عن الآثار هذه في توكرة طبقة الدمار التي نتجت عن ثورة اليهود في توخيرة أيضاً.

بإعادة ترميم المعابد والمنشآت والطرق التي دمرت وإعادة إقامة التماثيل التي هشمت أو أطيح بها. وأصدر قراراً أن تنقل إلى قوريني عناصر إغريقية يمكن دمجها في هيئة مواطني المدينة وأنشأ جمنازيوم يلتقي فيه المواطنون جميعاً. وقد وصف هادريان أنه مؤسس مدينة قوريني الفعلي، لما أقامه من إصلاحات كبيرة في المدينة، كما أنشأ عند دريانة، بين بنغازي وتوكرة مدينة جديدة أسماها «هادريانوبوليس».

ثالثاً ـ الفترة الثالثة
من عام 138 ـ 284م

يرى بعض المؤرخين أن قورينائية لم تستطع تجاوز كارثة ثورة اليهود الكبرى، ولم تتمكن من استعادة رخائها وازدهارها من جديد. ولا جدال في أن الأعمال الإصلاحية قد استمرت، ولم يأت آخر القرن الثاني الميلادي، حتى كان قد تم إصلاح كل المنشآت العامة باستثناء معبد زيوس الكبير. وتوحي القرائن بأن قوريني كغيرها من مدن الإمبراطورية الرومانية شاركت في عصر الأنطونيين الذهبي، وهو العصر الذي بلغ فيه عالم البحر المتوسط ذروة الرخاء. ولكن معايير الدولة الفنية في مجال العمارة قد تغيرت. ولا أدل على ذلك من أن المنشآت ذات الطراز الدوري الوقور قد استُبدلت بمنشآت من الطراز الكورينثي الكثير الزخارف، وغطيت بكساء سخي من الرخام. وإذا كان صحيحاً أن مواطني قوريني لم يعتنوا بإصلاح الدمار الذي أصاب معبد زيوس الكبير من جراء ثورة اليهود، فإنهم اعتنوا على الأقل بإقامة تمثال ضخم لزيوس نفسه، كان مطابقاً لتمثاله الضخم الذي كان منتصباً في معبد زيوس في أوليمبيا.

ولعل آخر إمبراطور أسهم مساهمة كبيرة في رخاء قوريني كان سبتموس سيفيروس (193 ـ 211م)، فلا عجب أن قوريني قامت بتكريمه بإقامتها باسمه

بوابة ضخمة في شارعها الرئيسي، تعلو هذه البوابة عربة نصر تقديراً لفضله على إقليم قورينائية.

بداية الإنهيار الاقتصادي:

لقد كان مصرع إسكندر سيفيروس في عام 235م ايذاناً ببداية نصف قرن من الصراع المرير حول كرسي الإمبراطورية الرومانية. ففي هذه الفترة تعاقب على العرش إثنان وعشرون إمبراطوراً. وقد ترتب على هذا الصراع انتشار الإضطرابات في كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية. وتشجع أعداؤها الخارجيون للانقضاض على حدودها. واقتضى الأمر القيام بحملات كثيرة العدد دفاعاً عن الحدود. وكان من شأن تكاليف الحملات ومطالب الأباطرة واضطراب الأحوال وشل التجارة وتضخم النقد وازدياد الضرائب أن يؤثر سلباً تأثيراً بليغاً في ولايات الامبراطورية. ومما ساعد على التدهور الاقتصادي في قورينائية أيضاً غزوات القبائل الليبية، التي شكلت تهديداً خطيراً على الإقليم بدليل أن كلوديوس الثاني أنفذ إليها خبيراً في حرب الصحراء، وهو حاكم مصر الروماني بروبوس، وذلك لوضع حد لقبائل المارماريداي.

وانتشرت المسيحية في الإقليم القورينائي، وسجل التاريخ أول أسقف قورينائي كان المدعو أموناس Amonas أسقفاً لبرنيكي في عام 260م. ولكن عندما عقد مؤتمر نيقيا في عام 325م كان يوجد في الإقليم أكثر من أسقف واحد. ولعل أبرز أساقفة قورينائية على الإطلاق كان سينسوس القورينائي، وهو الذي درس في الإسكندرية وزار أثينا وعين أسقف بطوليمايس في عام 410م، وقد كتب عدداً من الأناشيد ووضع عدداً من الخطابات، وكلها يلقي ضوءاً ساطعاً على تاريخ قورينائية أثناء غارات القبائل الليبية عليها.

ثانياً ـ المُدن الثلاث في العصر الروماني

عندما هزم بومبي في موقعة «فارسالوس» عام 48ق.م[1] ثم مقتله، تشتت مؤيدوه. ولكن حين شغل قيصر بالأحداث التي وقعت في الشرق، انتهز أعوان بومبي هذه الفرصة وتجمع في قوريني عشرة آلاف من أتباع بومبي بقيادة «كاتو»، وقرروا الإبحار إلى ولاية أفريقيا للانضمام إلى باقي أنصار بومبي هناك. ولكن الأنواء دفعت بسفنهم إلى شواطىء بيرنيكي بنغازي، فقرروا الذهاب براً وقضوا الشتاء في مدينة لبدة.

وعندما فرغ قيصر من مشاغله في آخر عام 47ق.م، قرر أن يوجه عنايته إلى شمال أفريقيا، وأنزل بخصومه هزيمة نكراء وسيطر على كامل شمال أفريقيا. وقبل عودته إلى روما حوّل الجانب الأكبر من مملكة نوميديا إلى ولاية سُميت أفريقيا الجديدة، وسُميت الولاية الأصلية الأولى في أفريقيا القديمة.

أولاً ـ تخفيض مستوى المدن الثلاث إلى مرتبة التبعية إلى روما

ولما كانت لبدة قد تحالفت مع «كاتو» فإن قيصر خفض منزلتها من مرتبة مدينة حليفة وصديقة إلى مرتبة مدينة تابعة إلى روما، وفرض عليها ضريبة سنوية مقدارها 3 مليون رطلاً من زيت الزيتون. ومن المعتقد أن أويا وصبراتة كانتا تتبعان أيضاً سياسة لبدة، وأن مرتبتهما قد خفضتا إلى مصاف المدن التابعة إلى روما. وإذا صح ذلك، فإنه من المرجح أنهما كانتا تسهمان في دفع الجزية السالفة الذكر، لأنها كانت أكبر من أن تستطيع لبدة تحملها وحدها.

وبعد مقتل قيصر نشب الصراع المعروف بين أكتافيوس وأنطونيوس على

---

(1) هيانز، آثار طرابلس الغرب، ترجمة عديلة حسن، منشورات مصلحة الآثار، ص 12.

سيادة العالم الروماني. وإذا كانت السيطرة على الولاية الأفريقية قد انتقلت من قائد لآخر أكثر من مرة، فإن طرابلس لم تشارك في هذا الصراع، الذي انتهى بانتصار أكتافيوس عند أكتيوم عام 31ق.م.. وفي عام 27ق.م توصل أكتافيوس (أغسطس) إلى اتفاق مع السيناتو تقرر بمقتضاه أن يترك أغسطس للسيناتو الإشراف على الولايات، التي من غير المحتمل أنها ستحتاج إلى حملات عسكرية للدفاع عنها. وبمقتضى هذا الاتفاق أسند إلى السيناتو الاشراف على ولاية أفريقيا القديمة ووضع على رأسها حاكم برتبة برو قنصل[1].

وأما ولاية أفريقيا الجديدة فإنه لم يعد لها وجود بعد ذلك. إذ إنه بعد أكتيوم أعاد أغسطس إلى الوجود مملكة نوميديا، وأقام عليها جوبا الثاني ابن جوبا الأول مكافأة له على مساعدته أثناء الحرب الأهلية. ولكنه في عام 25ق.م رأى أغسطس أنه من المصلحة ضم نوميديا وطرابلس إلى ولاية أفريقيا القديمة، وأصبحت تعرف كلها باسم ولاية أفريقيا ونقل جويا إلى موريتانيا.

ثانياً ـ قيام ثورات القبائل الليبية في الولاية الرومانية[2]

ولما كان ضم نوميديا وطرابلس إلى ولاية أفريقيا يقضي بجعل حاكمها مسؤولاً عن منطقة كبيرة من الصعب عليه التحكم فيها، ثارت قبائل موريتانيا وامتدت الثورة إلى الجرمنت. والجدير بالملاحظة أنه في العصر الروماني كان الجرمنت يهاجرون موسمياً من مناطقهم في فزان إلى المناطق الجنوبية في إقليم طرابلس المناسبة للرعي وللزراعة، لأن نشاطهم لم يقتصر على نقل

---

(1) نفس المرجع الأخير، ص 24.

(2) حول هذا الموضوع أنظر فوزي جاد الله، المعارك والمواقع الهامة بين الليبيين والمستعمرين من إغريق ورومان، مجلة البحوث التاريخية، جامعة الفاتح، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي.

السلع من أواسط أفريقيا وإليها بل شمل كذلك الرعي والزراعة.

وتحدثنا المصادر القديمة أنه في حوالي 19ق.م خرج «البروقنصل بالبوس» بنفسه على رأس حملة لإخماد ثورة الجرمنت. ويبدو أنه أخذهم على حين غرة. وإذ كانت هذه الحملة لم تفلح في القضاء على قوة الجرمنت، بالرغم من احتلال باليوس عاصمتهم جرمة، إلاّ أنها بلا شك أشعرتهم بقوة روما، وألا ينفردوا وحدهم بالقيام بمثل هذه الأعمال. ولذلك فإننا نسمع بتأييدهم قبائل المارماريداي في انتفاضتهم على الرومان في قورينائية وقيام حاكم ولاية كريت وبرقة بحملة ضد المارماريداي والجرمنت معاً.

وفي عهد الإمبراطور تيبريوس (14 ـ 37م) قامت ثورة جديدة في نوميديا بزعامة تاكنارياس، الذي كان قد سبق له أن خدم في الفرقة الرومانية ودرب رجاله على أساليب الحرب الرومانية. وبفضل دهاء خططه الحربية فشل ثلاثة من حكام ولاية أفريقيا في القضاء على الثورة، مما أدى إلى إرسال الفرقة التاسعة الإسبانية بقيادة «دولا بيلا» لشد أزر الفرقة الأوغسطية الثالثة، ووضع قوة عسكرية رومانية بجوار مدينة لبدة لحماية هذه المدينة من الإغارة عليها، وكذلك قطع اتصال تاكنارياس بالجرمنت. إذ يبدو أنه كان يلجأ إليهم كلما ضيّق الرومان الخناق عليه. وبعد ثماني سنوات من حرب العصابات تمكنت دولا بيلا من الإيقاع به وقتْلِه في عام 24م. وقد كان الدرس الرئيسي الذي استفاده الرومان من هذه الحرب، هو عدم صلاحية الحكام الذين يختارهم السيناتو لأن يكونوا قواداً ناجحين. ولذلك تقرر في عصر كاليجولا 37 ـ 41م إسناد القيادة العسكرية في ولاية أفريقيا إلى مندوب يعينه الإمبراطور، وأن يتمتع القائد في المنطقة التي تعسكر فيها القوات بكل السلطات الإدارية والعسكرية. ونتيجة لذلك انقسمت الولاية من الناحية العملية إلى قسمين، وإن بقيت من الناحية النظرية ولاية واحدة.

وفي عام 69 ـ 70م قام صراع بين مدينتي لبدة وأويا، كان سببه الرئيس المنافسة التجارية بين المدينتين. ولما وجدت أويا، أنها غير ندّ لجارتها القوية

طلبت مساعدة الجرمنت، الذين حاصروا لبدة حصاراً شديداً إلى أن تمكن الحاكم الروماني فستوس من فكّ الحصار وردّ الجرمنت على أعقابهم. وقام بحملة إلى فزان أعادت ذكريات حملة «بالبوس» قبل ذلك بتسعين عاماً. وقد سلك فستوس في هذه الحملة طريقاً أقصر من أي طريق معروف بمسيرة أربعة أيام. ويشير بعض الباحثين إلى أن هذا الطريق يخرج من أويا ويمر بغريان ومزده والقرية الغربية. ولم يكن هذا الطريق مجهولاً لدى الجرمنت، إلاّ أنهم كانوا لا يميلون إلى استخدامه لعدم قدرة خيولهم على تحمل العطش. وأدرك الرومان ذلك فاستخدموا الجمال، وبذلك أصبح ميسوراً لهم الوصول سريعاً إلى فزان، مما مكنهم من دعم سيطرتهم هناك. وينهض دليلاً على ذلك أن الرومان اتخذوا من فزان قاعدة عسكرية لهم أنفذوا منها حملتين إلى داخل أفريقيا بمساعدة الجرمنت أنفسهم. وقد كانت الحملة الأولى في عهد الإمبراطور دومشيانوس 81 ـ 96م، وكان على رأسها فلاكوس قائد الفرقة الأوغسطية الثالثة، ويرجح أنها وصلت إلى السودان وأنها كانت حملة استطلاعية. وقاد الحملة الثانية ياترونوس وهو مواطن من لبدة، ويُحتمل أنها وصلت إلى تشاد. ولعل هدف الرومان من هاتين الحملتين هو التعرف على طريق التجارة الصحراوية[1] وليس التوسع.

وحينما بدأت العلاقات تتحسن بين الرومان والجرمنت، هبّت قبائل الناسامونيس ثائرة شرقي طرابلس، وكانت خاضعة للجزية الرومانية، ثارت على محصلي الضرائب، الذين كانوا يبالغون في تقديرها، وقتلوا بعضهم. ولما توجه الرومان إليهم بحملة هزموهم واستولوا على معسكراتهم. ولكن بدلاً من تعقب الرومان ومطاردتهم أخذوا يحتسون ما وجدوه من خمر في معسكر الرومان حتى غلبهم النعاس فناموا وأخذهم الرومان على حين غرة وانتصروا عليهم.

---

(1) حول الحملات الرومانية على جرمة، أنظر: محمد سليمان أيوب، المؤتمر التاريخي: جرمة في عصرها الذهبي، مجلد ليبيا في التاريخ بنغازي، مارس 1968م.

الفَصْل الثامن

الجرمنت في فزان

أولاً ـ أصل الجرمنت

كان هيرودوتس أول من أشار إلى سكان فزان منذ القرن الخامس ق.م حيث ذكر في حديثه عن القبائل الليبية في كتابه الرابع ثلاثة عناصر من سكان فزان. ولذلك يُعتبر هيرودوتس مصدرنا الأساسي عن سكان فزان في تلك الفترة. وقد أشار إلى أن الجرمنت كثيرو العدد وكانوا يملكون العربات ذات الخيول الأربعة ويصلحون الأراضي لزراعتها، ويبعدون مسيرة ثلاثين يوماً عن أكلة اللوتس[1]. وتذكر بعض المصادر أن هذه العربات ـ التي ذكرت عند هيرودوتس ـ قد أخذها الجرمنت عن المصريين[2].

وتختلف الآراء في أصل الجرمنت، حيث يذكر فريق من الباحثين[3] أن أصلهم من شعوب البحر، ويرى فريق آخر أن أصلهم من فلسطين قدموا إلى مصر ومنها إلى ليبيا بعد أن رفضهم المصريون[4]. وأما آخرون من الباحثين[5] فيرون أن أصلهم من واحة سيوة هاجروا إلى الجنوب لخوفهم من الغزو الفارسي.

ولكن من المحتمل أن يكون الجرمنت من أصل ليبي، وذلك بناء على الدراسات العلمية التي أجريت حولهم وحول الليبيين معاً، واستناداً إلى أوجه شبه بينهم وبين سكان الصحراء الغربية في مصر وإلى الشبه القائم بينهم وبين

---

(1) Herodotus, IV, 183.

(2) مصطفى بازامة، تاريخ ليبيا، الجزء الأول، منشورات الجامعة الليبية، كلية الأداب، 1973 ص 108.

(3) هنري لوت، لوحات تاسيلي، ترجمة أنيس زكي، الطبعة الأولى، طرابلس، مكتبة الفرجاني، 1967، ص 128.

(4) O. Bates, Eastern Libyans p. 257.4

(5) محمد سليمان أيوب، «جرمة في عصر ازدهارها» مجلد ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية ـ كلية الآداب، بنغازي 1968، ص 156.

الطوارق المعاصرين[1]. ويرى البعض أن هناك أصلاً مشتركاً بينهم وبين المجموعة (ج)[2]، التي يُعتقد أنها ليبية الأصل، وتعود في الأصل إلى قبائل التمحو الجنوبيين، نظراً لوجود الآثار المشتركة بينهم. ويعتقد كذلك أن قبائل القرعان الحالية، التي كانت منتشرة في القرن السابع عشر الميلادي حتى بلاد النوبة، تمثل سكان فزان الجرمنت وتقوم بنفس دورهم. وهذا يعني أن انتشار القبائل الليبية كان كبيراً حتى إنهم وصلوا إلى وادي النيل فتأثروا بأهله وأثروا فيهم[3].

ولكن المرجح هو أن هو معظم هذه الآراء تفتقر إلى مزيد من الأدلة التاريخية والأثرية، ولذلك من الصعب الأخذ برأي معين عن أصل الجرمنت.

ويمكننا بعد هذه المقدمة عن أصل الجرمنت أن ندرس بعض مظاهر الحياة والحضارة عندهم. إذ لا يفوتنا أن هيرودوتس قد وصفهم أنهم أمة بالغة العظمة. وهذا ما يجعلنا أن نتصور بأن الجرمنت قد ساهموا مساهمة فعالة في بناء حضارة تلك المنطقة مسترشدين في ذلك بما خلفوه من آثار متمثلة في بقايا مساكنهم الأولى على جبل «زنككرا» ثم في بقايا مدينة «جرمة»، وأيضاً في مقابرهم التي تتخذ أنماطاً وأشكالاً مختلفة[4].

---

(1) تشارلز دانيلز، تعريب أحمد اليازوري، الجرمنتيون، الطبعة الأولى، 1974، ص 43.

(2) فوزي جادالله «مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوت»، مجلد ليبيا في التاريخ. الجامعة الليبية كلية الآداب ـ بنغازي 1968، ص 72.

(3) P. L. Kirwan, Roman Expeditions to the upper Nile and the Chad Darfur Region. Libya in History. University of Libya, faculty of art. Bengazi 1968 p. 257.

(4) محمد سليمان أيوب، مختصر تاريخ فزان، 1966، ص 51.

ثانياً ـ العمارة

كانت مساكن الجرمنت في البداية لا تتعدى الخيام والمساكن المكونة من أغصان الأشجار ومن النباتات. واستقر الجرمنت في منطقة جبل زنككرا، حيث دلت المخلفات الأثرية على وجود أكثر من 300 منزل على هذا الجبل المنيع. ومن الممكن أن تاريخها يعود إلى ما بين القرنين الثالث والأول ق.م. وتمثل المساكن التي وُجدت آثار بقاياها على منحدرات نككرا، منازل الجرمنت في العصر السابق للعصر المسيحي قبل بناء جرمة القديمة. وتمثل المباني التي عُثر عليها في الطبقة الثالثة المرحلة السابقة لوصول التأثيرات الإغريقية والقرطاجية والرومانية. وتعتبر آثار المنزل المبني بقوالب الطين واللبن والذي انطبعت صورته على طين التربة في الطبقة الثالثة، خير مثال لأقدم المساكن بجرمة القديمة[1].

وحوالي القرن الثالث نزل الجرمنت من القمة العليا ليستقروا على القمة السفلى لجبل زنككرا. فشيدوا فوق قمة الجبل الثانية وعلى المنحدرات حتى قرب السفح. ونحتوا المدرجات على الجوانب المنحدرة وأقاموا عليها الفيلات والمساكن والحدائق الشبيهة بحدائق بابل المعلّقة. وكان يحيط بهذا الموقع سور يمتد على سفح الجبل، وكان يوجد بهذا السور فتحات لتسرب مياه الأمطار[2].

وبالقرب من القمة الثانية نقش فنانو الجرمنت صور البقر والزراف والخيول. وأقام الجرمنت خلال القرون الثلاث الأولى للميلاد الكثير من

---

(1) محمد سليمان أيوب «جرمة في عصر ازدهارها»، مجلد ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية، كلية الآداب، بنغازي 1968، ص 167.

(2) محمد سليمان أيوب، مختصر تاريخ فزان، ص 49.

المباني في جرمة. واستعملوا فيها الأعمدة الدورية والأيونية والكورنثية، كما استعملت فيها الأفاريز والأسقف المتأثرة بالعمارة اليونانية والرومانية.

وأقاموا في هذه المدن الحمامات والأسواق، كما دلت الآثار على أن الجرمنت كانوا يعرفون نظام المجاري، وشبكات تصريف المياه. وتتألف بعض هذه المنازل من طابقين. وكانت جدران هذه المنازل تُطلى بالجير والجص، وفي بعض الأحيان تزخرف بالصور. وكان يحيط بمدينة جرمة سور من الحجر، ويحيط بهذا السور خندق مملوء بالمياه، كما يحيط بالمدينة أبراج مربعة وأبواب ثلاثة من الشرق والغرب والجنوب. وأما من ناحية الشمال فلا يوجد فيها باب نظراً لإطلالها على البحيرة[1].

(1) دانيلز، تشارلز، المرجع السابق، ص 73.

ثالثاً ـ الحياة الاجتماعية والحضارية

من المُرجح أن الجرمنت كانوا أكثر سكان الصحراء عدداً وقوة. ونستدل على ذلك بما تبقى لنا من آثارهم سواء على سفوح جبل زنككرا أو في مدينة جرمة. وشهدت هذه الأمة فترة من الاستقرار الاجتماعي، الذي يتمثل في إقامة نظام ملكي. ومن المحتمل أيضاً أن يكون الكاهن الأعظم قد احتل قمة هذا النظام. ويتضح ذلك في مقابر الملوك التي وُجدت على أماكن مرتفعة تتميز عن بقية المقابر الأخرى[1]. وقد استطاع الجرمنت تنظيم مجتمعهم تنظيماً دقيقاً.

ويمكن القول إن تأثير الرومان في المدن الساحلية كان أوضح من تأثيرهم في فزان[2].

أ ـ اللغة

لقد ذكر البعض حول لغة الجرمنت أن فزان وقعت تحت تأثير الرومان الثقافي واستعملوا اللغة اللاتينية إلى جانب لغتهم التيفيناغ[3].

وفي الواقع يحتاج هذا القول إلى أدلة تاريخية وأثرية، إذ لم يُعثر حتى الآن على ما يؤيده تأييداً قاطعاً، خاصة أنه لم تُعثر على نصوص تدل على استخدامهم اللغة اللاتينية كما أنه لم تفك رموز لغة التيفيناغ إلى الآن.

ب ـ الديانة

ويمكننا التعرف على ديانة الجرمنت من خلال ذكر عادات ومعتقدات

---

(1) محمد سليمان أيوب، جرمة في عصر ازدهارها، 1968، ص 175.

(2) B.J., Ward Perkuns, «Pre Roman Elements in Architecture of Roman Tripolitania» Libya in history. University of Libya, Bengazi 1968, pp102 ff.

(3) كارتون كون، ترجمة برهان الدين رجائي، القافلة، ص 295.

القبائل الليبية، آخذين بعين الاعتبار أنه لا يوجد دليل - حتى الآن - يوضح لنا أن معتقدات الجرمنيتين تختلف عن عادات القبائل الليبية الأخرى ومعتقداتها.

كان النسامونيس يزاولون الكهانة بالذهاب إلى قبور أجدادهم فيصلون عليها ثم ينامون، ويعتبرون أن أي حلم يرونه في منامهم هو قول وحي الكهانة. ويؤكد أوريك بيتس[1]، أن الطقوس الشائعة بين الكثير من قبائل البربر اليوم كانت مقتصرة على الجرمنت وحدهم، وأن نساء غدامس ونساء من وادي عجيلات ما يزلن يزاولن هذه العادة.

وبالرغم من تعدد الآلهة المعبودة عند الجرمنت مثل «جرامة» و «تينيت» و «أوزيريس» و «آمون»، إلاّ أنهم لم يتأثروا بالديانة الرومانية. ومع أن هناك بعض الباحثين[2] يذكرون بأن المسيحية قد انتشرت في فزان، إلاّ أنه لم يعثر حتى الآن على ما يثبت ذلك. أما الصلبان وصور الأسماك وعناقيد العنب فقد وُجدت على صناعات مستوردة من البلاد المسيحية الأخرى.

وبهذا يمكننا القول بأن الجرمنت لم يتأثروا بالديانة الرومانية سواء كانت الوثنية أو المسيحية.

جـ - المقابر

كانت عناية الجرمنت بالقبور أقل من عنايتهم بالمساكن. ويظهر أنه كان لطبعهم كتجار أثر كبير في ذلك. وقد ظلوا، حتى بعد قيام جرمة القديمة،

---

(1) O. Batis, op. cit., p. 173 ff.

(2) أحمد عبد القادر طليمات «سكان ليبيا عند اليعقوبي» ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية، بنغازي 1968، ص 232؛ محمد سليمان أيوب، مختصر تاريخ فزان، المرجع السابق، ص 59.

يبنون قبورهم على نفس الطراز الذي ألفوه منذ القدم، وهي القبور المستديرة الصغيرة. وكان الميت يُسجى فيها على هيئة الجنين في بطن أمه[1].

ويمكن تقسيم المدافن الجرمنتية من حيث أشكال قبورها إلى أربعة أقسام رئيسية.

1 ـ النوع ذو الشكل الدائري.

2 ـ حفر دائرية أو مربعة يبلغ عمقها حوالي أربعة أو خمسة أمتار.

3 ـ المدافن الهرمية، وهي تتكون من أكثر من أربعين مدفناً على هيئة الأهرام.

4 ـ النوع الرابع وهو النوع المعروف باسم «الموزاليوم»، وهو نوع من المقابر الضخمة التي كانت تعتبر في كثير من الأساطير القديمة كمساكن للأموات[2].

وقد حرص الجرمنت على وضع شواهد ذات شكل معين على القبور. وكانت شواهد تُوضع على الناحية الغربية المقابلة لمشرق الشمس، أو الناحية الشرقية المقابلة لمغربها. وكانت إما على شكل مسلة من الحجر الرملي بارتفاع لا يزيد على المترين أو على شكل قرنين أو على شكل الكف.

(1) محمد سليمان أيوب، مختصر تاريخ فزان، المرجع السابق، ص 59.

(2) محمد سليمان أيوب، «جرمة في عصر ازدهارها». المرجع السابق ص 162، 163.

رابعاً ـ الحياة الاقتصادية

مارس الجرمنت العديد من الأعمال الهامة في المجال الاقتصادي، وكانت التجارة أهم هذه الأعمال.

وكانت القوافل الجرمنتية تستورد من موانىء البحر المتوسط الزيوت والخمور، وتعبأ عادة في أمفورات كبيرة تحملها عربات فيها منتجات لتثبيت هذه الجرار. وكانت وسيلة الجرمنت في التجارة هي المبادلة والمقايضة. ولم يلجأوا إلى نظام سك العملة المعروف في العالم الروماني بل استخدموا بدلاً من ذلك بعض المعادن الثمينة كالفيروز والذهب والفضة وأحياناً أصداف البحر. وتاجر بها الجرمنت ببعض إنتاجهم الحيواني وخاصة الخيول[1].

واحتكر الجرمنت تجارة الملح المتوفر بكثرة في بلادهم حيث استبدلوه بالذهب في بلدان أواسط أفريقيا، والتي عادوا فيها أيضاً بالحيوانات المفترسة وجلود الحيوانات والعاج والأخشاب وخاصة الأبينوس، والعبيد والذهب والفضة.

واشتهر الجرمنت بمعدن الكاربونكل Carbuncle أو الحجر القرطاجي، الذي عثر على قطع كثيرة من هذا الحجر في الحفريات التي أجريت بالمنطقة. وكان الفراعنة يسمون هذا الحجر بحجر الواوات Wawat أو حجر تمحو[2]. ومارس الجرمنت التجارة التقليدية بالأبقار، التي ربّوا قطعاناً كبيرة منها[3].

---

(1) محمد سليمان أيوب، «جرمة في عصر ازدهارها». مجلد ليبيا في التاريخ، ص 182.

(2) محمد سليمان أيوب، مختصر تاريخ فزان، المرجع نفسه، ص 74.

(3) نفس المرجع.

خامساً ـ الحياة الفكرية

لم يعتن الجرمنت بالكتابة والتدوين كثيراً، ولذلك لم يُعثر ـ حتى الآن ـ على شيء ذو قيمة بهذا الشأن من خلال الحفريات التي تمت بالمنطقة، ويتضح من بعض الوثائق القليلة التي اكتشفت أن خط الجرمنت يختلف عن خط التيفيناغ، الذي لم يُعن ـ حتى الآن ـ بفك رموز أحرفه.

وأما في ما يتعلق بالرسوم الصخرية، فقد وُجد في الصحراء أعداد ضخمة من الرسوم والنقوش، التي كان توضح ما يجري في حيات أهلها منذ العصور الموغلة في القدم، منذ أن كانت الصحراء مملوءة بالحيوانات مثل الثيران والزراف والفهود والفيلة والخرنبيت وفرس النهر، ورسموا أنفسهم وشباكهم وأقنعتهم لتمويه الحيوانات وصيدها[1].

وترجع أهمية هذه الحيوانات في أنها تعطينا صورة واضحة عن تاريخ سكان فزان في عصور ما قبل التاريخ حتى عصر الجمّالة في القرن التاسع الميلادي، وأهم فنون الرسم الجرمنتي توجد في جبل «زنككرا» بما يتوفر فيها من الحركة والحيوية، كما وُجدت غيرها في وادي جرزة.

(1) هنري لوت، لوحات تاسيلي، المرجع السابق، ص 39.

سادساً ـ نهاية الجرمنت

إستمرت حركة التجارة بين مدن الشمال والجرمنت حتى القرن الثالث الميلادي، ثم تقلص بعد ذلك وجود السلع الرومانية في فزان واختفى بعضها مثل الفخار والخزف. وقد أدى هذا التقلص في التجارة إلى اضمحلال لبدة[1].

وأدى أيضاً زحف الرمال على الطرق التي كانت تسلكها القوافل التجارية، ومعه نقص المياه بصورة مستمرة، إلى انهيار العامل الاقتصادي الذي كان يمثل رمزاً لقوة الجرمنت. ولعل الضعف الذي كان قد أصاب مدن الساحل والذي يتمثل في الصراع بين المسيحية والوثنية قد أدى إلى ضعف التجارة أيضاً.

ولعب الجرمنت في تاريخ الصحراء نفس الدور الذي لعبه الفينيقيون في تاريخ البحر المتوسط. فكان لهم الفضل في تحضير الشعوب الأفريقية الموجودة إلى الجنوب منهم. وذلك عن طريق إدخال علوم ومعارف وصناعات العالم المتحضر إليهم. كما كان لهم الفضل في تعريف كتاب الرومان وغيرهم بعالم أفريقيا الواقع إلى الجنوب من الصحراء الكبرى، وإمدادهم بالمعلومات التي دونها جغرافيو العالم الروماني في كتبهم. وكان لهذه الكتابات فضل كبير في إرشاد الرحالة الأوروبيين خلال عصر الكشوف الجغرافية في القارة الأفريقية.

---

(1) محمد الطاهر الجراري: «موقف القبائل الليبية من الحكم الروماني» في مجلة الثقافة العربية، العدد السابع السنة التاسعة، طرابلس، نشر اللجنة الإدارية للإعلام الثوري، 1982، ص 71.

قائمة المراجع(*)

(*) يضاف إلى القائمة المراجع التي ذكرت في نهاية الفصل الأول ومن هوامش الفصل الرابع.

أولاً ـ المصادر الأصلية

ـ المصادر الأدبية:

ATENAEUS (L.C.L.) Translated by C.B. Gplick

DIODORUS SICULIS (L.C.L.) Translated by Russel M. Geer

HERODOTUS (L.C.L.) Translated by A.D. Godley

PINDAR THE PYTHIAN ODES (L.C.L.) Translated by J. Sandys

PLINIUS SECUNDUS (L.C.L.) Translated by E. Cabbs

POLYBIUS (L.C.L.) Translated by W.R. Waton

SALLUST, Bellum Lugurthinum

Scylax Periplus G.G.M. Muller, Paris 1992

STRABON (L.C.L.) Translated by H.L. Jones

THEOPHRASTUS (L.C.L.) Translated by Arthur Hort

ب ـ النقوش:

OLIVERIO G., Documenti Antichi dell'Africa Italiana Cirenaica, Pergamo, 1932-36.

S.E.G., Supplementum Epigraphicum Graecum, IX G. Klaffenbach, 1939.

TOD M.N., A selection of Greek historical inscriptions, Oxford, 1962.

WOODHEAD, A.G., The study of Greek inscriptions, Cambridge,1959.

جـ ـ النقود:

BARCLAY V. HEAD.,	Historia Numorum, A manual of Greek Numismatics. London, 1963.
NABILL L.,	Les monnaies d'or de la Cyrénaique de 450-250 avant J.C., Geneve, 1951.
ROBINSON E.S.G.,	Catalogue of the Greek Coins of Cyrenaica, Bologna, 1965.
SELTMAN.,	Greek Coins, London, 1963.

ثانياً ـ المراجع العربية

إبراهيم نصحي: **إنشاء قورينى وشقيقاتها** ـ منشورات الجامعة الليبية ـ الطبعة الأولى ـ 1970.

«كاليماخوس القوريني» مجلة كلية الآداب ـ العدد الثالث ـ بنغازي 1969.

مصر في عصر البطالمة ـ الجزء الأول والثالث ـ الطبعة الثالثة ـ القاهرة ـ 1966.

أحمد بدوي: **في موكب الشمس** ـ الجزء الثاني ـ الطبعة الأولى ـ القاهرة ـ 1950.

أحمد فخري: **مصر الفرعونية** ـ الطبعة الثالثة ـ القاهرة ـ 1971.

أرمان: **مصر والحياة المصرية في العصور القديمة** ـ ترجمة عبد المنعم أبو بكر ـ القاهرة ـ 1953.

تشارلز دانيلز: **الجرمنتيون الطبعة الأولى** ـ مكتبة الفرجاني ـ طرابلس 1974.

سليم حسن: **مصر القديمة** ـ الجزء الثالث والسابع ـ القاهرة ـ 1950.

عبد الرحمن بدوي: **«ليبيا في مؤلفات أرسطو»** ـ مجلة كلية الآداب ـ العدد الثالث ـ بنغازي ـ 1969.

عبد العزيز صالح: **حضارة مصر القديمة وآثارها** ـ القاهرة ـ 1953.

عبد اللطيف أحمد علي: **مصر والإمبراطورية الرومانية** ـ القاهرة ـ 1960.

عبد الكريم الميار: **برقة في العصر الروماني** ـ منشورات مكتبة قورينا ـ 1973.

عبد الله المسلمي: **كاليماخوس القوريني** ـ منشورات الجامعة الليبية ـ بيروت ـ 1973.

فوزي جاد الله: **«مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوتس»** ـ ليبيا في التاريخ ـ 1968.

فوزي جاد الله: **المعارك والمواقع الهامة بين الليبيين والمستعمرين من اغريق ورومان** ـ بحث مقدم إلى مجلة البحوث التاريخية ـ جامعة الفاتح ـ مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي.

محمد أنور شكري: **الفن المصري القديم منذ أقدم العصور حتى نهاية الدولة القديمة** ـ القاهرة ـ 1960.

محمد الجراري: **موقف القبائل الليبية من الحكم الروماني** ـ الثقافة العربية ـ طرابلس ـ العدد السابع 1982.

محمد سليمان أيوب: **جرمة في عصرها الذهبي ـ ليبيا في التاريخ** ـ المؤتمر التاريخي ـ بنغازي ـ مارس 1968.

محمد الصديق بو حامد: المؤتمر التاريخي ـ **مظاهر الحضارة الفينيقية في طرابلس** ـ بنغازي ـ 1968.

مصطفى عبد العليم: **دراسات في تاريخ ليبيا القديمة ـ منشورات الجامعة الليبية ـ بنغازي ـ 1966.**

«ليبيون وإغريق في أوراق البرديى المصرية» ليبيا في التاريخ ـ 1968.

هنري لوت: **لوحات تاسيلي** ـ قصة كهوف الصحراء الكبرى ـ الطبعة الأولى ـ ترجمة أنيس زكي حسن ـ بيروت ـ 1967.

د.ل هاينز: **آثار طرابلس الغرب** ـ مصلحة الآثار ـ ترجمة عديلة حسن مياس منشورات مصلحة الآثار.

ثالثاً ـ المراجع الأجنبية

BATES. O., The Eastern Libyans, London, 1970.

BOARDMAN. J., «Evidence for Settlements in Cyrenaica», B.S.A., No. 61, 1966.

Greeks Overseas, Penguin Books, London, 1964.

BOARDMAN, J. AND HAYES, J. «Bronze Age Greece and Libya» B.S.A., No. 63, 1968.

Excavations at Tocra 1963-1965, London 1966.

BOWILL E. W., The Golden Trade of the Moors, London, 1964.

BREASTED., Ancient Records of Egypt, Chicago, 1962.

BURN A.R., The Lyric Age of Greece, London, 1960.

BURY J.B., A history of Greecè to the death of Alexander The Great, Oxford, 1963.

C.A.H. Cambridge Ancient history.

CARY M., A history of Greek world, London, 1968.

CHAMOUX, F., Cyrène sous la Monarchie des Battiades, Paris, 1953.

«Sur quelques inscriptions Grecques Trouvées à Apollonia de Cyrénaique» Libya in history, 1968.

CHIANTORE G., «Demiurgi in Creta», Rivista di Filologia, Anno IX, 1930.

COSTER C.H., The Economic Position of Cyrenaica in Classical Ages, in studies in Roman Economic and social history in honor of Allan Chester Johnson. 1951.

EMERY W., Archaic Egypt, London, 1970.

FAKHRY A., Siwa Oasis, Cairo, 1944.

FERGUSON W.S., Hellenishic Athens, New york, 1969.

FERRI S., Aegyptus «Tre Anne de lavoro di Cirene» IV, 1923.

Manualetto Numismatico Per la Cirenaica, Governo della Cirenaica afficio studi, Bengasi 1924.

FRASER P.M., Ptolemaic Alexandria, Oxford, 1972.

GALASSI G., Tehenu e le Origini Mediterranee Della Civilta Egizia, Roma 1942.

GOODCHILD R., Cyrene and Apollonia, Published by the Department of Antiquities Libyan Arab Republic 1970.

Benghazi the Story of the City, 1962.

Tabula imperii Romani Cyrene, Oxford, 1954.

A history of Greece, London, 1906.

HASEBROEK J., Trade and Politics in Ancient Greece, London, 1965.

JONES A., Cities of the Eastern Roman Provinces, Oxford, 1937.

JOUGUET P., Macedonian Imperialism, London, 1928.

KEES H., Ancient Egypt, London, 1961.

KIRWAN. P.L Roman Expeditions to the upper Nile and the Chad Darfur Region, Libya in History 1968.

KRAELING H., Ptolemais City of the Libyan Pentapolis, Chicago, 1962.

LIDDEL AND SCOTT., A Greek-English Lexicon, Oxford, 1968.

MAHAFFY J. P., History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, London, 1914.

MILNE J., Trade between Greece and Egypt before Alexander the Great, J.E.A., 25, 1939, p. 177.

MURRY M., «The God Ash in Ancient Egypt and the East» J.E.A., Part 00, 1934.

NOSHY I., «Arcesilaus III» Libya in History, 1968.

PARKE H.W., the Delphic Oracle, Oxford, 1967.

FOSTOVTZEFF M., Social and Economic history of the Hellenistic World, Oxford, 1967.

ROWE A., A history of Ancient Cyrenaica, Cairo, 1948

Gyrenaican Expedition of the University of Manchester, 1952.

SASAWIYA A., «The Greek Settlement in Cyrenaica with notes on Pottery discovered there» Libya in History, 1968.

SMITH W., A history of Egypt and Painting in the Old Kingdom, Boston, 1949.

STUCCHI S., Dieci Anni di Missione Cirene, Tripoli, 1967.

TARN W.W., Hellenistic Civilisation, London, 1959.

TE VELDE Seth God of Confusion, Leiden, 1967.

WAINWRIGHT G.A., «The Mashwesh» J.E.A. No. 48,London, 1962.

WARD PERKINS B.J. «Pre Roman Elemeyls in Architecture of Roman Tripolitania» Libya in History, 1968.

YOYSSEF A.A., «Merenptah Fourth Year» A.S.A. Text Amada, 1952.

ZOLTAN KADAR, «Some problems concerning the Scientific authenticity of Classical authors on Libyan Fauna» Acta Classici Uni Scient Debrecen VIII, 1972.

طبع بإشراف
دار النهضة العربية
بيروت - عمان - بنغازي - روما - بروناي